

ضمن الروايات الأكثر مبيعًا وفقًا لصحيفة الصنڊاي تايمز

جين هاربر

عيد مبارك

لكاتبة
الجرمة الأكثر
شهرة

قوة

مكتبة ١٢٣٧
الطبيعة

FORCE OF

NATURE

خمس نساء خرجن في رحلة، عاد منهن أربع فقط

ترجمة: أحمد ليثي

عصير
الكتب

مكتبة | 1237

عيد مبارك
كل عام وانتم
تعالى

قوة
الطبيعة
FORCE OF
NATURE





لتجارة الكتب

إدارة التوزيع

00201150636428

لمراسلة الدار:

email:P.bookjuice@yahoo.com

Web-site: www.aseeralkotb.com

● المترجم: أحمد ليثي

● مراجعة وتحرير: محمد المقيم

● تدقيق لغوي: أسماء أبو المجد

● تنسيق داخلي: معتز حسنين علي

● الطبعة الأولى: ديسمبر / 2021م

● رقم الإيداع: 2021/22884

● الترقيم الدولي: 9-61-6902-977-978

● العنوان الأصلي: The Force of Nature

● العنوان العربي: قوة الطبيعة

● طبع بواسطة: Pan Macmillan Australia

● طبع بواسطة: بان ماكميلان - أستراليا

● حقوق النشر: جين هاربر 2017

Copyright © Jane Harper 2017

● حقوق الترجمة: محفوظة لدار عصير الكتب

17 2023

مكتبة

t.me/soramnqraa

ضمن الروايات الأكثر مبيعًا وفقًا لصحيفة الصندي تايمز

جين هاربر

قوة

الطبيعة

FORCE OF

NATURE

خمس نساء خرجن في رحلة، عاد منهن أربع فقط

ترجمة: أحمد ليثي



عيد مبارك كل عام ولجميعنا

مكتبة | 1237

من أجل بيتي وشارلوت، مع الحب.

تمهيد مكتبة

t.me/soramnqraa

لقد كان الجو باردًا في الخارج. لم يتغير شيء. أما شمس الشتاء الشاحبة، فقد ظهرت كاملة لمرة واحدة في الأيام الأربعة السابقة. كانت الحافلة دافئة على الأقل. جلس الرجال في الخلف، وألقى أحدهم مزحة عن مهارة النساء في قراءة الخرائط، فضحكوا. شربوا القهوة، وانتظروا زملاءهم. لقد مرت ثلاثة أيام منذ أن رأوهم لآخر مرة، ولن يضيرهم شيء إذا انتظروهم عدة دقائق أخرى.

مرت ساعة قبل أن يؤول الغرور إلى توتر، وواحدًا بعد آخر، أجبر الرجال أنفسهم على النزول من مقاعدهم الفخمة، والتجول في الطريق الموحلة. مدوا هواتفهم إلى السماء، وكأن هذا الارتفاع سيمكنهم من التقاط الإشارة، وراحوا يرسلون بنفاد صبر رسائل نصية لزوجاتهم في المدينة. «الوقت يتأخر، ولن ننتظر كثيرًا». لقد مكثوا هنا لعدة أيام، وينتظرهم في بيوتهم حوض الاستحمام الساخن، والبيرة المتلجة، والعمل غدًا.

حدَّق قائد الرحلة إلى الأشجار فجأة، وأخيرًا أخرج جهاز اللاسلكي. وصلت مجموعة من التعزيزات، إذ كانت ترتفع أصوات حراس المتنزه بـستراتهم البرتقالية. «سنخرجهم من هناك في لمح البصر». كانوا يعرفون المكان الذي انحرفت إليه النساء، ولم يتبق سوى ساعات قليلة من ضوء النهار، وعلى أي حال كانوا يعتقدون أنه كافٍ لمهمتهم، فلن يستغرق الأمر طويلًا. انتشروا في الغابة بطريقة احترافية، فعادت مجموعة الرجال مرة أخرى إلى الحافلة.

اختفت الوجبات الخفيفة، وبردت سخانات القهوة، ومع انقضاء الوقت ظهر الحراس مرة أخرى. كانت السماء المظلمة تعكس ظلال شجر الكافور على الأرض، والوجوه عابسة. وقد انتهى اللهب مع انقضاء النهار. وبداخل الحافلة، جلس الرجال صامتين. لو كانت هناك غرفة عمل لكان باستطاعتهم أن يعرفوا ما الذي بوسعهم أن يفعلوه، لكن التأخر عن العمل أمر غير مرغوب

فيه على الإطلاق، لذا لا داعي للقلق. في العراء، كانت الغابة تخفي الإجابات، وكان الرجال يضعون هواتفهم على أفتاحهم كالألعاب المعطلة.

الحراس يتمتمون بالكلمات عبر أجهزة اللاسلكي، ومصاييح الشاحنة الأمامية موجّهة إلى صف الأشجار، وقد شكلت أنفاس الناس سحبا في هواء الليل البارد. طُلب من الحراس أن يعودوا ليدلوا بالمعلومات التي لديهم. لم يكن الرجال في الشاحنة يسمعون تفاصيل المناقشة، لكنهم لم يكونوا في حاجة إلى ذلك؛ إذ كانت نبرة الصوت تشي بكل شيء، وهناك حدود لما يمكن فعله في الظلام.

أخيرا تفرقت المجموعة مرة أخرى، وساروا بسُتراتهم أمام الحافلة. كان قائد الرحلة على وشك أن يوصل مجموعة الرجال إلى النزل. كان عليهم أن يمكثوا الليلة، فلن يتمكن أحدهم من أن يقضي ثلاث ساعات في الطريق من أجل العودة إلى ملبورن في هذا الوقت. كان الرجال لا يزالون يتكلمون عندما سمعوا أول صوت بكاء. لم يكن سماع هذا الصوت عالي النبرة أمرا اعتياديا في الليل، فالتفتت الرؤوس، وهي ترى أربعة ظلال لأجساد، وقد بدا أن اثنتين تسندان واحدة منهن، فيما كانت الرابعة تسير على غير هدى بجانبهن، وقد بدت الدماء على جبهتها باللون الأسود من مسافة.

«ساعدونا!»، صرخت إحداهن، بعد ذلك صرخن جميعا: «نحن هنا، نحتاج إلى المساعدة، إنها تحتاج إلى طبيب. أرجوكم ساعدونا. الحمد لله.. الحمد لله أننا وجدناكم.»

كان حراس الحديقة يركضون؛ ترك الرجال هواتفهم في مقاعد الحافلة، وركضوا خلفهم عدة خطوات.

قالت إحداهن: «لقد ضلنا الطريق!»، وقالت أخرى: «لقد فقدناها!». لقد كان من الصعب سماع ما يقلنه؛ إذ كانت النساء يبكين، وهن يصحن، وأصواتهن تتداخل مع بعضها بعضا.

«هل أليس هنا؟ هل نجحت في إنقاذ نفسها؟ هل هي بخير؟». في فوضى الليل، كان من المستحيل أن تعرف أي واحدة من الأربع كانت مهتمة بصحة أليس. لاحقا، عندما ساءت الأمور، كانت كل منهن تدعي أنها هي من كانت تهتم بأليس.

الفصل الأول

«لا تفزع!»...

أغلق العميل الفيدرالي «آرون فولك» -الذي لم يكن لديه أيُّ خطط يفعلها حتى هذه اللحظة- كتابًا كان يقرأ فيه، ونقل هاتفه إلى يده الفارغة، ثم استوى جالسًا على فراشه:

- حسنًا.

قالت السيدة على الطرف الآخر من الخط:

- على ما يبدو أن أليس راسل مفقودة.

وضع فولك كتابه جانبًا، وقال:

- ماذا تقصدين؟

- مفقودة بصورة رسمية الآن، ليس مجرد ما كنا نظنه بأنها لا تجيب عن مكالماتنا.

شعر فولك بالحسرة تقطر من كلام زميلته، وبدا أن كارمن كوبر متوترة الآن أكثر من أي وقت مضى خلال الأشهر الثلاثة التي بدأ فيها عملهما معًا، وهو أمر يشيبُّ الكثيرين.

تابعت كارمن:

- لقد فُقدت في مكان ما، في ضاحية جيرالانج.

- جيرالانج؟

- نعم، شرق البلاد.

قال فولك:

- لا، أنا أعرف أين تقع تلك المنطقة، لكن ذهني اتجه إلى الصيت الذي تحظى به.

- أتقصد حوادث القاتل المتسلسل، مارتن كوفاك؟ لا يبدو أن الأمر ينحو هذا النحو، فالحمد لله.

- أنتِ تأملين لو أنه ليس كذلك. لقد مر عشرون عامًا على هذا الحدث إلى الآن، أليس كذلك؟

- أعتقد أن هذه الحوادث قد جرت منذ خمسة وعشرين عامًا.

ومع هذا يبدو أن بعض الأمور لا تزال تجر أذيالها. كان فولك مراهقًا. بالكاد عندما غطت أحداث جيرالانج الأخبار للمرة الأولى. ثم تكرر الأمر ثلاث مرات أُخِر على مدار العامين التاليين. في كل مرة تظهر صور فرق البحث، وهي تطوف المنطقة البرية العشبية بصحبة الكلاب البوليسية، التي أجهدت رجال الشرطة، وهي تدخل بيوت المواطنين حول الولاية، لكنهم عثروا على معظم الجثث في النهاية.

سأل فولك:

- ما الذي كانت تفعله هناك؟

- تجمّع مهنيّ.

- أتمزحين؟

- للأسف لا، أير التلفاز، لقد أُذيع الخبر في نشرة الأخبار، بل إنهم استدعوا فرق البحث.

- انتظري!

قفز فولك من فوق فراشه، وارتدى قميصًا على سرواله الداخلي. كان الجو باردًا. خطأ خطوات خفيفة نحو غرفة المعيشة، ثم أدار التلفاز إلى قناة الأخبار التي تعمل على مدار 24 ساعة، فوجد المذيع يتحدث عما جرى اليوم في البرلمان.

سمع فولك زميلته تهمهم في أذنه: «لا شيء خطير، مجرد حديث بشأن العمل، عُد للنوم»، وأدرك أنها كانت تتحدث إلى شخص على الجانب الآخر. ثم بشكلٍ أليّ تخيلها في مكتبهما الذي يتقاسمانه معًا، وهي مضغوطة وراء الطاولة التي كانت محشورة فيها بجانبه قبل اثني عشر أسبوعًا، ومنذ ذلك الحين، وهما يعملان معًا بشكل وثيق دون مبالغة، لدرجة أن كارمن عندما كانت تتمطى، كانت قدمها تصطدم بساق مقعده. تطلّع فولك إلى الساعة،

ووجدتها تجاوزت العاشرة، مساء ليلة الأحد، فتوقع أنها ستكون في البيت بكل تأكيد.

قالت كارمن له:

- هل ظهر الخبر؟

كانت تُحدِّثه بصوت خفيض الآن، لئلا تزعج الشخص الذي كانت تتحدث معه، وقد افترض فولك أنه خطيبها.

- ليس بعد.

لم يَكُنْ على فولك أن يخفض صوته. وكان شريط الأخبار يظهر على الشاشة فقال:

- الخبر يُذاع الآن.

استئناف البحث في جيرالانج عند الفجر عن رحالة ملبورن المفقودة أليس راسل، 45. تساءل فولك:

- رحالة ملبورن!

- أعرف أن الأمر غريب!

- منذ متى كانت أليس...؟

ثم توقف فولك في منتصف الجملة، وتخيل أليس، وهي تنتعل حذاءها العالي ذا النعل المدبب.

- أعرف، لقد أذاعوا في نشرة الأخبار أنها كانت مشتركة مع مجموعة في تمرين لتأصيل الروح الجماعية منذ عدة أيام، ثم...

- منذ عدة أيام؟ منذ متى فُقدت أليس؟

- لست متأكدة، أعتقد أنها مفقودة منذ ليلة أمس.

قال فولك:

- لقد هاتفتني!

عمَّ الصمت على الجانب الآخر من الخط، ثم جاء صوت كارمن:

- مَنْ التي هاتفتك؟ أليس؟

- نعم.

- متى؟

- ليلة أمس.

أبعد فولك الهاتف عن أذنه، وتطلّع إلى المكالمات الفائتة، ثم وضعه على أذنه مرة أخرى، وقال لكارمن:

- هل ما زلتِ على الخط؟ لقد هاتفْتني صباح اليوم، في الواقع، في الساعة الرابعة والنصف تمامًا، لكنني لم أسمع الهاتف، سمعت البريد الصوتي فقط، عندما استيقظت من نومي.
عمّ الصمت مرة أخرى.

- وماذا قالت في البريد الصوتي؟

- لا شيء.

- على الإطلاق؟!

- لم أسمع حتى همسًا منها. لقد اعتقدتُ أنها هاتفْتني بالخطأ! وضعت نشرة الأخبار صورة حديثة لأليس راسل. بدا الأمر وكأن أحدهم اصطحبها إلى حفل ما؛ كان شعرها الأصفر معقودًا بشكل متشابك، وكانت ترتدي فستانًا فضيًّا يُظهر الساعات التي قضتها في الجيم. بدت وكأنها أصغر من عمرها الفعلي بنحو خمس سنوات، وكانت تبتسم للكاميرا بطريقة لم يرها كلُّ من فولك وكارمن من قبل.

قال فولك، وهو لا يزال يحدِّق إلى التلفاز:

- حاولتُ أن أعيد مهااتفتها عندما استيقظت من النوم، تقريبًا في الساعة السادسة والنصف؛ رنَّ هاتفها، لكنها لم تُجب!

انقطع البث عن نشرة الأخبار لتظهر صورة ضاحية جيرالانج. تلوح في الأفق تلال وأودية، ومحيط من الغابات الخضراء المتموجة تحت ضوء الشتاء الواهن.

استئناف البحث عند الفجر...

كانت كارمن هادئة، وكان بوسع فولك أن يسمع صوتَ أنفاسها. على الشاشة، بدت الضاحية كبيرة للغاية. في الواقع كانت ضخمة. يبدو كساء قمم الأشجار غير منيع على الإطلاق من زاوية الكاميرا. قال فولك:

- دعيني أسمع الرسالة مجددًا، سأهاتفكِ مرة أخرى.

- حسنًا.

ثم انقطع الخط. جلس فولك على الأريكة في جو شبه معتم، يومض من التلفاز ضوء أزرق. لم يكن قد أغلق ستائره، فكان بوسعه أن يرى بريق ناطحات السحاب في ملبورن من شرفته الصغيرة. ومن أعلى برج يوريكا كان يومض ضوء أحمر بشكل منتظم.

استئناف البحث عند الفجر في جيرالانج...

أطفاً جهاز التلفاز، وشغل البريد الصوتي مرة أخرى، لقد تسلّم المكالمات من أليس راسل عند الساعة 4:26 فجرًا. في البداية لم يكن فولك يسمع شيئاً، فضغط بيده ليقرب الهاتف من أذنه؛ سمع صوتاً مكتوماً لخمس ثوانٍ.. لعشر ثوانٍ، لكنه أصاخ السمع حتى النهاية هذه المرة. وبينما يتماوج الضجيج الأبيض، بدا لفولك أن هذا الضجيج قادم من تحت الماء؛ إذ تبيّن هممة صوتية خافتة لشخص يتحدث، وفجأة، دون مقدمات، اخترق أذنه صوت ما؛ أبعده فولك الهاتف عن أذنه سريعاً، وحدّق إليه، كان الصوت باهتاً لدرجة أنه تساءل إذا ما كان عليه أن يتخيل هويته.

وببطء، راقب شاشة هاتفه، وأغلق عينيه في شقته الهادئة، ثم شغل الرسالة مرة أخرى، لم يسمع شيئاً، لا شيء، وفجأة، في ظلام الغرفة، سمع صوتاً من بعيد يقول له كلمتين في أذنه فقط: «... يؤذيها...».

الفصل الثاني

لم يَكُن الفجر قد بزغ بعد عندما وقفت كارمن خارج شقة فولك. كان ينتظر على الرصيف بالفعل، حقيبة ظهره على الأرض، وحذاء التنزه كان متصلبًا نتيجة عدم الاستخدام. قالت بمجرد أن صعد إلى السيارة:

- دعنا نسمع الرسالة مرة أخرى.

وكانت تعود بالكرسي إلى الوراء؛ إذ كانت كارمن واحدة من النساء القليلات اللاتي وُهبْنَ الطول الكافي لينظرن إليه في عينيه، بينما يقفن أمامه وجهاً لوجه. ضبط فولك هاتفه على مكبر الصوت، وضغط على زر. لفَّ الجمود السيارة، ومرت خمس ثوانٍ، ثم عشر دون أن يسمعا شيئاً، وفجأةً سطعت الكلمتان خافتين وواهنتين، ثم مرت عدة ثوانٍ مكتومة، وانقطع الاتصال.

عبست كارمن، وقالت:

- أريد أن أسمعها مرة أخرى.

أغلقت عينيهما، بينما كان فولك يراقبها، وهي تستمع إلى الرسالة. في عمر الثامنة والثلاثين كانت كارمن أعلى منه رتبة بمقدار ستة أشهر فقط، في العمر والخبرة، لكن تلك كانت المرة الأولى التي يتقاطع فيها عملهما في الخدمة في الشرطة الفيدرالية، حيث كانت جديدة على وحدة التحريات المالية في ملبورن، بعد أن انتقلت مؤخرًا من سيدني، ولم يَكُن بوسع فولك أن ينجح في عمله إذا فُجِعت بأمر الحادثة. ومن ناحيتها، فتحت كارمن عينيهما، وتحت الأشعة البرتقالية لأنوار الشارع، بدت بشرتها وشعرها أكثر قتامة مما يبدو. قالت:

- يؤذيها...!

- لقد بدا الأمر كذلك بالنسبة إليّ أيضًا.

- أكان بوسعك سماع أيّ شيء في نهاية الرسالة؟

- رفع فولك الصوت إلى أقصى ما يمكن، وضغط على زر إعادة التشغيل. وجد نفسه يحبس أنفاسه، وهو يجاهد لسماع أي شيء. قالت كارمن:
- هنا، أهذا صوت شخص يقول: أليس؟
- استمعا إلى الرسالة مرة أخرى، لكن هذه المرة استطاع فولك أن يتبين النبرة الواهنة بداخل الضجيج المكتوم؛ صوتًا يشبه الهسيس. قال:
- لا أعلم، ربما كان صوت تشويش!
- أدارت كارمن محرك السيارة، فزأر عاليًا في سكون فترة ما قبل الفجر، ثم انطلقت على الطريق قبل أن تتحدث مرة أخرى.
- ما مدى يقينك بأن ذلك الصوت هو صوت أليس؟
- حاول فولك أن يتذكر نبرة صوتها؛ كان صوتها مميزًا للغاية؛ إذ غالبًا ما يكون مقتضبًا، لكنه حازم.
- لا دليل لدينا على أنه ليس صوتها، لكن بعد كل شيء من الصعب التأكد من ذلك.
- أمر صعب للغاية بالفعل، لدرجة أنني لم أستطع أن أتأكد إذا ما كان صوت امرأة!
- لا.
- وفي المرأة الجانبية، كانت ناطحات سحب ملبورن تزداد تضًاؤلاً. وفي الأمام، ناحية الشرق، كانت السماء تستحيل من اللون الأسود إلى اللون الأزرق البحري. قال فولك:
- أعرف أن أليس في موقف صعب، لكنني أتمنى ألا يكون قد فات الأوان. عكس خاتم الخطوبة التي كانت ترتديه كارمن ضوء الشمس، بينما تدير عجلة القيادة لتصل إلى الطريق السريعة، وقالت:
- وأنا كذلك. ما الإفادة التي حصلت عليها من شرطي الولاية؟ ما اسمه بالمناسبة؟
- كينج.

كان فولك قد أغلق الرسالة الصوتية التي أرسلتها أليس راسل، في الليلة السابقة، وهاتف شرطة الولاية فورًا. وبعد أن مر نصف الساعة، هاتفه الرقيب الذي يقود البحث. بدا صوت الرقيب كينج متعبًا، قال:

- آسف، كان عليّ أن أهاتفك من هاتف أُرضي؛ إذ تسبب الطقس السيئ في أن تكون إشارة الهواتف أسوأ من المعتاد. أخبرني عن الرسالة الصوتية.

وكان يسمع بصبر، بينما يتحدث فولك. قال كينج عندما انتهى فولك من حديثه:
- حسنًا، انظر، لقد تفحصنا سجل مكالماتها.

- وبعد...؟

- أخبرني بشأن علاقتك بها؟

قال فولك:

- علاقة مهنية، وسرية؛ إذ كانت تساعدني مع شريكتي في أمر ما.

- وما اسم شريكك؟

- اسمها كارمن كوبر.

كان بوسع فولك أن يسمع خشخشة الورق بينما يكتب الرقيب...

- هل كان أيُّ منكما يتوقع أن تتصل بكما؟

تردد فولك، وقال:

- ليس بالتحديد.

- أ لديك مهارات النجاة في الأحرار؟

نظر فولك إلى يده اليسرى، كانت بشرته لا تزال ذات لون وردي وناعمة

بشكل غريب، في المناطق التي طالها الحريق، ولم تُشَفَ بشكل جيد، ثم قال:

- لا.

- وماذا عن شريكك؟

- لا أعتقد ذلك.

ثم أدرك فولك أنه لا يعرف حقًا. ثم مرت فترة توقف، وقال الرقيب بكينج:

- طبقًا لشركة الهاتف، فقد حاولت أليس راسل الاتصال بجهتين صباح

هذا اليوم؛ أنت والطوارئ. ما السبب الذي يدعوها إلى ذلك في رأيك؟

هنا، حان دور فولك في أن يصمت هنيهة، واستطاع سماع صوت تنفس

الرقيب كينج على الخط. «... يؤذيها...»، قال فولك:

- أعتقد أنه من الأفضل أن آتي إليك فورًا للتحدث على انفراد.

- أعتقد أن ذلك قرار حكيم، أحضر هاتفك معك.

اليوم الرابع: صباح يوم الأحد

كان بوسع المرأة أن ترى خوفها منعكسًا على الوجوه الثلاثة التي تحدّق إليها. تتسارع نبضات قلبها، وكان بوسعها أن تسمع نبضات قلوب الآخرين. وفي الأعلى، كان تجويف السماء من وراء الأشجار يتلون بالرمادي الباهت. الرياح تهز فروع الأشجار، مرسلّة رذاذًا من الماء على الأشخاص الواقفين في الأسفل، لكن رغم ذلك لم يجفل منهم أحد. خلفهم، يقبع الخشب الفاسد في الكوخ، يهتز ويئن. قالت المرأة:

- يجب أن نغادر المكان.

أوما الشخصان الواقفان على يسارها موافقةً على الفور، إذ كانت أعينهما متسعّة ومُظلمة نتيجة خوفهما. وعلى يمينها، وبعد تردد قصير، أوما ثالثهما موافقًا.

- ماذا عن...؟

- ماذا تقصد؟

- ماذا عن أليس؟

ساد صمت مرّوع، ولم يكن يُسمَع إلا حفيف الأشجار، وهي تراقب الدائرة المحكمة للأشخاص الأربعة.

«أليست هي من جنّت على نفسها!».

الفصل الثالث

كانت الشمس قد كست السماء بالكامل عندما توقف فولك وكارمن بعد عدة ساعات، والمدينة تتمدد وراءهما. وقفا على جانب الطريق، وتمطيا بينما تلقي السحب بظلالها عبر الحقول. كانت المنازل والأبنية قليلة ومتباعدة. ثم مرت بجانبها شاحنة تحمل مؤناً زراعية مُصدرةً هديرها، وكانت تلك أول شاحنة يريانها بعد ثلاثين كيلومتراً. أفزع الضجيج سرباً من البيغاوات، فشتتتها على شجرة قريبة، وهي ترفرف مذعورة. قال فولك:

- دعينا نواصل السير.

وتناول مفاتيح السيارة من كارمن، وصعد خلف عجلة قيادة سيارتها البالية، من نوع مارون سيدان. أدار المحرك، فشعر شعوراً مألوفاً على الفور، وقال:

- كنت أملك سيارة مثل تلك فيما مضى.

صعدت كارمن إلى المقعد بجانبه، وقالت:

- إلا أنك راودك شعور أنك تريد التخلص منها.

- لم يكن خيارى؛ لقد تعطلت في بداية هذا العام.

فبدا على مُحياها ابتسامة صغيرة، وقالت:

- حسناً، لقد سمعت عن ذلك، وأفترض أنها تضررت لدرجة أنك تخلت عنها.

أدار فولك يده على عجلة القيادة، وهو يشعر بوخز الندم. كانت سيارته الجديدة على ما يرام، لكنها لم تكن كسابقتها. قالت كارمن، وهو يبتعد بالسيارة:

- هذه سيارة جيمني على أيِّ حال، وهي أفضل من سيارتي في المسافات الطويلة.

- حسناً، كيف حال جيمني؟

- على ما يرام.. كالمعتاد.

لم يكن فولك يعرف ما المعتاد بالنسبة إلى جيمي، فلم يلتقه إلا مرة واحدة، وهو شاب مفتول العضلات، يفضل ارتداء قميص وسروال جينز، يعمل في مجال التسويق لشركة أغذية، ومشروبات رياضية. لقد حياً فولك، وأهداه زجاجة ملائنة بشراب ذي لون أزرق، وفوّاراً ليحسّن من أدائه. تبدو ابتسامة الرجل صادقة، لكن كان يشوبها شيء غير عادي، وهو يلقي عليه التحية؛ بشرته الشاحبة، وشعره الأبيض المائل إلى الشقرة، ويده المحترقة. إذا كان على فولك أن يخمن ما الذي يشوبها، سيكون عليه أن يقول: «ارتياح لطيف!». رنّ هاتف فولك الموضوع على لوحة القيادة، فرفع نظره عن الطريق الخالية لينظر إلى الهاتف، وأعطاه لكارمن، وقال:

- لقد أرسل الرقيب إيميلاً للتو.

فتحت كارمن الرسالة، وقالت:

- حسناً، يقول إن هناك مجموعتين في المتنزه؛ واحدة للرجال، وأخرى للنساء، وقد اتخذت المجموعتان طريقين منفصلتين، كما أرسل أسماء النساء المشاركات في شركة أليس راسل.

- وهل المجموعتان من شركة بيلي تينانتس؟

- يبدو الأمر كذلك.

أخرجت كارمن هاتفها، وفتحت الموقع الإلكتروني للشركة، وقد كان بوسع فولك أن يرى الألوان الفضية المشوبة بالأسود التي تميز الموقع الإلكتروني ظاهرةً على الشاشة بطرف عينه. كانت تقرأ من هاتفها بصوت عالٍ:

- حسناً، بريانا ماكينزي، وبيثاني ماكينزي. بريانا هي مساعدة أليس، أليس كذلك؟

نقرت كارمن على الشاشة، وقالت:

- بلى، هي المساعدة بالفعل. يا إلهي! يبدو أن بوسعها أن تظهر في إعلان عن الفيتامينات!

كانت تحمل هاتفها حينما نظر فولك إلى الصورة الفوتوغرافية لفتاة في وسط العشرينيات، فأدرك ما تعنيه كارمن، فحتى في ظل ضوء المكتب السيئ، كان لبريانا ماكينزي المظهر الرياضي الذي لشخص يركض في

الصباح يومياً، ويتمرن على اليوجا بإصرار، وتصفف شعرها المعقود على شكل ذيل الحصان في أيام الأحاد بالتزام. التقطت كارمن هاتفها، ونقرت عليه، وقالت:

- لا يوجد شيء عن المرأة الأخرى، بيثاني. أعتقد أنهما أختان؟
- من المحتمل ذلك.

فكر فولك أنهما ربما تكونان توءمين؛ بريانا وبيثاني، بري وبيث، وقلب الاسمين على لسانه، تبدوان أنهما ثنائيان. قالت كارمن:

- علينا أن نعرف ما الذي حدث معها، الشخصية التالية هي لورين شو.
قال فولك:

- لقد قرأنا عنها بالفعل، أليس كذلك؟ ألا تشغل منصباً متوسطاً في الشركة؟
التقطت كارمن هاتفها مرة أخرى:

- نعم، هي كذلك. يا إلهي! الرئيس الاستراتيجي للتخطيط المستقبلي، أياً ما كان الذي يعنيه هذا.

على أيِّ حال، لم يكن وجه لورين يشي بأيِّ شيء؛ إذ كان من الصعب على المرء تحديد عمرها، إلا أن فولك قد خمن أنها في أواسط أو أواخر الأربعينيات؛ شعرها يميل إلى اللون البني، وعيناها لهما لون رمادي زاهٍ، تنظران مباشرةً إلى الكاميرا، بنظرة حيادية كالتي تراها في جواز السفر. عادت كارمن مرة أخرى إلى قائمة الأسماء، وقالت متعجبة:

- هل ما أراه صحيح؟

- ماذا؟

- يقول الموقع إن جيل بيلي في الخارج معهم.

واصل فولك النظر إلى الطريق، لكن مسحة القلق التي استقرت على وجهه من الليلة السابقة نبضت ونمت:

- حقاً؟

لم تزعجه كارمن بإظهار صورة جيل، فقد كانت مديرة الشركة ذات الملامح البدينة مألوفة بالنسبة إليه. ستبلغ عامها الخمسين هذا العام، وعلى الرغم من ملابسها المتكلفة وقصة شعرها، فإن عمرها المتقدم بارٍ عليها. بينما كانت كارمن تمرُّ يدها عبر رسالة الرقيب، توقفت فجأةً، وقالت:

- جيل بيلى، اللعنة! إن أباها كان ضمن مجموعة الرجال!

- هل أنتِ واثقة من ذلك؟

- نعم، دانيال بيلى، إنه المدير التنفيذي، وإليك صورته بالأبيض والأسود.

قال فولك:

- لا أرتاح لذلك على الإطلاق.

- أنا غير مرتاحة لأي من ذلك أيضًا.

ضغطت كارمن بأظفارها بهدوء على الهاتف، وهي تفكر، وقالت في

النهاية:

- حسنًا، ليس لدينا معلومات كاملة حتى يمكننا استنتاج أي خلاصات.

هذه الرسالة تفتقد للسياق تمامًا. على كل المستويات، الواقعية منها

والإحصائية، يبدو وكأن أليس راسل قد ضغطت على الهاتف عن غير

قصد، ثم ضلت الطريق!

قال فولك:

- نعم، من المرجح أن ذلك ما حدث.

لكنه كان يفكر في قرارة نفسه أن أيًا منهما لم يبدُ على قناعة بذلك،

لكنهما واصلتا المسير، بينما تنتقل محطات الراديو منقطعة البث إلى لا

شيء، بالضبط كالشهد الذي يمر بهما بسرعة. ظلت كارمن تعبت بمؤشر

الراديو حتى وجدت موجة راديو AM مشوشة للغاية. الأخبار تتوالى على

مدار الساعة. لا تزال رحالة ملبورن مفقودة. في هذا الوقت كانت الطريق

تميل بانسيابية إلى اليسار، كان بوسع فولك أن يرى فجأةً تلال جيرالانج في

الأفق. قال:

- هل ذهبتِ إلى هناك من قبل؟

وهزت كارمن رأسها.

- لا، وأنت؟

- لا.

لم يذهب هناك من قبل، ولكنه تربى في مكان يشبهه إلى حد كبير.

منطقة معزولة، حيث كانت الأشجار تنمو كثيفة وسميكة على أرض تعزف

عن السماح لأي شيء بأن يخرج منها. تابعت كارمن حديثها:

- تاريخ هذه المنطقة يفقدني حماستي لزيارتها، أعرف أن ما أقوله يبدو سخيفاً، لكن...!

ثم هزت كتفيها. قال فولك:

- أيًا كان ما حدث لمارتن كوفاك، هل لا يزال محبوسًا؟

- لستُ على يقين.

نقرت كارمن على هاتفها من جديد، وقالت:

- لا، لقد مات.. مات في السجن منذ ثلاث سنوات، في عمر الثانية

والستين. في الواقع هذا يذكّرني بشيء، لقد تذكرته للتو. لقد خاض

عراكًا مع سجين آخر، صدم رأسه في الأرض، فلم ينهض مرة أخرى،

هذا ما يقوله الخبر. من الصعب أن تشعر بالأسف تجاه ذلك.

وافقها فولك. كانت الجثة الأولى لمدرّسة متدرّبة في العشرينيات من

عمرها من ملبورن، تستمتع بالهواء النقيّ في إجازة نهاية الأسبوع في

الأنحاء، لكن وجدها مجموعة من المخيمين بعد عدة أيام، وقد انتزعت سحّابة

سروالها القصير، وفقدت حقيبة إمداداتها، بل وكانت حافية القدمين، ورباط

حذائها ملفوف حول عنقها.

وقد اكتشفت جثتان لسيدتين أخريين، وأبلغ عن ثالثة مفقودة على مدار

السنوات الثلاث التالية قبل أن يُذكر اسم العامل المشترك مارتن كوفاك لأول

مرة، واحتمال أن يكون له علاقة بالجرائم. بحلول ذلك الوقت كانت الخسارة

قد أحدثت مفعولها؛ إذ خيمّ شبح طويل ومستمر على حي جيرالانج الهادئ،

وكان فولك جزءًا من جيل كامل قد كبر، وهو يشعر برعشة من مجرد سماع

اسم هذا المجرم.

قالت كارمن، وهي تقرأ من هاتفها:

- من الواضح أن كوفاك قد مات دون أن يعترف أنه من ارتكب هذه

الجرائم بحق النساء الثلاث، أو السيدة الرابعة التي لم تُكتشف جثتها

قط؛ سارة سوندنبيرج، وهذه قصة حزينة، إذ عمرها لم يكن يتعدى

الثمانية عشرة. أتذكر والديها، وهما يقدمان الطعون على التلفاز؟

يتذكر فولك ذلك. حدث الأمر منذ عقدين من الزمان، ولا يزال بوسعه أن يتذكر اليأس في أعينهما. حاولت كارمن أن تمرّ يديها عبر الهاتف، ثم زفرت زفرة يائسة، وقالت:

- لقد توقفت الهاتف عن العمل.. فقدنا الإشارة!

لم يكن فولك متفاجئاً؛ إذ كانت الأشجار على طول الطريق تلقي بظلالها، بحيث تحجب أشعة الشمس.

- أعتقد أننا سنكون خارج مجال التغطية.

لم يتحدثا ثانية حتى غادرا الطريق الرئيسية. أخرجت كارمن الخريطة لتستكشف موقعهما، بينما تضيق الطريق، وتظهر التلال الكبيرة من زجاج السيارة. وفي طريقهما، مرّاً بصف من المتاجر التي تبيع البطاقات البريدية، وأدوات التنزه. ينتهي هذا الصف بمتجر صغير، ومحطة وقود تقبع وحدها.

تفقد فولك مؤشر الوقود، ثم وضع خرطوم البنزين داخل السيارة. لقد خرجا من السيارة ريثما يملؤها بالبنزين، متثائبين؛ إذ أتعبتهما بدايتهما المبكرة لليوم. كان الجو أكثر برودة هنا لدرجة أنه أصابهما بلسعة برد. وبعد ذلك، تركها فولك تتمطى، وذهب إلى الداخل ليدفع الحساب. كان الرجل بالداخل يعتمر قبعة صغيرة وبلحية لم يشذبها منذ أسبوع. وقف بتناقل بينما يتقدم فولك، ثم قال بلهجة رجل يريد أن ينتهي من المحادثة سريعاً:

- أُمَّتَّجِهَانِ إِلَى الْمَتَنَزِّهِ؟

- نعم.

- أتَبَحِّثَانِ عَنِ الْمَرَأَةِ الْمَفْقُودَةِ؟

طرفت عينا فولك، لكنه قال:

- فِي الْوَأَقَعِ.. نَعَمْ.

- لَقَدْ أَتَى الْكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ مِنْ أَجْلِهَا، لِأَنَّ الشَّرْطَةَ تَسْتَدْعِي الْمَفْتَشِينَ.

أظن أنه قد أتى تقريباً عشرون شخصاً البارحة فقط، فالיום كان

مزدحمًا، لكن كل ذلك لم يُسِفِرْ عن شيء!

وهز رأسه تعبيرًا عن الذهول. وتابع الرجل:

- أُمِّل أن يجدها سريعًا، لأن هذا أمرٌ يضر بالتجارة، أقصد عندما يُفقد أحدهم، فإنه يضر بالتجارة أيضًا؛ إذ يفزع الناس من ذلك. خاصةً عندما تُطلق الكثير من الرسائل التذكيرية، حسبما أظن.

ولم يتوسع في تفصيل ذلك؛ إذ لم يكن هنا داعٍ لذكر كوفاك، فقد افترض فولك أنه لم يرتكب جرائمه هنا، وقال:

- أسمعَت أيَّ أخبار جديدة؟

- لا.. لا أعتقد أن الحظ قد صادفهم، لأنني لم أصادف أيًا من فرق البحث تعود من الداخل، وهم يمرون عليَّ في الاتجاهين؛ الداخل والخارج، لأن أقرب محطة وقود على بُعد خمسين كيلومترًا، وهي أبعد من ذلك إذا اتجهت شمالًا، لذلك يملأ الجميع سياراتهم بالبنزين من هنا. ثمة شيء ما يدفعهم لأن يكونوا في الجانب الآمن. (ثم هز كتفيه، وتابع) أفترض أن هذا هو الجانب المشرق لنا.

- أتعيش هنا منذ وقت طويل؟

- طويل بما يكفي.

بينما يُسلم فولك بطاقة الائتمان للرجل، لاحظ نقطة ضوء صغيرة حمراء تصدر من كاميرا الأمن من وراء الطاولة. قال فولك:

- هل تعمل هذه الكاميرات؟

بينما الرجل كان يتابع نظرتَه إلى الخارج، كانت كارمن تميل بجسدها إلى السيارة، عيناها مغلقتان، ووجهها ينظر إلى الأمام. ظلت عينا الرجل مشدوهتين لفترة قبل أن يطبقهما ثانية، وقال:

- نعم، بالطبع، لا خيار آخر لديّ؛ إذ أكون بمفردي معظم الوقت هنا، ولا يمكنني المخاطرة بإغلاقها.

قال فولك:

- وهل مرت المرأة المفقودة مع مجموعتها في طريقهن للداخل؟

- نعم، يوم الثلاثاء الماضي، ولقد أخذت الشرطة نسخة من التسجيلات بالفعل.

أخرج فولك بطاقة عمله، وقال:

- وهل هناك أيُّ فرصة لتسلمي نسخة أخرى؟

نظر الرجل إلى البطاقة، وهز كتفيه، وقال:

- امنحني دقيقة.

اختفى داخل المكتب الخلفي. بينما راح فولك ينظر إلى الخارج من خلال الزجاج الأمامي منتظرًا. وراء الباحة الأمامية، لم يكن بوسعها أن يرى شيئًا سوى مساحة شاسعة من اللون الأخضر، وتلال تخفي السماء وراءها، ثم شعر فجأة بأنه محاصر. جفل فولك عندما ظهر الرجل مرة أخرى، وفي يده ذاكرة تخزين، ناوله الرجل إياها، وقال:

- عليها تسجيلات للأيام السبعة السابقة.

- شكرًا يا رفيق، أقدّر ذلك.

- لا داعي لشكري، أمل أن يساعدك هذا. لا يتمنى أحد أن يظل في العراء لفترة طويلة، سيتملك الفزع. وستبدو كل الأشياء متشابهة في نظرك بعد عدة أيام، مما يجعلك تفقد الثقة في كل ما تراه.

ثم نظر إلى الخارج، وقال:

- القيادة في البرية صعبة.

اليوم الأول: ظهر يوم الثلاثاء

كانت نقاط المياه تتساقط على الزجاج الأمامي بفعل المطر، حينما توقفت الشاحنة الصغيرة. أطفأ السائق المحرك، واستدار في مقعده.

- لقد وصلنا يا شباب.

تطلّع تسعة أفراد إلى نوافذ السيارة.

- سأخرج من السيارة في حالة أننا انعطفنا إلى اليسار، وليس اليمين.

جاء صوت رجل من المقعد الخلفي، فضحك الآخرون. على اليسار، كان يقبع نُزُل الضيوف دافئاً ومريحاً، حيث تقف حوائطه المصنوعة من الخشب في وجه البرد، والضوء ينسكب على النوافذ، ومن ورائه، يظهر صف أنيق من الكبائن المخصصة للإقامة. وعلى اليمين، كان هناك طريق موحلة، في بدايتها لافتة متضررة من العوامل الجوية، وأشجار الصمغ فوق رؤوسهم، تشكّل ممراً خشناً ذا مسار متعرج، قبل أن تمتد الطريق بداخل الغابة، وتختفي.

- آسف يا رفيق! على الجميع أن يتجه لليمين.

وفتح السائق باب الشاحنة، مؤذناً للجميع بأن يخرجوا، فشرعوا واحداً تلو الآخر في النزول. لم تحل بري ماكينزي حزام الأمان، وتخرج من الشاحنة، متفادياً بقعة كبيرة من الطين في اللحظة الأخيرة. ورغم أنها نبّهت أليس، فإنها نزلت من الشاحنة بالفعل، فتطايرت بقع الطين لتُغرق وجه المرأة الشقراء، ويغرق حذاؤها باهظ الثمن في الوحل. حسرت أليس شعرها كله خلف أذنيها، ونظرت إلى الأسفل:

- اللعنة! بداية جيدة للرحلة.

قالت بري تلقائياً:

- آسفة لذلك، هل تلوّث حذاؤك؟

تفقدت أليس حذاءها، وقالت:

- لا، أعتقد أنه يمكنني مسابرة الأمر.

ثم ابتسمت، ومضت في طريقها، فزفرت بري زفرة ارتياح. ارتعشت، فشدت سحابة سُترتها للأعلى حتى رقبته؛ إذ كان الجو باردًا ومعيقًا برائحة أشجار الكافور الرطب، وإذ تنظر حولها رأَت مواقف السيارات المكسوة بالحصى فارغة، فاعتقدت أن الفترة التي جاؤوا فيها ليست موسمًا سنويًا. سارت حتى مؤخرة الشاحنة، حيث كانت الحقائق تُفرغ، لكنها بدت أثقل مما تتذكر. كانت لورين شو عند مؤخرة الشاحنة بالفعل، منحنية بقامتها الطويلة، محاولةً أن تُخرج حقيبتها من أسفل كومة الحقائق. لم تُكن بري تعرف لورين بقدر معرفتها بآخرين من طاقم الإدارة، لكنها كانت تعرف كيف تساعد الناس، فقالت للورين:

- أتريدين مساعدة؟

- لا، الأمر على ما يرام.

- أنا لا أمانع.

ووصلت بري إلى الحقيبة التي كانت لورين تحاول إخراجها، إلا أن الأمر قد تخلَّه بعض الإحراج الغريب، بينما تحاول كلُّ منهما سحب الحقيبة تجاهها. كانت عينا لورين بنفس لونهما الرماديّ بلون السماء، لكنها قد منحت بري ابتسامة صغيرة، وقالت:

- أعتقد أنني أخرجتها، شكرًا لك، أتريدين مساعدة؟

لوّحت بري بيديها، وقالت:

- يا إلهي! لا، أشكرك.

ونظرت إلى السماء، فرأت السماء وكأنها تتأهب لتتلبد بالغيوم.

- آمل ألا تغرقنا السماء بأمطارها.

- بحسب نشرة أخبار الطقس، فلن تمطر.

- أوه! حسنًا، حتى الآن، لكن من يدري!

- لا...

وبدت لورين أنها قد ابتهجت بنفاؤل بري.

- لا، لا أعتقد أنك قد فعلت ذلك من قبل.

وكانت على وشك أن تُكِمِّل حديثها، حينما دعته أليس باسمها، فنظرت

لورين إليها، ورفعت حقيبتها على كتفها، وقالت لمحدثتها:

- عذراً!

سارت لورين مبتعدةً على الحصى صوب أليس، تاركةً بري وحدها مع الحقائق، فقررت بري أن تسحب حقيبتها، وحاولت حملها، فاندھشت قليلاً من أثر وزن الحقيبة الذي لم تعتده.

- ستعتادين ذلك.

نظرت بري إلى الأعلى لتجد أن السائق يبتسم لها. كان قد عرّف نفسه حين صعد إلى الشاحنة عندما كانوا في مليورن، لكنها لم تكلف نفسها عناء تذكر الاسم، ثم ما هي ذي الآن تبحث عن أيّ إشارة. كان أصغر مما تعتقد، وأغلب الظن أنه كان في مثل عمرها، أو أكبر قليلاً. وعلى أيّ حال لم يكن يتجاوز الثلاثين من العمر، بيدين متيبستين، وعقلات أصابع تنتمي إلى رحالة محترف. كان نحيفاً، لكنه بدا قوياً. كُتب على كنزته الحمراء المصنوعة من الصوف بشكل مطرّز: «مسؤول الرحلة»، لكن لم يكن هناك إشارة لاسمه، ولم يكن في وسعها أن تقرر إذا ما كان وسيماً أم لا. أخذ الرجل الحقيبة منها، وساعدها في ربط ذراعيها بالأربطة.

- تأكّدي أنها مربوطة جيداً، سيساعد هذا كثيراً.

ضبطت أصابعه الطويلة مشابك وأبازيم الحقيبة حتى تفاجأت بري أن الحقيبة ليست خفيفة فقط، بل خفيفة جداً. كادت بري أن تشكره لولا أن رائحة نفاذة من دخان السجائر ملأت الجو، فاستدارت صوبها، وكانت بري على علم بما سوف تجده.

كانت بيثاني ماكينزي تقف على مسافة من المجموعة بكتفيها المنحنتين، تحمي بيد السيجارة من الرياح، ويدها الأخرى موضوعة في جيب معطفها. غفت في الشاحنة عندما بدؤوا المسير، وتثاقل رأسها، فنامت على النافذة، واستيقظت، وهي تشعر بالإحراج. تنحج السائق، وقال:

- التدخين ممنوع هنا!

توقفت بيثاني، وهي تسحب من السيجارة:

- لكننا في الخارج!

- نحن في نطاق المتنزه، لكن هناك منطقة حرة حوله، يمكنك التدخين فيها!

بدت بيثاني متمردة لدقيقة، لكن عندما رأت كل الأعين تنظر حولها، هزت كتفيها، ورمت السيارة أرضاً، ثم داست عليها بقدمها، وأحكمت إغلاق معطفها حولها. اعتادت بري هذا السلوك القديم من بيثاني، لكنه لم يعد يناسبها كالسابق. حوّل السائق انتباهه مرة أخرى إلى بري، وابتسم ابتسامة متواطئة:

- هل تعملين معها منذ زمن طويل؟

قالت بري:

- منذ ستة أشهر، لكنني أعرفها منذ الأزل، فهي أختي.

قلّب السائق نظره بينهما في ذهول، وكانت تعرف أنه سيقول:

- أأنتما أختان؟!

أمالت بري رأسها قليلاً، ثم جرت بيدها على ذيل شعرها الطويل الفاحم،

وقالت:

- توءمان في الواقع، متشابهتان.

لأنها اعتقدت أنها ستستمتع بتلك النظرة على وجهه. وبدوره لم يخيب ظنّها؛ فتح السائق فمه عندما ضرب الرعد في السماء، فنظر الجميع إلى الأعلى. ابتسم السائق، وقال:

- آسف، من الأفضل أن نتحرك الآن حتى يكون بوسعكم بدء الرحلة. سأمنحكم الوقت الكافي للوصول إلى الموقع قبل حلول الظلام، لأن الشيء الأسوأ من متنزه مبلّل هو متنزه مبلّل للغاية.

أخرَجَ آخر ما تبقى من الحقائب، واستدار لجيل بيلي، التي كانت تصارع بإدخال زراعها السميقة خلال حزام كتف حقيبتها، فتقدمت بري لتقديم المساعدة، رافعة الحقيبة حتى تتمكن جيل من حملها. قال السائق لجيل:

- أتريدين أن تتقدمي الصف؟ بإمكانني اصطحابكن سيداتي، أو ننتظر حتى يصل الجميع إذا كنتن تفضلن ذلك؟

استطاعت جيل إدخال زراعها بصعوبة، ثم تنفست بعنف، وتحوّل وجهها إلى الأحمر من أثر الجهد. نظرت إلى طريق الوصول، وجدتها فارغة، فقطّبت جبينها. قال أحد الرجال بضحكة مهذبة:

- كان يجب على دانيال أن يسبقنا إلى هنا بسيارة مثل سيارته!

ابتسمت جيل ابتسامتها الرسمية دون أن تقول أيَّ شيء. كان دانيال ببلي أخاها، لكنه يظل المدير التنفيذي للشركة، ولذلك اعتقدت بري أن بإمكانه أن يتأخر. كانت بري قد شاهدت جيل تتلقى مكالمة هاتفية قبل نحو عشر دقائق من تحرُّك الشاحنة من مقر الشركة. وقد ابتعدت جيل عن مسامع الآخرين، وهي تقف ثابتةً، وتضع يديها على خاصرتها، وهي تستمتع. وكالعادة، حاولت بري فك رموز تعبير وجه مديرة الشركة؛ منزعة؟ ربما، وربما كان تعبير وجهها ينمُّ على شيء آخر، لكنها على أيِّ حال كانت تجد أن من الصعب قراءة تعبيرات وجه جيل. بعد عدة دقائق، أغلقت جيل هاتفها، وعادت إلى المجموعة مرة أخرى، وقد اختفت نظرتها.

دانيال سيتأخر، بسبب العمل كالعادة. سيكون عليهم أن يبدؤوا دونه، وسيتبعهم بسيارته بعد ذلك. والآن، بينما يتركون موقف السيارات، لاحظت بري أن فم المرأة يضيق عند زواياه. صارت السحب أثقل، وشعرت بري برذاذ المطر يضرب كنزتها، بينما الطريق لا تزال فارغة.

استدارت جيل إلى الرجال الأربعة الواقفين عند الشاحنة بحقائبهم، وقالت:
- الحق أنه لا فائدة من أن ننتظر دانيال جميعًا، فمن المفترض أنه ليس ببعيد عنا.

لم تخلق أذعارًا لأخيها، وسعدت بري بذلك. كان ذلك أحد الأشياء التي تحترمها بري لأجلها، وهي أنها لم تخلق أذعارًا قط. ضحك الرجال، وهزوا أكتافهم. كان الأمر على ما يرام. بالتأكيد كان كذلك، كما اعتقدت بري؛ إذ كان دانيال ببلي هو رئيس الشركة، فما الذي يمكن قوله أكثر من ذلك؟ صفق السائق ببديه، وقال:

- حسنًا، دعونا ننتقل بكن على الطريق، سيداتي، تفضلن من هنا.
نظرت النساء الخمس إلى بعضهن، ثم تبعنه عبر موقف السيارات. معطفه الصوف ذو اللون الأحمر مميز، نظرًا لوجود الغابات من كل ناحية بلونها الأخضر والبني. الحصى يُطحن تحت أحذيتهم قبل أن يصلن إلى العشب الطيني. توقف السائق في بداية الطريق، وأسند يده إلى اليافطة الخشبية القديمة، تحتها سهم خشبيٌّ مكتوب عليه كلمتان: «شلاتات ميروور». سأل السائق:

- هل أحضرتن متعلقاتكن كافة؟

شعرت بري أن الجميع استدار لينظر إليها، فيما كانت تتفقد جيب كنزتها. وجدت الخريطة مطويةً بإحكام، واستطاعت أن تشعر باللمس الغريب للبلاستيك الحاد للبوصله، وكانت قد قضت نصف يوم في دورة لتتعلم كيفية استخدامها، وفجأة شعرت أنها لا تتذكر الكثير مما تعلمته. كان السائق يقول:

- لا داعي للقلق، من النادر أن تَحْتَجْنَ إلى مثل هذه الأدوات في هذه المرحلة. اعْتَمِدْنَ على حاسة الشم فقط، وستَجِدْنَ المعسكر الأول بسهولة، إذ لا يمكنك تجاوزه. هناك الكثير من الانحرافات والاستدارات بعد ذلك، لكن إذا أبقيتن أعينكن مفتوحة، فلن تَضِلْنَ. سأراكن على الجهة الأخرى يوم الأحد. أترتدي أحدكن ساعة يد؟ حسنًا. الموعد النهائي للتجمع ظهرًا، وسأُنزِلُ عقابًا بكل مَنْ تتأخر خمس عشرة دقيقة!

- ماذا لو انتهينا مبكرًا، هل بوسعنا العودة إلى ملبورن قريبًا؟

نظر السائق إلى أليس:

- من الجيد أن أسمع أنك تشعرين بالثقة.

هزت كتفيتها:

- أنا في حاجة إلى العودة ليلة الأحد، من أجل أمر ما.

نظر السائق إلى الرجال الواقفين على مسافة متكئين على الشاحنة

يثرثرون، في حين كان ينقصهم واحد، وقال:

- حسنًا، نعم، سنفترض أنه يمكننا ذلك، إذا وصل الفريقان إلى نقطة

التجمع مبكرًا، لكن اْحْذَرْنَ، ليس عليك أن تَكْسِرْنَ رقابكن؛ إذ إن

المرور يوم الأحد ليس سيئًا. لو التقينا عند نقطة التجمع في الثانية

عشرة، سأعود بكن إلى المدينة قبل العصر.

لم تجادل أليس، لكن ضَمَّتْ شفيتها معًا. أدركت بري معنى تلك النظرة،

حيث كانت تعني أنها تجاهد نفسها، كيلا تواصل الحديث. نظر السائق إلى

كل وجه من الوجوه الخمسة، وقال:

- أليكن أيُّ أسئلة؟ حسنًا، دعونا نلتقط صورة.

بري رأت جيل مترددة؛ إذ كانت نشرة الشركة مشكوكًا بها من حيث

اتساقها وأهميتها، فأعطتها جيل محفظتها بطريقة تعوزها الحماسة. نظرت

إلى الشاحنة، حيث كانت هواتفهن تقبع في حقيبة يد صغيرة في مقعد السائق، وقالت:

- لم أحضر هاتفي.

قال السائق:

- حسنًا، سأستخدم هاتفي.

ثم أخرج هاتفه من جيبه، وتابع حديثه:

- تَجَمَّعْنَ، إِزْدَدْنَ قَرَبًا مِنْ بَعْضِكُنَّ. هَا نَحْنُ أَوْلَاءُ هُنَا. حَاوِطْنَ بَعْضِكُنَّ، سِيدَاتِي، تَظَاهِرْنَ بِأَنْكُنَّ تُحِبِّينَ بَعْضِكُنَّ بَعْضًا.

شعرت بري بأن جيل تحيط خصرها بذراعها، وابتسمت. تفقد السائق شاشة الهاتف، وقال:

- حسنًا، لقد التقطتها. حسنًا، هذا كل شيء. بإمكانكن الذهاب الآن. حظًا سعيدًا، وحاولن الاستمتاع.

استدار عائداً، ولوح بيديه مودعاً، وترك النساء الخمس وحدهن. وقفن في مكانهن بلا حراك حتى تحركت جيل، ثم أنزلن أذرعهن عن بعضهن. نظرت بري إلى جيل، فوجدت أن جيل تنظر إليها.

- كم يبعد المخيم الأول؟

- سأفقد ذلك.

فضت بري الخريطة، محاولةً فردها، بينما الرياح تُطير الحافات. وضعت دائرة على نقطة البداية، والطريق باللون الأحمر. كان بوسعها أن ترى الطريق تنحرف، وهي تحرك إصبعها على طول الخط محاولةً أن تجد المعسكر الأول. أين كان ذلك؟ نزلت نقاط من المطر عند زاوية الورقة، فانحنت الورقة على نفسها، وانثنت. حاولت بري أن تفردها بشكل أفضل، وزفرت بصمت حينما وقعت يدها على المخيم التالي الواقع بجانب إبهامها.

- حسنًا، ليس ببعيد. (وحاولت أن تفك شفرة الخريطة) ليس على درجة كبيرة من السوء.

قالت جيل:

- أظن أن تفسيرك ليس على درجة كبيرة من السوء، يختلف عن تفسيري.

قالت بري -عن غير قصد- ليبدو حديثها على هيئة سؤال:

- إذا كنتِ تقصدين المسافة بالكيلومتر، فهي لا تزيد على عشرة.
رفعت جيل حقيبتها أعلى قليلاً على كتفها، وبدأت بالفعل مرتاحة:
- حسنًا، تقدّمي الطريق.

بدأت بري المسير. صارت الطريق أكثر ظلمةً بمجرد أن سِرْنَ خطوات فقط؛ إذ ظلَّت الأفُرُع الطريق، فحجبت ضوء السماء. كان بوسعها أن تسمع قطرات الماء تتساقط من أوراق الشجر، ومن مكان ما، غير مرئيٍّ، سمعت صوت طيور الجرس الأبيض. نظرت إلى وجوه السيدات الأربع خلفها، فلم تتبين ملامهن من أثر قلنسواتهن. كانت أليس الأقرب؛ إذ كانت خصلات من شعرها الأشقر تتطاير من أثر الرياح.
- عملٌ جيّد.

قالت بري ذلك، وابتسمت مقررةً أنها على الأرجح تعني ذلك. كانت لورين تلاحقها، وعيناها تتابعان الأرض غير المستوية، في حين أن وجنتي جيل المستديرتين قد توردتا قليلاً، واستطاعت بري رؤية أختها في مؤخرة الصف. بيث كانت وراءها بخطوات في حذائها المستعار، ومعطفها الضيق. تلاقت أعين الأختين، إلا أن بري لم تبطئ من سيرها. ضاقت الطريق، وانحنت لتأخذ شكل زاوية، واختفى آخر ضوء كان يأتي من المعسكر، بينما تغلق الأشجار الطريق عليهن.

الفصل الرابع

كان موقف سيارات المتنزه قد امتلأ؛ إذ تراصت شاحنات المفتشين المتطوعين بشكل مضغوط، بجانب سيارات الأخبار ومركبات الشرطة. أوقف فولك السيارة للمرة الثانية خارج النزل، وترك كارمن جالسة في السيارة. ضرب أرض الشرفة بقدمه، فضربته موجة من الدفء، بينما يفتح الباب. وجد فولك مجموعة من المفتشين مجتمعين في ركن منطقة استقبال ذات منصة خشبية، متحلقين حول خريطة. من جهة، كان ثمة مدخل ينتهي بباب مطبخ مشترك. ومن الجهة الأخرى، كان بوسع فولك أن يرى ردهة بها أرائك بالية، ورقاً مملوءاً بالكتب الممزقة، وألعاب الطاولة. وفي الزاوية يوضع جهاز كمبيوتر تحت لافتة كُتِبَ عليها بخط اليد: «لاستخدام النزلاء فقط»، إلا أن فولك لم يكن متأكداً ما إذا كان ذلك طلباً أم تهديداً!

لم يكلف موظف الاستقبال الذي يقف خلف المكتب نفسه عناء النظر إليه، وهو يتقدم منه، بل قال له:

- آسف يا رفيق، النزل مملوء عن آخره، لقد جئتَ في وقت صعب!

قال فولك:

- أيمكنني أن أجد الرقيب كينج؟ فهو يتوقع قدومي.

نظر إليه الموظف هذه المرة:

- آسف، عندما رأيتك تقترب اعتقدت أنك... (ولم يكمل جملته. رجل أحرق

آخر!) الرقيب كينج في الخارج في مهمة البحث. أتعلم موقعه؟

- لا.

فَرَدَ الموظف الخريطة أمامه على المكتب، فرأى فولك اللون الأخضر منتشرًا على الخريطة، تتخلله بعض الخطوط الملتوية التي تشير إلى الطرق والمسارات، وتناول الموظف قلمًا، وراح يشرح ما يشير إليه:

- بعد انتهائك من طريق القيادة، ستتبعها طريق ريفية، ستسير في كتلة خضراء إلى الغرب حتى تجد مفترق طرق، حينها سيكون عليك أن تستدير شمالًا على الفور.

أنهى الموظف تعليماته، ورسم دائرة على نقطة الوصول، فبدت وكأنها في منتصف اللامكان.

- إنها على بعد عشرين دقيقة من هنا بالسيارة تقريبًا، لا تقلق.

سَلَّمَ الرجل الخريطة إلى فولك، وقال:

- أعدك أنك سوف تعرف المكان عندما تصل إليه.

- شكرًا.

في الخارج لَفَعَه البرد مرة أخرى. فتح باب السيارة، وقفز إلى مقعد السائق، وفرك يديه ليقيهما شر البرد. كانت كارمن تتطلع للأمام، محدِّقةً عبر زجاج السيارة الأمامي. أسكنته عندما بدأ حديثه، وأشارت، فنظر فولك لما تحدَّق إليه. عبَّر موقف السيارات، ثمة رجل في أواخر أربعينياته يرتدي سروالًا من الجينز، وسُترة تزلُّج، في طريقه للوقوف عند صندوق سيارة «بي إم دبليو» سوداء. قالت كارمن:

- انظر، إنه دانيال بيلى، أليس كذلك؟

ما خطر على بال فولك أولاً أن الرئيس التنفيذي لشركة بيلى تينانتس بدا مختلفًا في الزي غير الرسمي. لم يَكُن قد رآه شخصيًا من قبل، حيث كان الرجل ذا لياقة بدنية، لم تَكُن الصور الصحفية تُظهِرها. كان أقصر مما توقع فولك، لكنَّ كتفَيْه متباعدتان عن بعضهما. لون شعره بنيٌّ فاحم، دون أثر لوجود أيِّ شعرات رمادية. وهي طريقة أكدت لفولك أنه إذا لم يَكُن لون شعره طبيعيًا، فهي صبغة غالية، وذات جودة عالية. لم يَكُن بيلى يعرفهما، ولم يَكُن عليه أن يعرفهما، لكن مع ذلك، وجد فولك نفسه يجلس للأسفل قليلًا في مقعده. قالت كارمن:

- أتساءل إذا ما كان يساعد في البحث بالفعل أم لا؟

- أياً ما كان الذي يفعله، فهو بعيد عنا في الفترة الحالية.

ثم انغرس بيلى بحذائه في الوحل. راقبا الرجل، وهو يبحث عن شيء داخل صندوق سيارته الغالية، التي بدت كحيوان أسطوريّ دخيل وسط السيارات والشاحنات البالية. وأخيراً، عدّل وقفته، ودسّ شيئاً أسود داخل جيب سترته. قالت كارمن:

- ما هذا؟

- بدا كما لو أنه زوجان من القفازات.

نقر بيلى على صندوق السيارة، فانطلق في صمت مهيب. وقف لدقيقة أطول، يحدّق إلى الأدغال، ثم سار صوب كبائن الإقامة، مطأطئاً رأسه اتّقاء للريح. قالت كارمن، وهما يراقبانه يتراجع:

- إن كونه هنا هو وجيل، قد يجعل الأمور صعبة!

- نعم.

لقد كان ما قاله يبدو استخفافاً، وهما يعلمان ذلك. أدار فولك المحرك، وأعطى الخريطة لكارمن.

- على أي حال، في الوقت الحالي، هذه هي وجهتنا.

نظرت إلى الدائرة حول الكتلة الخضراء.

- ماذا هناك؟

- هذا هو المكان الذي وجدوا فيه الجثث الأربعة الأخرى.

عفشة السيارة كانت تعاني، فقد كانت ترتطم طوال الوقت في طريق غير معبّدة؛ إذ تشعر بكل هزة في السيارة، بينما أشجار الكافور تقف كالحراس على جانبي الطريق. وفوق أزيز محرك السيارة، استطاع فولك أن يسمع صفيراً ضعيفاً، لكنه حاد. حوّلت كارمن عينيها عبر الزجاج الأمامي:

- يا إلهي! هل هذا بفعل الرياح؟!

- أعتقد ذلك.

رَكَّز فولك عينيه على الطريق، بينما الأدغال تزداد كثافةً حولهما. تُمسِك يده المحروقة بعجلة القيادة، لكن الشعور بالألم بدأ يضغط عليه. أخيراً كان موظف الاستقبال على حق؛ إذ لم يَكُن بوسعهما أن يضلا الطريق. بمجرد أن استدار فولك بالسيارة وجد الطريق أمامه قد تحوّلت إلى خلية نشطة. كانت

السيارات تقف من أول إلى آخر جانب الطريق، وهناك مذيعة تتحدث بجديّة إلى الكاميرا، وتشير إلى فرق البحث خلفها، وآخر يقف حول طاولة وُضع عليها ترمس حراريٌّ للقهوة، وزجاجات المياه. وأوراق الشجر تسقط من فوق الأشجار، بينما تحوم بعض طائرات البوليس في الأعلى.

وقف فولك في مؤخرة الصف، بينما يقترب اليوم من منتصفه، غير أن الشمس كانت بالكاد تظهر في السماء. سألت كارمن أحد رجال البحث عن الرقيب كينج، فأشار صوب رجل طويل في منتصف خمسينياته. كان نحيفًا، ذا نظرة مستنفرة تندفع من الخريطة إلى الأدغال، ثم نظر باهتمام إلى فولك وكارمن، وهما يتقدمان إليه. صافحهما، وهما يقدّمان أنفسهما، وينظران من خلفه إلى كاميرا التلفاز، فقال:

- شكرًا لقدومكما، لنبتعد قليلًا عن الضجيج.

ساروا لفترة قصيرة على الطريق إلى أن وصلوا إلى جانب شاحنة كبيرة تقيهم الرياح بشكل جزئيّ. قال فولك:

- ألم يصادفكم الحظ بعد؟

- ليس بعد.

- كم مرة خرجت في رحلات بحث من هذا النوع؟

- الكثير من المرات، أنا هنا منذ عشرين عامًا. يضل الكثير من الناس طريقهم هنا طوال الوقت.

- وما مدى سرعة عثورك عليهم؟

- هذا يتوقف على عدة عوامل، مثل كم طرف خيط يمكننا أن نصل إليه؟ أحيانًا نكون محظوظين، ونعثر على المفقودين على الفور، لكننا غالبًا ما نستغرق وقتًا أطول.

زفر كينج زفرة حادة، وقال:

- لقد ظلت وحدها لثلاثين ساعة على الأقل حتى الآن، لذا، فإن الوضع المثاليّ هو أن نعثر عليها اليوم. يبدو أنها قد نما لديها إحساس بوجود جمع مياه المطر لتشربها، وهو أمر مهم، لكن من المرجح أنها لم تتناول أيّ طعام، كما يجب علينا أن نأخذ خطر انخفاض حرارة الجسم في الحسبان أيضًا، فدرجة حرارتك يمكن أن تنخفض بدرجة كبيرة

لو كنت مبلاً، لكن كل شيء يتوقف على طريقة تعاملها مع الأمر. قد يكون الحظ حليفها؛ إذ من الواضح أنها مارست التخيم عندما كانت أصغر من ذلك. وغالباً من يمارس التخيم يمكنه العيش وحده لفترة. (ثم توقف، وقال): وفي بعض الأحيان.. لا يكون الأمر كذلك.

كارمن:

- لكنك دائماً ما تتمكن في النهاية من العثور عليهم، أقصد في نهاية الأمر.

- بشكل شبه دائم، حتى في سنوات كوفاك وجدتهم الشرطة في النهاية، عدا تلك الفتاة. منذ ذلك الوقت وأنا أفكر فقط في الحاليتين الغربيتين اللتين لم نفض أسرارهما حتى الآن. لقد تلقينا من قبل بلاغاً عن رجل من خمسة عشر عاماً، لم يكن بصحة جيدة؛ قلبه معتل، ولم يكن عليه أن يخرج في رحلة بمفرده قط. من المرجح أنه جلس ابتغاء راحة في منطقة هادئة، فأصيب بأزمة قلبية. كما أننا قد تلقينا بلاغاً آخر منذ عشر سنوات عن زوجين، لكن هذه الحالة كانت غريبة بعض الشيء، في أوائل الثلاثينيات، بدوا صالحين، ومن ذوي الخبرة إلى حد ما، لكن اتضح بعد ذلك أنهما يهربان من الديون المتركمة عليهما في بلدهما؛ نيوزيلاند.

فولك:

- إذن، ماذا؟! أعتقد أنها اختفت عمداً؟
- لست أنا من يقول ذلك يا رفيق، لكن هذه ليست الحالة الأسوأ التي تتوارى عن الأنظار.

تبادل فولك وكارمن نظرة. قالت كارمن:

- إذن، ما الذي سيحدث في الوقت الحالي؟
- أليس راسل كانت ضمن مجموعة من خمس نساء نزلن في بداية شلالات ميرور يوم الثلاثاء -ومن الممكن أن يُريك شخص ما المكان إذا أردت-، مزودات باللوازم الأساسية؛ خريطة، خيم، بوصلة، وبعض الطعام. كان من المفترض أن يتوجهن للغرب، على أمل أن يكملن ذلك التمرين

اللعين الذي يهدف إلى بناء روح العمل بين الفريق خلال اليوم، وهو مخيم لثلاث ليالٍ.

قالت كارمن:

- أهو من مخططات المتنزه؟
- لا، نظمته شركة خاصة تعمل هنا منذ عدة سنوات، وهي ليست سيئة. أميل إلى فهم طريقة عملهم. هناك أيضًا مجموعة من خمسة رجال من نفس الشركة خاضوا الرحلة نفسها، لكن عبر طريق مختلفة، إلا أن كلا الفريقين كان من المفترض أن يلتقيا في نقطة تجمّع واحدة هنا، عند منتصف ظهيرة أمس.
- لكن مجموعة النساء لم تصل.
- لا، حسنًا، لقد وصل أربع منهن في النهاية، لكن متأخرات بست ساعات عن المعدل الطبيعي، وفي حالة يرثى لها؛ أُصِبن ببعض الإصابات، وبعض القطوع والكدمات، وبعض الخبطات في الرأس، كما أن واحدة منهن أُصيبت بعضة ثعبان.

قال فولك:

- يا إلهي! أيهن؟ هل هي بخير؟
- نعم، على الأغلب. بريانا ماكينزي. ومما استطعتُ جمعه عنها، أعتقد أنها مساعِدة ليست ذات قيمة كبيرة، إلا أن جميعهن لديهن تلك المسميات الوظيفية اللعينة. على أيِّ حال، على الأرجح نوع الثعبان الذي لدغها من الثعبان السجاد، لكنهن لم يَكُنَّ يعرفن ذلك في هذا الوقت، ولذلك فقد أخرسهن الخوف، معتقداتٍ أن ما لدغها أفعى النمر، وأنها ستسقط ميتة، لكن ذلك لم يحدث، لأن ما لدغها ليس ثعبانًا سامًا، لكن اللدغة أتعبتها فسَلِّمت نفسها للمركز الطبيّ ليومين.

كارمن:

- أعادت إلى ملبورن؟
- فهز كينج رأسه.
- المستشفى المحليّ كان أفضل خيار لها، فعندما تضعين جرعة زائدة من الثلج في مكانٍ ناءٍ في الأدغال، سيتعين عليك الذهاب للأطباء

في أقرب مستشفى؛ إذ عندما يلدغك ثعبان، عليك أن تحيطي نفسك بالأطباء الذين يعرفون الأحياء البرية، صدقيني. إن أختها تصاحبها في المستشفى.

ثم سحب دفترًا من جيبه، ونظر إلى الأسفل، وتابع حديثه:

- إن بيثاني ماكينزي كانت معهن في الرحلة أيضًا، لكن على ما يبدو أنها لم تُصَبْ بأذى.

نظر كينج خلفه إلى المفتشين، فوجد مجموعة منهم يتجهزون للدخول إلى الأدغال، مرتدين ستراتهم البرتقالية الزاهية وسط الكتلة الخضراء. واستطاع فولك أن يجد فاصلاً وسط صف الأشجار، يوصل إلى طريق، وقد مُيِّز بمصباح خشبيّ وحيد. تابع كينج:

- نحن نعلم أنهم خرجن عن الخط المرسوم في اليوم الثاني، لأنهن لم يصلن إلى موقع التخيم في تلك الليلة؛ إذ إن مسار الكنغر الكبير نسبياً هو ما أخرجهن عن الطريق. ونحن نعتقد أن هذا هو المكان الذي ضلن فيه الطريق، وقد استغرق منهن عدة ساعات ليدركن ذلك، لكن عندما أدركن الأمر، كان الأوان قد فات، ووقعن في تلك المشكلات. نظر مرة أخرى إلى دفتره، وقلَّب الصفحة.

- ستكون التفاصيل أكثر غموضاً من هنا فصاعداً. إذا تمكَّن الضباط من أن يحصلوا منهم على ما استطاعوا الليلة السابقة، وفي الصباح، لكن يظل ثمة ثقب يتعين علينا سدّها. يبدو أنهم عُذِنَ على أعقابهن عند إدراكهن أنهم ضلن، ومحاولات الرجوع من حيث جئن، إلا أن تلك طريق سهلة لتستحيل الأمور للأسوأ؛ إذ كان من المفترض أن يأخذن بعض المؤن والمياه من موقع التخيم في الليلة الثانية، لكن عندما لم يتمكن من الوصول، تملكهن الفزع.

تذكّر فولك ما قاله له الرجل في محطة الوقود: «عندما يملكك الفزع، سيكون من الصعب أن تثق فيما تراه». أوماً كينج لفولك:

- كان من المفترض أن يترك الجميع هواتفهن في الشاحنة، لكن ليس أخذت هاتفها، وكما تعلم، فإن الإشارة سيئة في تلك الأماكن، لكن على الرغم من ذلك، قد يصادفك الحظ في بعض المرات، لكن ليس على

الدوام. على كل حال، ظللتن يهْمَنَّ على وجوهن حتى يوم الثلاثاء عندما تعثرن بكوخ مهجور.

توقف عن الكلام، وبدا كما لو أنه سيقول شيئاً لآخر، لكنه غير رأيه.

- حتى الآن، لسنا على يقين من موقع الكوخ بعد، لكنهن اختبأن فيه تلك الليلة. وعندما استيقظن صباح أمس، كانت المرأة المفقودة قد رحلت، أو هذا ما تقوله النساء الأربع.

عبس فولك:

- وماذا حدث لها وفقاً لهن؟

- إنها رحلت من شدة غضبها؛ إذ كُنَّ يتداولن الرأي فيما بينهن عن الطريقة الأفضل لمواجهة ما يمررن به. ومن الواضح أن أليس كانت تُصِرُّ على أن يهْمَنَّ على وجوهن في الأدغال ناحية الشمال إلى أن يجِدن طريقاً، ولم تُكن سعيدة عندما لاقت فتوراً منهن تجاه رأيها!

- وماذا تعتقد أنت؟

- يمكن أن يكون ذلك صحيحاً؛ إذ إن حقيبتها وهاتفها قد اختفيا معها. كما أنها أخذت مصباح المجموعة الوحيد الذي كان معهن. (ثم اتخذ فمه وضعاً جاداً، وتابع) ونظرًا لكمية الإصابات والضغط الذي وقعن به، يمكنني أن أسرِّ لك أنه يمكن أن يكون قد ارتكبت بعض الحماقات العدوانية في بعض الأوقات.

قالت كارمن:

- أتعقد أنهن تعاركن؟ جسدياً؟ حول ماذا؟

- كما قلت، هذا أمر لم نحسمه بعد، فنحن نتحرك بأقصى ما في وسعنا تحت تلك الظروف، لأن الدقائق لها حسابها عندنا، ولذلك فالبحث هو أولويتنا الآن.

أوماً فولك:

- وكيف تمكنت النساء الأربع من أن يجدن طريقاً للخروج؟

- لقد أصررن على السير شمالاً حتى يجدن طريقاً، ثم عُدن مرة أخرى. هذا تكنيك صعب، لكن لم يَكُن لديهن خيار آخر، إذ ما الخيارات التي ستتوفر لهن مع وجود واحدة منهن أصابتها لدغة ثعبان، بالإضافة إلى

كل الظروف الأخرى التي تعرّضن لها. لقد استغرق منهن ذلك ساعات، لكنهن نجحن في النهاية. (ثم زفر زفرةً) نحن نحاول بكل جهدنا لنعثر على ذلك الكوخ، ففي أفضل الأحوال ستكون قد وجدت طريقًا للعودة، واستقرت هنا.

لم يسأل فولك عن السيناريو الأسوأ، فبيّن مخاطر الأدغال، كان بوسع مئات من الاحتمالات أن ترد في رأسه. قال كينج:

- هذا ما وصلنا إليه، والآن.. دورك.

أخرج فولك هاتفه، لأنه كان قد حفظ البريد الصوتي الذي أرسل إليه من أليس راسل، وهو سعيد، لأن لديه شيئًا مثل هذا في الوقت الحالي. لم تكن الشاشة تُظهر أن هاتفه يلتقط أي إشارة، فمرّر هاتفه لكينج الذي ضغط على أذنه بصعوبة ليسمع أي شيء. غطى كينج الأذن الأخرى بيده، وأغلق عينيه في جهد ليسمع. سمع التسجيل مرتين أخريين قبل أن يعيد الهاتف إلى فولك مرة أخرى، وقال:

- يا للرياح اللعينة! هل يمكنك أن تقول لي ما الذي كنتما تتحدثان بشأنه؟ طارت المروحية مرة أخرى، فدخلت الأشجار في نوبة هيجان. نظر فولك إلى كارمن، فردت عليه بإيماءة بسيطة. قال فولك:

- لقد رأينا دانيال بيلي في موقف السيارات في المتنزه؛ المدير التنفيذي للشركة التي يعملون فيها جميعًا. لقد كان اسمه على قائمة المشاركين في تلك الرحلة.

- المدير؟ نعم، أعرف من هو، لقد كان ضمن فريق الرجال.

- هل كانت مجموعة الرجال على اتصال بمجموعة النساء، عندما كانوا في الرحلة؟

- بشكل رسمي، لا، لكن بشكل غير رسمي، نعم. لقد أبلغت بأن بعض الاتصالات قد أُجريت بينهم، لكن لماذا تسأل؟

قال فولك:

- لقد كان هذا ما نتحدث بشأنه مع أليس راسل، ودانيال بيلي.

اليوم الأول: ظهيرة يوم الخميس

كان بوسع جيل ببلي أن ترى مؤخرة رأس أليس تبتعد عنها مع كل خطوة تخطوها. مشين لعشرين دقيقة فقط قبل أن يُنذر كعب حذائها من جهة اليسار بنذير خطير، على الرغم من الثمن الباهظ الذي دفعته لشراء حذاء وُصف على أنه «ذو تقنية عالية للراحة»، فقد كان الجو باردًا، إلا أن قميصها كان ملتصقًا بإبطيها مع سقوط حبات من العرق لتغرق صدريّتها. بدت جبهتها مبللة ولامعة، فيما تمسحها بلطف بأكامها.

خطر لها أن الشخص الوحيد الذي يمر بفترة صعبة الآن هي بيت؛ إذ كان بمستطاعها أن تسمع الحشجة التي تصدر عن رثتين مدخنتين وراءها. وعلى الرغم من أنها أدركت أنه كان عليها أن تلتفت إليها، وتقول شيئًا على سبيل التشجيع، فإنها في تلك اللحظة، لم يكن بوسعها التفكير في شيء لتقوله؛ إذ لم يكن لديها ما يقنع.

بدلاً من ذلك، ركزت على ثبات أداؤها، محاولةً ألا تُظهر انزعاجها. وذكّرتها قطرات الماء التي تتساقط من أوراق الشجر بفصول التأمل التي كانت تحضرها في المنتجعات الصحية. كانت هذه هي فكرتها عن إجازة الأسبوع الجيدة، أما مساعي قضاء إجازة الأسبوع في الخارج، فقد كانت على الدوام من أفكار دانيال.. دانيال اللعين! وتساءلت في تلك اللحظة عما إذا كان قد وصل إلى المتنزه في الوقت الحالي أم لا. شعرت بتغيُّر في حركة الطابور أمامها، فرفعت رأسها عن الطريق لترى أن الآخرين يُبطئن. توسع الدرب حينما بدأت الأشجار في التضاؤل من حولهن، فأدركت على الفور أن ما حسبته رياحًا كان مجرد قطرات من المياه. لحقت بهن عند حافة خط الأشجار، ورمشت عندما انحسرت الأدغال على عجل كاشفةً عن شلال متساقط من الجدار الأبيض.

قالت جيل:

- يا إلهي! أمرٌ لا يُصدّق، يبدو أننا وصلنا إلى الشلالات.

- مدهش!

كانت هي الكلمة التي تخطر على البال. نهرٌ حيويٌّ يشق طريقه بنفسه عبر الأشجار، محتدماً وطائشاً، وهو يجري تحت الجسر الخشبيّ قبل أن يسقط سقوطاً حرّاً على الصخر. يسقط كستارة ثقيلة، مُصدِراً زئيراً يُمُّ الأذان في البركة العميقة بالأسفل.

صرخت النساء الخمس، وهن على الجسر متكئات على الدرابزين، وهن يحدّقن إلى الأسفل، بينما الماء يتساقط ويرتج. كان الهواء نضراً لدرجة أن جيل شعرت أن بوسعها لمسها، والهواء النقيُّ يبرد وجنتيها. كانت منومةً مغناطيسياً، ولقد تلبّستها تلك الحالة لدرجة أنها شعرت بخفة وزن حقيبتها على ظهرها، فظنت أنها قادرة على الوقوف هكذا إلى الأبد.

- علينا الذهاب.

جاء الصوت من الجهة الأخرى من الجسر. التفتت جيل بعينيها، فرأت أليس تتقصى الطريق أمامها بالفعل، وقالت:

- سنفقد ضوء الشمس مبكراً هنا، من الأفضل أن نواصل السير.

في اللحظة نفسها، كان التورم الخفيف الذي أصاب كعب جيل يشتعل، وبدأ قميصها يسبّب لها الهياج في جسدها. نظرت إلى السماء الملبدة بالغيوم، ثم نظرت مرة أخرى إلى الشلالات البديعة، وزفرت:

- حسناً، لنواصل المسير.

أبعدت نفسها عن الدرابزين الآمن للجسر الخشبيّ لتلتقط بري، وهي تحدّق إلى الخريطة عابسة. سألت:

- هل كل شيء على ما يرام؟

وردت عليها بري بابتسامة نَدّت عن أسنانها اللامعة. أعادت طيّ الخريطة، ثم حركت ذيل شعرها إلى أعلى كتفها، وأشارت إلى الطريق الوحيدة أمامهن، وقالت:

- نعم، من هذا الاتجاه.

أومات جيل، ولم تقل شيئاً؛ إذ لا يوجد سوى طريق واحدة، وخيار واحد. وأمّلت أن تشعر بري بالثقة بنفسها عندما تكون بصدد اتخاذ قرار ما. كانت الطريق موحلة، وخافت جيل من الانزلاق مع كل خطوة. ومع كل حركة تصدر عنها كان ألمٌ ما يعتصرها على امتداد عمودها الفقريّ. ومن جهتها، لم تكن واثقة إذا ما كان وزن الحقيبة هو ما يتسبب في هذا الألم، أم أن انحناء رقبته

المتواصل لأسفل لمراقبة قدمها هو ما يتسبب به. لم يبعدن كثيرًا عندما سمعن دندنة وطنين الأدغال يصدران صوتًا أمامهن. توقفت بري، وأشارت إلى شيء خارج الطريق.

- انظرن، إنها الشارة الأولى، أليس كذلك؟

قطعة قماش مجعدة ترفرف حول اللحاء الكثيف لأشجار الصمغ. تخففت بري من حقيبتها، واتجهت من بين الشجيرات لتنظر إلى الشارة.
- إنه هو. مرسومٌ عليه شعار شركة الرحلات.

نظرت جيل بطرف عيناها؛ إذ لم تتمكن من التقاط التفاصيل من هذه المسافة. تمطت بري، ووقفت على أطراف أصابعها، لكنها كانت أقصر من أن تبلغ مكان الشارة. نظرت بري حولها، بينما شعرها يتطاير على وجهها:
- أحتاج إلى شيء أقف عليه.

كانت أليس تنظر إلى السماء، ثم قالت:

- لندعه مكانه؛ إنه أمر لا يستحق أن تكسري عنقك من أجله! ماذا سنجني إذا وجدنا الشارات الست في النهاية؟!
- مئة دولار تقريبًا.

- مئتي دولار وبعض الفكة.

التفتت جيل إلى صوت بيت، إذ كانت المرة الأولى التي تتحدث فيها منذ أن انطلقن. طرحت بيت حقيبتها أرضًا، وقالت:
- سأساعدك.

فلاحظت جيل انطفاء الحماس على وجه بري.

- لا، لا عليك، لندعه مكانه.

لكن كان هذا متأخرًا للغاية؛ إذ كانت أختها قد اتجهت بالفعل إلى مكان الشارة.
- مائتان وأربعون دولارًا يا بري، سأحصل عليهم لنفسي إذا كنت لا تريد ذلك!

وقفت جيل بجانب أليس ولورين، طاوياتٍ أذرعهن على صدورهن اتقاء البرد، ويراقبن الأمر. ركعت بري أمام أختها، عاقدةً يديها لتصنع منها عتبة تقف عليها، منتظرةً أن تضع بري حذاءها الموحد على باطن يديها. قالت أليس:

- هذا محض تضييع للوقت! (ونظرت جانبًا إلى جيل) آسفة، ليست الرحلة كلها، بل ما تفعلانه تحديدًا!

راقبت لورين التوعمين، وهما تتمايلان على جذع الشجرة:

- أوه! دعيهما تحاولان. إنهما لا يسببان لنا أيّ أذى، كما أن مئتي دولار تستحقان بذل الجهد عندما تكونين في العشرينيات من عمرك!

نظرت جيل إلى أليس، وقالت:

- فيمَ عجلتُكِ على أيّ حال؟

- حتى ن نصب الخيام قبل أن يُعمّ الظلام، وتمطر السماء.

توقعت جيل أن تكون أليس على حق؛ إذ تواصل السماء تلبّدها بالغيوم، ثم أدركت أنها لم تُعد تسمع شقشقات الطيور.

- سنتحرك خلال دقيقة. لقد كنت في الواقع أتحدث لمصلحتك، لأنك تريدين العودة إلى ملبورن في وقت مبكر من يوم الأحد، ألم تطالبي بشيء مثل هذا؟

صمت الجميع صمتًا غريبًا، ثم لوّحت أليس بيدها، وقالت:

- أوه، انسيّ الأمر!

قالت لورين:

- تريد العودة مبكرًا لحضور ليلة الجائزة للفتيات في مدرسة إنديفور.

ثم وجّهت لها أليس نظرة لم تفهمها جيل. قالت جيل:

- هل الأمر كذلك؟ سنعيدك إذن في الموعد المحدد لحضور هذا الحفل، على ماذا حصلت مارجوت؟

في كل مرة كانت جيل تلتقي ابنة أليس، كانت تشعر بذلك الشعور الغريب، بأنها «كالجوهرة»، ولم يكن بالطبع رأي ابنة السادسة عشرة ليمثل أيّ قيمة بالنسبة إلى عالم جيل، فقد كانت حاجتها إلى مثل هذا النوع من التقدير قد مر عليه خمسة وثلاثون عامًا، إلا أن هناك شيئًا ما بشأن نظرة مارجوت راسل اللطيفة غير مريح على الإطلاق. قالت أليس:

- لقد حصلت على الجائزة الأولى في الرقص.

- رائع.

وافقت أليس التي كانت جيل تعرف أنها تحمل درجة الماجستير في إدارة الأعمال والمحاسبة على ذلك. نظرت جيل إلى لورين، وأدركت أنها لم تلتق بابنتها على الإطلاق، لكنها كانت تعلم أنها في مدرسة إنديفور أيضًا، فقد سمعت مرارًا شكوى رفيقتها من المصروفات الباهظة للمدرسة، وعلى الرغم من أن جيل اهتمت بالأمر، فإنها لم تستطع معرفة اسم الفتاة. قالت أخيرًا:

- هل تحتاجين العودة مبكرًا أيضًا؟

صمت..

- لا، لم تحصل ابنتي على أي جوائز.

عند هذه اللحظة ابتسمت ابتسامة صغيرة، واستدارت جيل ببعض من الارتياح لترى الأختين تلوّحان بالشارة. قالت جيل:

- أحسنتن أيها السيدات.

ابتسمت بري، حتى بيث ابتسمت، ولقد بدّل هذا من مظهر وجهها، حتى إن جيل ظنت أنها يجب أن تضحك كثيرًا. قالت أليس بينما لم يخرج الصوت منها تقريبًا:

- أخيرًا!!

حملت حقيبتها على كتفها، وقالت:

- عذرًا، لكننا لن نتمكن من الوصول قبل أن يُعمّ الظلام إذا لم نتحرك الآن.

- نعم، شكرًا أليس لاقتراحك.

ثم استدارت للأختين:

- عمل رائع يا فتيات!

بينما كانت أليس تسير مبتعدة، ابتسمت بري ابتسامة مشرقة وحازمة. لقد كانت الرعشة الوحيدة على جانب شفيتها بسيطة جدًا، لدرجة أن جيل إذا كانت لم تعرفها جيدًا، كان يجب عليها أن تتخيلها. كانت أليس على حق، إذ كان موقع التخيم في ظلام دامس عندما وصلن. لقد سرّزَ آخر كيلومتر من الرحلة بسرعة السلحفاة، وكُنَّ يعتمدن طوال الطريق على مصباح، ويتوقفن كل مئة متر لتفقد الخريطة. توقعت جيل أن تشعر بالراحة عندما تصل إلى موقع التخيم، لكنها لم تشعر إلا بالإجهاد؛ قدمها تؤلمها، وعيناها مجهدتان من النظر في الظلام، لكن الموقع بدا أكبر مما توقعت؛ لقد كان محاطًا بأشجار الصمغ من جميع الجوانب،

وبدت جذوعها كما لو أنها أصابع موجهة إلى سماء الليل، ورغم ذلك لم تتمكن من رؤية النجوم. أنزلت جيل حقيبتها عن كتفها، سعيدةً بكونها تخففت من هذا الوزن، لكن وهي تخطو إلى الورا، تعثر كعب حذائها في شيء فترنحت، فسقطت سقطةً قاسيةً على عجزتها، وندت عنها صرخة ألم.

- ما هذا؟! -

وجّه ضوء المصباح إلى جيل ليحجب عنها الرؤية. صدرت عنها ضحكة المفاجأة، لكنها توقفت قبل أن تبدأ. قالت أليس:

- يا إلهي! جيل، لقد أفرعتني!

- أعتقد أنكِ تعثرتِ في حفرة النار، دعيني أساعدك.

شعرت جيل أن بري تتعثر قليلاً، وهي تحاول مساعدتها.

- أنا بخير، شكرًا.

شعرت أن يدها مخدوشة ومكشوفة، واعتقدت أنها يمكن أن تُدمى، لذا حاولت الوصول إلى مصباحها إلا أن جيب سترتها كان فارغًا.

- اللعنة!

- أصابك أذى؟

كانت بري لا تزال تحوم حولها.

- أعتقد أنني أسقطتُ مصباحي.

بحثت جيل في المكان الذي سقطت فيه، لكن الظلام كان حالكًا.

- سأحضر مصباحي.

وذهبت بري، فتبينت جيل صوت من يبحث عن شيء في حقيبة.

- هاك المصباح. (جاء الصوت من العدم قريبًا من أذنها، ففزعت، لقد

كانت بيت) خذي هذا.

شعرت جيل أن شيئًا ما يُوضَع في يدها، لقد كان مصباحًا مصنوعًا من

الحديد، طويلًا وثقيلًا.

- شكرًا لكِ.

بحثت جيل حتى وجدت المصباح. قطع شعاع قويّ ظلام الليل، موجّهًا

مباشرةً صوب أليس، فرفعت السيدة يدها لتحمي عينيها، فبدت ملامحها الجافة.

- يا إلهي، لقد كان الضوء ساطعًا.

استغرقت جيل فترة أطول قليلاً من المعتاد لتُبعِد الشعاع عن وجه أليس.

- يبدو أنه قد حقق المطلوب منه. قد نكون ممتنين لذلك لاحقًا.

- أتمنى.

وقفت أليس في بقعة الضوء التي كوَّنها المصباح عند قدمها، ثم خطت خطوةً إلى الجانب، واختفت. مرَّرت جيل شعاع الضوء ببطء حول الموقع. كان الضوء الأبيض يجرُّد جميع الألوان من هويتها، وهو يطلي كل ما يقع عليه بظلال أحادية اللون. بدت الطريق التي مشين فيها طوال الوقت ضيقة وغير مستوية، وحفرة النار في المنتصف ذات لون أسود. تحيطهم دائرة من الأشجار الصامتة، التي تضيء جذوعها تحت شعاع الضوء. وفي الخلف، كانت الأدغال مطليَّة باللون الأسود. وفجأةً، لاحظت جيل أن ثمة ظلًّا مجهولًا، وهي تمرُّ شعاع الضوء حول المكان، فتوقفت. عادت بشعاع الضوء مرة أخرى، لكن بحركة أبطأ هذه المرة. وجدت جيل قوامًا نحيلًا بلا حراك على حدود موقع التخميم، ففزعت، وكادت تتعثر ثانية، وهي تحاول تثبيت المصباح، لكنها تمالكت نفسها، وثبَّتت يدها، فاهتز الضوء رويدًا، وهي تثبَّتت يدها. تنفست جيل الصُّعداء، فلم يَكُن ما رآته إلا لورين، إلا أن الأشجار الضخمة حولها والليل الحالك خلفها غالبًا ما غطيَّا على هيبئتها الطويلة والرفيعة. قالت جيل بفرح، بينما نبضات قلبها لا تزال متسارعة:

- لورين، يا إلهي! لقد أفرعتني، ما الذي تفعلينه؟

وقفت لورين بلا حراك، ثم عادت إليهن، وهي تحدِّق عبر الظلام.

- لور...

وضعت لورين يدها على فمها، وقالت:

- ههشش.

ثم سمعن جميعًا الصوت فجأةً؛ طقطقة، فحبست جيل أنفاسها، وأذنها تجتهد لسماع ما يحدث في الفضاء. لا شيء، ثم طقطقة أخرى، لكن هذه المرة كان رتم الحطام، وهي تقرقع تحت الأقدام، لا تخطئه الأذن. أخذت جيل الخطوة الأولى إلى الخلف، ثم استدارت لورين، وبدا وجهها الرماديُّ على وقع الضوء الساطع.

- ثمة شخص يراقبنا!

الفصل الخامس

قال كينج:

- دانيال ببلي؟ (وراح يتنقل بعينه بين فولك وكارمن) لمانا تبحتان عنه؟!

تناثر التراب وأوراق الشجر من أثر الرياح، وعلى الجهة الأخرى من الطريق، كان بوسع فولك أن يرى مجموعة من المفتشين يختفون داخل الأدغال. وكانت ملبورن على مسافة بعيدة جداً من كل ذلك. قال فولك:

مكتبة
t.me/soramnqraa

- إنه أمر بالغ السريّة.

وانتظر أن يومي كينج.

- بالطبع.

- كما يُزعم، فإن الأمر يدور حول شبهة غسل أموال.

- في شركة ببلي تينانتس؟

- نعتقد ذلك.

من بين شركات أخرى، إن شركة المحاسبة تلك كانت واحدة من بين عدد من الشركات التي تخضع لتحقيق متزامن من قبل الشرطة الاتحادية.

- اعتقدت أنها شركة محترمة؟ أي شركة عائلية ممتدة لعدة أجيال، وما إلى ذلك.

- نعم، لكننا نعتقد أن والد جيل ودانيال متورط في الأمر من قبل أن يتولّى المسؤولية.

رفع كينج حاجبيه، وقال:

- حقاً؟ إذن ما فعله هو أنه أورثهما تجارة العائلة؟

- شيء من هذا القبيل.

قال كينج:

- ما مدى سوء ما نتحدث بشأنه، أهو مجرد لعب في الدفاتر أم...؟

قالت كارمن:

- الادعاءات جادة، لقد كان الأمر منظماً، وعلى أعلى مستوى، ومتواصلًا. والحق أن فولك وكارمن لم يكونا على يقين إلى أي مدى وصلت التحقيقات. لقد كُلفا بأن يتوليا التحقيقات الجارية بشأن شركة بيلي تينانتس على وجه الخصوص، وأبلغا بكل ما يخصها فقط، وعلما أن الشركة كانت مجرد ترس في آلة تديرها شبكة أكبر، لقد كانت معلومتها تقف عند هذا الحد، لكن إلى أي مدى تنتشر هذه الشبكة، وما مدى عمقها، فهذا مما لم يحيطا به علمًا، لكنهما ظنًا أن الأمر يُدار على مستوى وطني، واشتبهها في أن يكون على مستوى دولي أيضًا. عبس كينج، وقال:

- إذن، جاءت أليس لكما، كي تبلغ عن الأمر...؟

فولك:

- بل نحن من حاولنا التقرب إليها.

لكنها لم تكن الخيار الأنسب، كان بوسعه الاعتراف بذلك الآن، لكن على الورق كان كل شيء يتم من خلالها، إذ كانت في مستوى إداري يمكنها من الوصول إلى كل ما تحتاجه، وهي متعمقة بما فيه الكفاية من كل ما يُمارس من ألعاب لتمنحهم وسيلة ضغط كافية، وهي ليست من عائلة بيلي.

- إذن، أنتما تسعيان خلف دانيال وجيل؟

قالت كارمن:

- نعم، وليو، والدهما.

- من المفترض أنه يعيش حياة سعيدة في فترة التقاعد، أليس كذلك؟

- إنه لا يزال يعمل، كما يزعمون.

أومًا كينج، لكن فولك كان بوسعه أن يرى أمرًا حاسمًا في عينيه. كان يعرف معنى هذه النظرة؛ إذ كان فولك يعي أن المنظور العام لأغلبية الناس يضع غسل الأموال في مرتبة بين سرقة المتاجر، والهروب من الضرائب، وهو أمر لا ينبغي أن يحدث بالطبع، إلا أن قرار حفنة من الأغنياء بتجنّب تحمّل نصيبهم من الضرائب لهو أمرٌ يستحق زيادة موارد الشرطة من أجله. ما

يحاول فولك أن يشرحه كان أكثر من ذلك، فقط إذا كان الوقت مناسبًا، ولم تكن عينا الشخص الآخر باهتتَيْن. إذا كان ثمة أموال طائلة أُخفيت، فقد تمَّ ذلك لسببٍ ما. إن هؤلاء الشرفاء ذوا الياقات البيضاء يصبحون أكثر ضبابية كلما تعمقوا في الأمر، حتى إذا وصلوا إلى النهاية صارت أيديهم متسخة تمامًا. ولقد مقت فولك ذلك؛ مقت كل ما يتعلق به، مقت الطريقة التي تمكن بها الرجال الجالسون في المكاتب الفخمة من أن يغسلوا أيديهم حتى أذرعهم ثم يدعون أن ما يفعلونه إنما هو محض تلاعب بسيط في الحسابات، مقت الطريقة التي كانوا ينفقون بها أموالهم على القصور والسيارات الفارهة، كل ذلك بينما لم يكن بوسعهم توقُّع أثر كل ذلك من فساد في النهاية. التجارة في المخدرات، والأسلحة غير المشروعة، واستغلال الأطفال؛ جرائم متنوعة، لكن الأكد أن العملة المشتركة للإنسانية هي من تدفع ثمنها. قال كينج:

- هل يعلم أيُّ من عائلة بيلي أنهم رهن التحقيق؟

نظر فولك إلى كارمن؛ إذ كان هذا هو السؤال الذي يسألانه لأنفسهما. قال فولك أخيرًا:

- ليس لدينا أيُّ سبب يجعلنا نعتقد ذلك.

- إلا أنها قد اتصلت بهاتفك في الليلة التي اختفت فيها.

- باستثناء ذلك.

فركَ كينج ذقنه، وحدَّق ناحية الأدغال، وقال أخيرًا:

- ما الذي يعنيه كل هذا لهم؟ ستعطيك أليس كل ما تحتاج إليه، ثم ماذا؟

تفقد عائلة بيلي شركتها؟

فولك:

- لا، نظريًا سيذهبون إلى السجن، ويبدو أن الشركة ستغلق أبوابها.

- إذن سيفقد جميع الموظفين الآخرين وظائفهم؟

- نعم.

- بمن فيهن النساء اللاتي خرجن في رحلة معها؟

- نعم.

لم يتعجب كينج، وقال:

- وما شعور أليس راسل حيال ذلك؟

قالت كارمن:

- حتى نكون منصفين، لم يَكُن لديها الكثير من الخيارات، إذا رفضت مساعدتنا، فهذا يعني أنها أخذت صفًا عائلة بيلى.

فكر كينج للحظة، وقال:

- صحيح، ولقد جرى التعاون معها منذ فترة، أليس كذلك؟

فولك:

- لقد كنا نتعاون معها منذ ما يقرب من ثلاثة أشهر، بشكل مباشر أو غير مباشر.

كينج:

- إذن، لماذا كان عليها أن تهاتفك أمس، ما الأمر الطارئ؟

تنهدت كارمن، وقالت:

- إن البيانات التي منحتنا أليس إياها كان من المفترض أن تُمرَّر إلى فريق التحقيق الأعلى.

- اليوم؟

- نعم، اليوم.

- نعم، وكنا ما زلنا في حاجة إلى بعض الملفات الرئيسية، لكن ما لدينا كان كافيًا لبدء الاستجواب.

- إذن، لقد فعلتم ذلك، بدأتم الاستجواب؟

كارمن:

- لا، بمجرد أن يبدأ الاستجواب سيكون الأمر قد خرج عن أيدينا، وعن أيدي أليس، ولذلك كنا في حاجة إلى أن نعرف ما يدور هنا أولاً.

كينج:

- أعتقدان أنها كانت تحاول العودة مرة أخرى؟

ترددت كارمن، وهي تقول:

- لا نعم. من الممكن ذلك، لكنها قد تمتثل للمحاكمة بسبب ذلك إذا تجاوزت إحدى عشرة ساعة على افتعال مثل هذه المجازفة، يجب أن يكون لديها سبب مقنع.

- أو يمكن ألا يكون لديها خيار آخر كما أظن!

ثم نظر ثلاثتهم إلى عتمة الأدغال، التي ترفض حتى اللحظة أن تُحرَّر
أليس راسل.

كينج:

- إذن، ما الذي كنتما تنتظرانه منها بعد؟

فولك:

- كان بيدها سلسلة من الملفات التجارية، يمكن أن نقول إنها ذات طبيعة
تاريخية.

تُعرَف الأسماء الرسمية للملفات باسم BT-51X إلى BT-54X، على
الرغم من أنه وكارمن يشيران إليها باسم العقود.

- علينا أن نحصل على هذه الملفات حتى نربط الأمر كله بوالد جيل
ودانيال.

إن ما انكشف في الماضي لهو أمرٌ مصيريٌّ في هذه القضية، هذا ما
أُبلغ به فولك وكارمن. لقد كان ليو بيلي هو من أسَّس هذا العمل على شكله
الحاليّ، وهو من أنشأ الروابط بينه وبين عدد كبير من اللاعبين الأساسيين
الذين يخضعون للتحقيق هذه الأيام. قد يكون كل ذلك حدث في الماضي،
إلا أن ربُّط كل ذلك بالحاضر لهو أمرٌ مهمٌ وحيويٌّ. صمت كينج، ومن مسافةٍ
كان بوسعهم أن يسمعوا ضجيج مروحيات الشرطة، لكنها بدت بعيدة. قال
كينج أخيرًا:

- حسنًا، انظُرْ، في هذه الآونة، أولويتي الأولى والوحيدة هي العثور على
أليس راسل، إيجادها، وإخراجها من هناك بسلام. هذا هو السيناريو
الأرجح عندما يضل شخص ما طريقه، لذا ستكون هذه هي الخطة التي
ألتزم بها الآن، لكن إذا كان هناك أيُّ احتمال في أن تكون صلتها بكما
هي ما تسببت في المشكلات للمجموعة، سيكون من الجيد أن أعرف،
لذا، شكرًا جزيلاً على صراحتكما.

كان الرقيب كينج يتلملح الآن، وهو حريص على العودة، ثم استقر تعبير
غريب على وجهه؛ تعبير ينمُّ على الارتياح. راقبه فولك للحظة، ثم تحدث:

- ماذا أيضًا؟

- لا أفهم!

فولك:

- ما الذي تتمنى أنه لم يحدث؟ إذ ليس أٌيُّ من السيناريوهين يبدو جيدًا بالنسبة إليّ.

توقف الرقيب عن التملل، ونظر بطول الطريق؛ كانت الأشجار قد ابتلعت المفتشين بداخلها، واختفت سُتراتهم البرتقالية عن الأنظار، والإعلام يتحدث على مسافة آمنة منهم. انحنى كينج قليلاً ثم تنهد:

- لقد كانت حوادث كوفاك أسوأ من ذلك.

وما كان منهما إلا أن حدّقا إليه. قالت كارمن:

- كوفاك ميت الآن.

مرّر كينج لسانه فوق أسنانه، وقال:

- مارتن كوفاك ميت، لكننا لسنا على يقين من ابنه.

اليوم الأول: ليلة الخميس

رغبت لورين في أن تصرخ. لم يكن ما رآته سوى مجموعة الرجال، لكنها كانت تراقبهم، ونبض قلبها يتسارع مصحوبًا بمرارة في حلقها بمجرد ظهورهم من بين الأشجار. كانت أسنانهم البيضاء تلمع، وهم يلوحون بزجاجات الخمر بين أيديهم، وكان دانيال يبلي في مقدمة الصف. كسرت لورين الصمت فجأة؛ إذ تسبب الأدرينالين المتصاعد من دماغها في جرأتها:

- إذن، لقد وصلتم أخيرًا؟

فخفف دانيال من سرعته.

- نعم...

ضاقت عيناه، فاعتقدت لورين في البداية أنه غاضب، لكنها أدركت أنه ببساطة يجاهد ليتذكر اسمها، غير أن أخته أنقذته من الموقف عندما ظهرت من العدم.

- دانيال، ما الذي تفعله هنا؟

علمت لورين بخبرتها أن جيل عندما تكون مندهشة أو محطمة، لا تُظهر ذلك. نظر دانيال إلى عيني أخته، وقال:

- اعتقدنا أنه سيكون من اللطيف أن نأتي ونلقي السلام، ونرى إذا ما كُنْتُنَّ في حاجة إلى أيِّ شيء، آسف، هل أفزعناكن؟

اعتقدت لورين أن بوسع دانيال معرفة طباع أخته أكثر من الآخرين، لكن جيل لم تقل شيئًا، ووقفت تنتظر. تابع دانيال:

- هل الجميع بخير؟ إن المكان المخصص لنا يبعد كيلومترًا واحدًا من هنا، ولقد أحضرنا مشروبات معنا. (ثم نظر إلى الرجال الأربعة الذين كانوا يحملون الزجاجات عن طيب خاطر، وقال): ليساعد أحدكم الفتيات في إشعال النار.

لورين:

- بوسعنا إشعالها.

لكن دانيال لَوْح بيده:

- لا بأس، إنهم لا يمانعون في تقديم المساعدة.

ثم استدار لأخته، ورأتها لورين يبتعدان. ثم توجهت صوب حفرة النار، حيث كان ثمة رجل نحيف من قسم التسويق يحاول إشعال النار في كومة من ورق الأشجار الجاف. أخذت لورين أعواد الكبريت من يده، فراح يراقبها، وهي تجمع حافات الأشجار التي سقطت في المكان، وتجمع العيدان التي لم تتأثر من الطقس. وعلى الناحية الأخرى من المخيم، كان بوسع لورين سماع أليس، وهي توجّه التوأمين بتعليمات عن كيفية نصب الخيم، وبدا الأمر كما لو أن التوأمين هما من تؤديان العمل كله.

جلست عند حفرة النار محاولةً تذكّر كيف كانت تُشعل النار، ثم جمعت عيدان الشجر على شكل خيمة مثلثة الشكل أعلى بعض الحطب، وجربت إشعال النار، وبدا صواب ما فعلته. أشعلت لورين النار في عود ثقاب، وحبست أنفاسها لترى إن كان اللهب سيشتعل، فاشتعل، وغمر المكان بتوهج برتقاليّ. حدّق الرجل النحيف إليها:

- أين تعلمت ذلك؟

- مخيمات المدرسة.

سمعا حفيفاً في الظلام، ورأيا أليس تتقدم إلى شعلة النار.

- مرحباً، لقد نصبنا الخيام. ستكون بيت وبري في خيمة، سنكون أنا وأنتِ إذن في واحدة، وستكون الثالثة لجيل وحدها.

ثم أشارت إلى النار المشتعلة، فبرزت ملامحها على ضوء المشاعل.

- رائع، دعينا نضع الطعام على النار إذن.

- أيجب علينا أن نتفقد جيل؟

كان المخيم واسعاً، فاستغرق الأمر لحظة من لورين لتجد جيل، وهي واقفة مع أخيها، في محادثة عميقة؛ إذ كانت جيل تقول شيئاً، فهز دانيال رأسه. قالت أليس: - يبدو أنهما مشغولان، لنبدأ، سيكون علينا أنا وأنتِ أن نُعدّ الطعام، فهي لا تعرف كيفية الطهي على اللهب، على أيّ حال.

ظنت لورين أن كلامها صحيح على الأرجح، بينما راحت أليس تُخرج الأواني، والأرز، وحساء اللحم المغليّ. قالت أليس بعد عدة دقائق، فيما يشاهدن الماء يغلي:

- أتذكّر أنني قطعْتُ وعدًا على نفسي بأنني لن أفعل ذلك مرة أخرى، لكن الأمر يبدو كما لو أننا نركب دراجة، أليس كذلك؟ أشعر كما لو أننا يجب علينا أن نعود إلى المدرسة!

مع امتلاء الجو برائحة أشجار الكافور، والأخشاب المحترقة في أنفها، ووجود أليس إلى جانبها، شعرت لورين برائحة الغبار، ورجعت بالزمن إلى ذكرى عمرها ثلاثين عامًا، في مخيم ماكليستر. لا تزال تتذكر الإعلان الصادر عن حرم بوش لاند التابع لمدرسة إنديفور، حين أُعلن عن فرصة (وهي فرصة إلزامية للفتيات في برنامج المدرسة) لقضاء سنة أكاديمية كاملة في مكان بعيد. صُمم البرنامج لتطوير الشخصية والمرونة، واحترام الحياة الصحية للبيئة الأسترالية الطبيعية، وقد كُتبت بمهارة بين السطور المكتوبة بعناية. لقد صُمم هذا البرنامج ليُبقى الفتيات المراهقات بعيدًا عن كل ما يجذبهن في هذه السن.

في سن الخامسة عشرة كانت تشعر بالحنين إلى الوطن من اليوم الأول، وبالتفريح من البثور، ولدغات البعوض من اليوم الثاني. كانت غير جذابة، وتجاوزت العمر الذي يمكن أن نطلق عليها فيه طفلة بدينة. وبعد أسبوع فقط، وجدت نفسها معصوبة العينين أيضًا. ما الهدف إذن من تمرين تحدي الثقة إذا كانت لا تتق في زملاء صفها...!

علمت أنها أفتتيدت بعيدًا عن المعسكر الرئيسي إلى عمق الغابة؛ إذ كان ذلك واضحًا من حفيف الأوراق تحت قدميها، لكنها لم تعرف أين هي فيما بعد. كان من الممكن أن تكون على أعتاب حافة المنحدر، أو تحت نهر.

كان بوسعها أن تسمع حركة من حولها؛ خطوات أقدام.. ضحكات. فردت ذراعيها، وهي تحاول أن تتوازن، لكن ذراعيها أُغْلقتا دون أن تجد شيئًا سوى الهواء. وكادت تتعثّر، وهي تخطو خطوة إلى الأمام عندما اصطدمت بأرض غير مستوية، وفجأةً أمسكت يد ذراعها؛ يد ثابتة وحازمة، ثم شعرت بدفع أنفاس شخص ما على وجنتها، وسمعت صوتًا في أذنها.

أليس راسل: «لقد وجدتك، من هنا».

لقد كانت تلك هي المرة الأولى التي تتذكر فيها أليس تتحدث إليها مباشرة، لكنها على الرغم من ذلك ميّزت صوتها فورًا. أما لورين، التي كانت يومئذ بدينة، وغير ودودة، لا تزال تتذكر الاندفاع المختلط بالارتباك، والراحة التي شعرت بها عندما وجدت أنها أليس. والآن، بعد ما يقرب من ثلاثة عقود،

نظرت لورين إلى الجهة المقابلة، إلى أليس، وتساءلت إذا ما كانت تتذكر هذا اليوم أيضًا أم لا؟ لم تكّد لورين تلتقط أنفاسها إلا وقد شعرت بحركة وراءها، وظهر دانيال، ووجهه مغمور باللون البرتقاليّ.

- لقد أشعلتم النار، رائع!

بدت ظلال لرجال فريقه من أثر ضعف ضوء اللهب، ثم دفع زجاجة نبيذ أحمر في يد لورين، وقال:

- هاك، استمتعي بشرابك، أليس، هل لي بكلمة من فضلك؟

لم تتحرك أليس:

- الآن؟

وضع دانيال يده برفق خلف ظهره، وقال:

- نعم، من فضلك.

وبعد تردّد قصير، تركته أليس يصطحبها بعيدًا عن الرفاق. شاهدتهما لورين يبتعدان، ويختفيان تقريبًا على حافة المخيم، ثم ابتلعتهما الظلال. سمعت دانيال يصدر أصوات همهمة خفيفة، قبل أن تختفي تمامًا من أثر أحاديث من حولها.

استدارت لورين مرة أخرى للنار لتجد أن الوجبات قد نضجت، وصارت جاهزة للأكل، ففتحت كل الوجبات، وأضافت الكمية نفسها من الأرز لكلّ منها. وقالت لرفاقها:

- العشاء جاهز.

اقتربت بري، وهي تمسك بالشارة التي وجدتتها سابقًا، ورجلان في أعقابها. كانت تقول لهما:

- لقد رأيته هناك على جانب الطريق، ربما تكونان قد نسيتما التقاط شارتكما!

كانت وجنتاها متألفتين، وهي تشرب من كوبها البلاستيكيّ في يدها، ثم تناولت وجبة. قالت للورين:

- شكرًا. يبدو شهياً.

ثم وضعت شوكتها بداخل وجبتها، فأحبطت.

لورين:

- ألا تحبين اللحم؟

- بل أحبه، ليس الأمر كما تظنين، أنا فقط.. (ثم توقفت بري) يبدو شهياً، شكرًا لك.

راقبتها لورين، وهي تقضم قطعة صغيرة. الوجبة بها الكثير من اللحم، ولا يوجد أرز. ميّزت لورين صوت من كان يريد تجنب الكربوهيدرات في الليل عندما رآته، وقد شعرت بالدافع إلى قول شيء ما، لكنها ألزمت نفسها بأن تغلق فمها، فعلى أيّ حال لم يكُن الأمر من اختصاصها. قال واحد منهم موجهًا حديثه لبري:

- إذا كان طعامك يماثل طعامنا، فستكونين في حاجة إلى شيء يساعدك على ابتلاعه.

ثم أعاد ملء كوبها بالنبيذ قبل أن تجيب. كانت لورين تراقبهم، وهي منشغلة بالحصول على نصيبها من العشاء، ووجدت لها مكانًا بجانب النار لتجلس. فتحت وجبتها، فوجدت اللحم والأرز ينتظرانها، وخطر ببالها أن عليها أن تتناول وجبتها الآن، ثم نظرت حولها، فلم تجد أحدًا يراقبها، فلا أحد هنا يهتم على أيّ حال. ثم وضعت شوكتها في اللحم، لكنها لاحظت الظل الذي ظلَّ وجبتها، فنظرت إلى الأعلى. كانت بيت تشير إلى العشاء، ثم قالت:

- هل يمكنني أخذ وجبة من تلك؟

لورين:

- بالطبع.

- شكرًا، فأنا أتضور جوعًا. (ثم أشارت للمكان الفارغ بجانبها) وهل يمكنني الجلوس هنا؟

تحركت لورين قليلًا، وسمعت صوتًا من أثر جلوس بيت. كانت رفيقتها تأكل سريعًا، وهي تراقب أختها، وهي تقف حول الرجال. استدارت بري مرة أخرى بعنقها الأبيض الطويل، وأخذت رشفةً من كوبها الذي ملأته للتو. قالت بيت، وهي تأكل:

- إنها لا تحب تناول الكثير من النبيذ عادةً، لن تسيطر على نفسها إذا شربت الكثير.

تذكرت لورين زجاجة النبيذ الأحمر الذي منحها دانيال لها، وأعطتها لرفيقتها، لكن بيت هزت رأسها.

- لا، أشكرك، أنا على ما يرام.
- ألا تحبين النبيذ الأحمر أيضًا؟
- أحبه كثيرًا.
- أوه!

لم تعرف لورين إذا ما كانت بيت تمزح أم لا، إذ لم تكن الفتاة تبتسم.
- أتمانعين إذا دخنتُ؟

وضعت بيت وجبتها الفارغة على الأرض، وسحبت علبة السجائر. الحق أن لورين كانت تمانع قليلًا، لكنها هزت رأسها موافقةً، فحينما تذكرت أنهما في الهواء الطلق، تركت رفيقتها تشعل سجائرها. وفيما كانتا تراقبان اللهب، علت الأصوات والضحكات من حولهما، بينما كانت زجاجات النبيذ تفرغ، ثم سار واحد منهم بعيدًا عن بري.

- أيمكنني استعارة سيجارة منك؟
- وابتسم لها، ترددت بيت، لكنها سلّمت له العلبة بالكامل.
- أشكرك.

تناول سيجارتين، وضع واحدة في فمه، والأخرى في جيب سترته، ثم أعاد لها العلبة، وعاد إلى مكانه مرة أخرى. ورأت لورين عيني بيت تراقبانه، وهو يعود مرة أخرى مترنحًا إلى حيث تقف أختها.

لورين:

- كيف تجدين بيلى تينانتس؟
- هزت بيثاني كتفها:

- على ما يرام، إنها جيدة.

حاولت أن تبدو أكثر حماسًا، لكنها لم تفلح، ولم تلمها لورين، إذ لم يكن عمل أرشفة البيانات ذا أجر كبير على أيِّ حال، خصوصًا إذا كان في منصب صغير، ومنتميًا إلى قسم مقره في القبو، لدرجة أن لورين حينما كانت تهبط هناك، كانت تشتهي الضوء الطبيعيّ سريعًا.

- أتستمتعين بالعمل مع أختك؟
- نعم، بالتأكيد.

وبدا صوتها حماسيًا هذه المرة.

- يرجع الفضل إليها في إيجاد هذه الوظيفة لي، لقد رشحتني لها.
- وماذا كنتِ تعملين من قبل؟
- رمقتها بيث بنظرة، وتساءلت لورين إذا ما كانت وضعتها في موقف محرج بسؤالها.
- لم يكن عملاً مستقرًا.
- أوه...!
- سحبت بيث نفسًا، وأخرجت سحابةً من دخان السجائر.
- عذرًا، أنا ممتنة للغاية للحصول على مثل هذه الوظيفة؛ ممتنة لأن أخوض مثل هذه الرحلة.
- ثم أشارت حولها إلى المخيم، وقالت:
- على الرغم من أنني غير مهتمة!
- لست متأكدة ما إذا كان أحد مهتمًا بالتخييم، عدا دانيال على الأرجح.
- تذكرت لورين رفيقتها أليس فجأةً، ونظرت إلى الأعلى، فوجدت الركن الذي كانت تقف فيه مع دانيال فارغًا، وعلى الناحية الأخرى من المخيم، كان بوسع لورين أن ترى دانيال يقف مع أخته على مسافة من المجموعة، يراقبان، لكن لم تكن أليس بينهما. ثم صعقهم صوت الرعد من بعيد، فخفت الحديث، ونظر الجميع إلى السماء، وسقطت نقطة مياه على جبهة لورين. قالت لبيث:
- سأتفقُ حقيبتني في الخيمة.
- فأومات بيث. عبرت المخيم، وحاولت تجنب حبل الخيمة المشدود، وظنت أن الأختين قد أتقنتا عملهما عندما نصبتا الخيم، ثم ركعت، وفتحت سحابة باب الخيمة.
- أليس!
- فزعت أليس؛ إذ كانت تجلس القرفصاء في منتصف الخيمة، موجّهة رأسها لأسفل، وجهها شاحب، وعلى قدمها، وضعت هاتفها. فزعت أليس، فقربت الهاتف من صدرها، وقالت:
- اللعنة! لقد أفزعَتني!
- عذرًا، لقد أعددتُ الطعام إذا كنتِ تريدين الأكل.
- أنا على ما يرام.

- هل أنتِ على يقين من ذلك؟ ماذا تفعلين هنا؟

- لا شيء، أنا على ما يرام حقًا.

ضغطت أليس على زر في الهاتف، فأظلمت الشاشة، فانطفأت ملامحها بخفوت الضوء. بدا صوتها غريبًا، لدرجة جعلت لورين تشك في أنها كانت تبكي. فقالت:

- ما الذي كان يريد دانيال؟

- لا شيء، كان يخبرني بجدول الاجتماع السنوي للشركة فقط.

- ألم يكن في الإمكان تأجيل هذا الأمر؟

- كان بوسعه أن ينتظر، لكنك تعرفين دانيال!

- أوه!

شعرت لورين بالألم في ركبتيها، لأنها كانت جائمة عند مدخل الباب لفترة، وكان بوسعها أن تسمع المطر يتساقط على قماش الخيمة.

- أهذا هاتفك، أعتقد أننا يجب أن نتركه في الشاحنة.

- هذا هاتف العمل. أحضرت هاتفك معك؟

- لا، لم يكن مسموحًا لنا أن نحضره معنا.

أطلقت أليس ضحكة مفتعلة قصيرة، وقالت:

- إذن، لم تحضره بالطبع. على كل حال لا يهم ذلك، فالهاتف لا يلتقط الإشارة هنا.

- من الذي تحاولين الاتصال به؟

- لا أحد..

وبعد فترة صمت، قالت:

- مارجوت.

- هل كل شيء على ما يرام؟

- تنحنحت أليس، وقالت:

- نعم، كل شيء على ما يرام، وهي بخير.

ضغطت على زر في الهاتف ليضيء مرة أخرى، وبدأت عيناها دامعتين هذه المرة بكل تأكيد.

- ألم تلتقطي الإشارة بعد؟

لم ترُد أليس.

- أأنتِ على يقين من أن كل شيء على ما يرام؟

ألقت أليس هاتفها على حقيبة نومها:

- نعم، كل شيء على ما يرام، لكنني أريد أن أتجاوز فكرة ترك مارجوت وحدها.

- مارجوت تبلغ من العمر ستة عشر عامًا يا أليس! وستكون على ما يرام وحدها ليومين فقط، سترينها يوم الأحد على أيِّ حال.. ليلة الجائزة.

كان بوسع لورين أن تلاحظ المرارة في نبرة صوتها، ويبدو أن أليس لم تلاحظها على أيِّ حال.

- أنا أحرص على أن يكون كل شيء على ما يرام فقط.

- هو كذلك بالطبع. ستكون مارجوت على ما يرام.

أجبرت لورين نفسها على النقاط نفس عميق، إذ كان من الواضح أن أليس مستاءة.

- انظري، أعرف كيف يبدو الأمر، إذ يصيبني القلق على ربيكا أيضًا.

لقد كان هذا تهوينًا من الأمر، ففي بعض الأحيان تشعر لورين أنها لم تنم ليلة كاملة خلال الستة عشر عامًا التي رُزقت فيها بابنتها. لم ترُد أليس، وإنما أصدرت بعض الهمهمات فقط، ثم اشتعل ضوء شاشة الهاتف مرة أخرى.

- أليس.

- لقد سمعتك.

بدت أليس مشتتة، لكن ملامحها كانت جادة، وهي تحدِّق إلى قدمها.

عادت المرارة مرة أخرى:

- فعلى الأقل يبدو أن مارجوت تُبلي بلاءً حسنًا في دروس الرقص، وكل

الدروس الأخرى.

سمعت لورين رفيقتها تتنهد، وتقول:

- ربما كنت أتمنى لها الأفضل فقط.

- صحيح، حسنًا.. أعرف هذا الشعور.

فكرت لورين في أمر ابنتها، وهي في البيت، لقد كان هذا وقت العشاء، وحاولت تخيّل ماذا كانت تفعل في الوقت الحاليّ، وكيف تتعامل مع تقلصات المعدة المألوفة التي تصيبها. فركت أليس عينيها براحة يدها، وفجأةً لمعت في رأسها فكرة، وقالت:

- لماذا يعمُّ الهدوء في الخارج؟

- أمطرت السماء، وانفضَّ الحفل.

- وهل غادر دانيال؟

- أعتقد أن جميعهم غادروا.

تجاوزت أليس رفيقتها، وخرجت إلى المخيم، فاصطدمت بكعب حذاء لورين، لكن لورين تبعتها، وهي تفرك يديها اتقاء البرد. في الخارج، كان المخيم فارغاً، لم تكن التوءمان في الخارج، لكن نور المصباح الصادر عن خيمتهما يوضح أنهما في الداخل، ولا تزال جيل تجلس وحدها بالقرب من النار، مرتديةً سترتها، مغلقةً إياها بإحكام، ومعمرةً قلنسوةً على رأسها. كانت تتناول وجبتها، محدّقةً إلى بقايا النار التي أطفأها المطر، ثم نظرت إلى الأعلى حينما سمعتهما. نفضت عنها الغبار، وقالت:

- ها أنتما تان، من فضلك أخبريني أنك لا تحرقين القواعد يا أليس!

عمّ الصمت، ثم قالت أليس:

- عذراً...

أشارت جيل إلى هاتف أليس:

- ليس مسموحاً بالهواتف هنا!

سمعت لورين رفيقتها تزفر، وقالت:

- أعلم، آسفة. لم أدرك أنه في حقيقتي!

- لا تدعي بري وبيث تريانه. القواعد تسير على الجميع!

- أعرف، لن ترياه!

- أتلتقطين شبكة هنا؟

- لا.

طقطقت بقايا النار، وانطفأت..

- حسناً، لن تجدي أيّ مساعدة هنا على أيّ حال.

الفصل السادس

حدَّق كلُّ من فولك وكارمن إلى كينج، والمروحية كانت تحلَّق فوق رؤوسهم، ملقياً عليهم بظلال ريشها. قال فولك:

- لم أعلم أن كوفاك لديه ابن!

- لا، حسنًا، لم ينجب ابنه وفق فكرتك المثالية عن العائلة. هو يقترب من الثلاثين في الواقع، وجاء نتاج علاقته بنادلة في مدينته. صامويل، ويدعونه «سام»، ويبدو أن كوفاك فاجأ الجميع بمسألة الأبوة هذه، خاصةً عندما لا تتوقع هذا من مخبول مثله!

تنهد كينج، وتابع كلامه:

- لكنه كان يقضي عقوبةً في السجن بالفعل عندما كان الطفل في الرابعة أو الخامسة من عمره. وفي الوقت الذي كانت تعاني فيه أمه من مشكلات إدمانها الكحول، انتهى المطاف بالطفل في دار للتبني، ثم عاد للظهور مرة أخرى في سنوات مراهقته، إذ عاد للتردد على أبيه في السجن - وقد كان الشخص الوحيد الذي يزوره تقريبًا - ثم تخفَّى عن الأنظار مرة أخرى منذ خمس سنوات تقريبًا، وكان في عداد المفقودين، فافتترض الناس موته.

كارمن:

- افتراضٌ غير مؤكَّد؟

ألقي كينج نظرةً على مجموعة من المفتشين الذين ظهروا في بداية مسار الرحلة، ولم تكن وجوههم تبشِّر بالخير، وقال:

- لا، لكنه كان محتالًا صغيرًا، يبدو أكبر من عمره الحقيقية. لقد تورَّط في تجارة المخدرات، وانضم في بعض الفترات إلى عصابات الدراجات

النارية، ولم تُكنْ إلا مسألة وقت حتى يتبع مسار أبيه إلى السجن لسبب أو لآخر، أو ينتهي به المطاف ليُغضب شخصًا ذا مكانة، ويدفع ثمن ذلك. لقد انضم إلينا زملاء من ملبورن ليكون البحث عنه أشد صرامة. (ثم نَدَّت عنه ابتسامة صغيرة، وتابع) كان من الأفضل لو كنا عثرنا عليه في ذلك الوقت، لكن لا يحزن أحد إذا افتقدنا شخصًا مثل سام كوفاك! الشخصُ الوحيد الذي كان يهتم لأمره هو أبوه.

فولك:

- وما الذي يجعلك تعتقد أن له أيَّ علاقة باختفاء أليس راسل؟

كينج:

- انظر، أنا لا أعتقد ذلك، ليس حقًا، لكننا لا نتجاهل النظرية التي تقول إن مارتن كوفاك لديه مركز عمليات في مكان ما في الأدغال؛ مكان حيث يمكنه الاختباء. في الوقت الحالي، إنهم يعتقدون احتمالية أن يكون ذلك المكان قريبًا من مكان اختفاء ضحاياه، لكن إذا كان هذا المركز موجودًا، فهو لم يُكتشف بعد. (ثم هز كتفيه، وتابع حديثه) وفقًا للمواصفات التي منحتنا إياها النساء، فمن المستبعد أن يكون الكوخ الذي وجدته على علاقة به بأيِّ شكل.

نظر فولك وكارمن إلى بعضهما بعضًا. قالت كارمن:

- وكيف كانت استجابة السيدات لذلك؟

- لم نبلغهن بذلك، لأننا قررنا أنه لا يوجد أيُّ داعٍ يقلقن بشأنه، حتى نكون على يقين أن هناك شيئًا يمكنهن القلق بشأنه.

- وليست لديك فكرة بعد عن مكان هذا الكوخ؟

- المفتشون يعتقدون أنه في مكان ما في الشمال، لكن الشمال هنا عبارة عن منطقة كبيرة للغاية، تتسع لمئات الكيلومترات، فضلًا عن أننا لا نعرف المنطقة جيدًا.

سأل فولك:

- أيمكنكم أن تضيِّقوا نطاق البحث وفقًا لإشارة هاتف أليس؟

هز كينج رأسه، وقال:

- إذا كان هاتفها على أرض عالية، يمكننا فعل ذلك حينها، لكن يبدو أنه ليس كذلك. ثمة أماكن يمكن أن يحالفك فيها الحظ دون أي سبب أو اتّباع أيّ نهج للبحث. في بعض الأحيان ما تبحث عنه يبعد عنك عدة أمتار، أو إن إشارة الهاتف غير مستقرة.

من بداية المسار، صاح المفتش منادياً كينج، ولوّح بورقة في يده. فقال لهما كينج:

- آسف، من الأفضل أن أذهب الآن، لكننا سنتحدث لاحقاً.

قالت كارمن، وهما يتبعانه عابرين الطريق:

- هل لا يزال باقي مجموعة الشركة هنا؟ نريد أن نتحدث معهم.

كينج:

- لقد طلبت من مجموعة النساء أن يبقين في الوقت الحالي. أما مجموعة الرجال، فقد عادوا أدراجهم باستثناء دانيال بيلي. يمكنكما أن تخبراهم أنكما مساعدان لي، فيمكن لهذا أن يساعدكما، ما دمتما تشاركانني المعلومات بالطبع.

كارمن:

- نعم.. مفهوم.

رفع كينج يده لرجل يرتدي كنزة صوفية حمراء، انتزع نفسه من بين مجموعة المفتشين، وتقدم إليهم. قال كينج:

- تعاليا، سأعرّفكما إلى إيان تشيس، فهو من يدير برنامج شركة الرحلات هنا. (وقال، وهو يكاد يبتسم) دعاه يخبركما شخصياً كيف من المفترض أن تكون هذه الرحلة يسيرة للغاية.

- هذه الرحلة يسيرة للغاية إذا اتبعت الطرق بشكل مناسب.

كان إيان رجلاً نحيلًا، ذا عينين داكنتين، واصلتا التنقل بين الأدغال، والأشخاص الذين يتحدث إليهم، وكأنه يتوقع ظهور أليس راسل في أي وقت. عادوا مرة أخرى إلى المتنزه، إذ كان فولك وكارمن يتبعان حافلة تشيس الصغيرة طوال الطريق القروية المعزولة. وعند نقطة معينة، أشار تشيس بيده صوب لافتة خشبية تدل على أن هذا هو مدخل الطريق. وبأحرف منحوتة

بلطف، كُتِبَ على الياقطة: «شلالات ميرور». وعند أقدامهم، طريق متربة متعرجة تمتد إلى داخل الأدغال قبل أن تختفي عن الأنظار. قال تشيس:

- هذا هو المكان الذي كان من المفترض أن تبدأ منه مجموعة السيدات، إن طريق شلالات ميرور ليست هي الطريق الأصعب لدينا. لقد استضفنا 15 مجموعة منذ عام، ولم يكن لدينا أيُّ مشكلات تُشابه تلك.

فولك:

- ألم تصادفكم أيُّ مشكلة قط؟

عدّل تشيس من وقفته، وقال:

- ربما مرة واحدة. قد تتأخر مجموعات في بعض الأحيان، لكن عادةً ما تكون قد أبطأت قليلاً، لكن لم يضلوا. إذا اتبعتمهم، ستجدهم يجرون أرجلهم إلى قرب المخيم النهائي، متعبين من حمل أمتعتهم.

كارمن:

- ورغم ذلك لم يحدث هذا في حالة أليس!

هز تشيس رأسه، وقال:

- لا، لم يحدث، فنحن نترك طعامًا ومياهًا في صناديق مقفولة في المخيمات التي من المفترض أن يصلوا إليها في الليلة الثانية والثالثة، حتى لا تضطر المجموعات إلى حمل ذلك معها طوال الرحلة، لكن عندما لم تظهر النساء في النهاية، ذهب اثنان من شركتنا لتفقدهن، فنحن نعرف بعض الطرق المختصرة لتسهيل عملنا. وعندما تفقدنا الصندوق المقفول في المخيم الثالث، لم يجدا إشارة إلى أن السيدات كُنَّ هنا، ونفس الأمر في المخيم الثاني، وفي هذه اللحظة استدعينا الشرطة.

أخرج خريطة من جيبه، وأشار إلى خط أحمر سميك يلتف في قوس لطيف تجاه الشمال قبل أن ينتهي في الغرب.

- هذه هي الطريق التي نتبعها، وعلى الأرجح أنهم ضلُّن الطريق في نقطة ما من هذا المكان. (ثم أشار إلى نقطتين على الخريطة، ووضع علامتين على المخيم الأول والثاني. وتابع حديثه) نحن على يقين

من أنهن قد اتَّبعن طريق كانجارو، لكن المشكلة هي أين انتهى بهن المطاف بعد ذلك، عندما حاولن العودة للخلف؟
تطلَّع فولك إلى الطريق، بدت يسيرة للغاية على الخريطة، لكنه كان يعرف كيف أن الأدغال يمكن أن تجعل الأمور سيئة. قال فولك:

- أين سارت مجموعة الرجال؟

- لقد بدؤوا من نقطة تبعد عشر دقائق بالسيارة عن هنا.

أشار تشيس إلى خط آخر، ملوَّن باللون الأسود هذه المرة. بدت الطريق موازية للطريق التي اتبعته مجموعة السيدات في اليوم الأول، ثم التف جنوبًا قبل أن ينتهي عند النقطة نفسها في الغرب. وأكمل تشيس:

- إن مجموعة الرجال تأخرت مقدار ساعة واحدة في الانطلاق عن مجموعة النساء، لكن كان لديهم الكثير من الوقت للوصول إلى المخيم الأول. وقتٌ كافٍ ليصلوا إلى مخيم السيدات، ومن الواضح أنهم ذهبوا إلى مجموعة السيدات لتناول بعض المشروبات.

رفعت كارمن حاجبيها، وقالت:

- وهل هذا طبيعيٌّ؟

تشيس:

- لا نشجع هذا، لكنه يحدث. ليس من الصعب السير بين المخيمين، لكنك تخاطرين بحياتك على الدوام إن خرجتِ عن الخطة المرسومة؛ إذ عندما تقع في الخطأ، تسوء الأمور.

فولك:

- لماذا تأخر الرجال، أعتقد أنهم وصلوا جميعًا معًا؟

- عدا دانيال بيلي، لقد فوّت الحافلة!

- حسنًا، وهل قدّم تفسيرًا لذلك؟

هز تشيس رأسه، وقال:

- لم يخبرني عن سبب ذلك، لكنه اعتذر لرفاقي، معللاً ذلك بكونه تأخراً بسبب بعض الأعمال المتأخرة.

فولك:

- وهل تلقوا جميعًا التعليمات في اليوم الذي...؟
- لا، لقد أرسلنا إليهم التعليمات كافة قبل أسبوعين من بدء الرحلة. ويحصل كل فريق على ورقة تعليمات خاصة به، ومن المفترض ألا ينسخها. ليس بوسعنا مراقبتهم بالطبع، لكن هذا جزء لا يتجزأ من الرحلة، وهو ما يجعلهم يقدرون الندرة، وأنه ليس على الدوام بمقدور المرء استبدال الأشياء. يسري هذا أيضًا على الهواتف. فخطتنا تقتضي التخلي عن هواتفهم، والاعتماد على أنفسهم، وليس على التكنولوجيا. فضلًا عن أن الهواتف لا تعمل جيدًا هنا على أي حال.

فولك:

- وبرأيك، كيف بدت المجموعة عندما انطلقوا في رحلتهم؟
- أجاب تشيس فورًا:

- بخير حال، يمكن أن يكونوا متوترين قليلًا، لكن لم يكن هناك شيء غير مألوف، ولن أجعلهم ينطلقون في رحلتهم إذا كان لدي أي مخاوف، لكنهم كانوا سعداء للغاية. انظر، يمكنك أن ترى ذلك بنفسك.
- أخرج هاتفه من جيبه، ثم دقَّ على الشاشة قبل أن يسلمه لفولك حتى يستطيع رؤية ذلك؛ لقد كانت صورة، وقال:
- التقطت هذه الصورة قبل أن ينطلقوا مباشرة.

كانت النساء الخمس يبتسمن، يحاوطن بعضهن بعضًا بأذرعهن، فيما وقفت جيل بيلى وسط المجموعة؛ ذراعها اليمنى تلتف حول خصر أليس، التي وضعت ذراعها حول امرأة يعرفها فولك باسم «لورين شو». وعلى الناحية الأخرى من جيل، ثمة امرأتان صغيرتان في السن، يبدو عليهما أنهما متشابهتان قليلًا، لكنهما ليستا نسختين متطابقتين من بعضهما بعضًا. أطال فولك النظر إلى أليس؛ إذ كان رأسها ذو الشعر الأشقر يميل قليلًا إلى الجانب، وترتدي سترة حمراء وسروالًا أسود، واستقرت ذراعها بلطف حول كتف جيل. وكان تشيس على حق، حيث يبدون في الصورة سعداء تمامًا.

أعاد فولك الهاتف إلى تشيس مرة أخرى. نظر تشيس إلى فولك وكارمن من أعلى لأسفل، محدقًا إلى أحذيتيها التي لم ينتعلاها كثيرًا. ثم تباطأت نظرته قليلًا عند يد فولك المحترقة، وقال:

- نحن نحتفظ بنسخ مطبوعة لنا، تعالينا، سأريكما بداية المسار، إنها على بعد خطوات من الشلالات، لكن يجب ألا تضلّا طريقكما إلى هنا. وجدوا طريقهم عبر الأشجار، وبمجرد أن بدؤوا مسيرهم تقريبًا شعر فولك بوخز في يده كوخز الدبابيس والإبر، لكنه تجاهل ذلك، مركّزًا فيما حوله. لاحظ فولك أن الطريق محددة جيدًا لدرجة أنه كان بوسعه رؤية التجويفات والفراغات، وآثار الأقدام السابقة التي محتها الأمطار. وفوقهم، كانت أشجار الكافور تتمايل؛ إذ كانوا يسرون في ظلها. وبطرف عينه، لاحظ فولك رفيقته كارمن ترتجف تحت سترتها، فشرذ ذهنه في أليس راسل، متسائلًا عما كان يدور في ذهنها حينما بدأت هذا المسار، وسارت نحو شيء من شأنه أن يمنعها من العودة مرة أخرى. بدا صوت فولك عاليًا بشكل غير طبيعي نظرًا لصوت حفيف الأشجار من حوله، وهو يقول:

- كيف يسير برنامج شركتكم؟

تشيس:

- ننظم أنشطة مُصمّمة خِصِّصَى لتدريب الموظفين، وبناء الفريق، ومعظم عملائنا في ملبورن، لكننا نقدم أنشطتنا في جميع أنحاء الولاية؛ دورات الحبال، ورحلات اليوم الواحد، سمّها ما شئت.

فولك:

- إذن، أنت من تدير البرنامج هنا وحدك؟

تشيس:

- نعم، في الأغلب، لكن هناك رفيق آخر يدير دورة البقاء على قيد الحياة على بُعد ساعتين من هنا. ونحن نغطي بعضنا بعضًا عندما يحصل الآخر على إجازة، لكن في أغلب الوقت، أنا من أدير البرنامج.

فولك:

- وهل تعيش هنا؟ أديك مقر إقامة في المتنزه؟

تشيس:

- لا، لديّ شقة صغيرة في المدينة، بالقرب من مركز الخدمات. اعتقد فولك، الذي قضى سنوات تكوين حازمة محاولًا فهم كل شيء، أنه سيكون من الصعب عليه وصف حفنة المتاجر التي مروا بها سابقًا.

فولك:

- يبدو أنك وحيد هنا.

هز تشيس كتفيه، وقال:

- الأمر ليس بهذا السوء!

كان يسير في الطريق غير المستوية بسهولة، تدل على أنه قد سار عليها

عدة مرات من قبل، وقال:

- أحب أن أكون بالخارج طوال الوقت، وعمل الجوّالة يناسبني، لأنني اعتدتُ

التخييم هنا حينما كنت في عمر أصغر، لذا، فإنني أعرف المنطقة تمام

المعرفة، بالإضافة إلى أنني لم أحب الوظيفة المكتبية قط. وقَعْتُ عقدًا

مع شركتين منذ ثلاث سنوات، ومنذ عامين عملتُ فيهما هنا. تلك هي

المرّة الأولى التي يحدث فيها مثل هذه الحادثة!

على مسافة، كان بوسع فولك أن يسمع صوت ارتطام المياه؛ إذ كانوا

يمشون ببطء ومشقة منذ أن انطلقوا في مسيرهم. فقال:

- في أفضل الأحوال، كم من الوقت سيمر قبل أن يجدوا أليس في تقديرك؟

تشيس:

- لست مؤهلاً لأجيب عن ذلك، أعني أننا لا نمر بالأجواء الشتوية التي

تمر بها ولاية ألاسكا، لكن للحق الجو بارد جدًّا هنا، خاصّة في الليل،

وبالطبع عندما لا يكون لك ملجأ لتنعّم فيه ببعض الدفء، إذا علقتُ في

الخارج، مع وجود بعض الرياح وهطول بعض الأمطار، سيكون من

الصعب النجاة في هذه الظروف. (ثم تنهد، وقال) لكن أتعلم، إن كانت

ذكية، ستبذل قصارى جهدها من أجل أن تتحلّى بالدفء والجفاف،

وستظل منتعشة، وفي النهاية لن تعلم ما الذي يحدث، فالناس يمكن

أن يكونوا أصلب مما تعتقد.

كان على تشيس أن يرفع صوته، بينما يدورون حول منعطف، ويتواجهون

وجهًا لوجه بستارة من الماء. بينما يهبط النهار على حافة المنحدر، ثم إلى

البركة الواقعة تحتهم مباشرة. كان صوت الماء يرتفع فيما يسيرون نحو

الجسر. وقال:

- شلالات ميرور.

اتكأت كارمن على سور الجسر، وقالت:

- هذا مذهل! (فيما كان شعرها يتساقط على وجهها، بدا الرذاذ الناعم للمياه معلّقًا في الهواء. وتابعت) وما ارتفاعها؟
تشيس:

- ليس كبيرًا، 15 مترًا فقط، لكن عمق البركة يماثل هذا الارتفاع تحت السطح أيضًا، كما أن ضغط المياه جنونيًا لدرجة أنك لن تحبّي التعرض له، لكن عليك أن تعرفي أن سقوط المياه ليس هو المشكلة، بل إن الصدمة والبرد هما ما سينهيان حياتك. غير أن الحظ حليفك، فهذا الوقت من العام هو أفضل الأوقات لرؤية شلالات ميور، لأنها ليست باهرة في الصيف؛ إذ كان بوسعنا هذا العام أن نتسلل إلى مكان سقوط المياه، فكما تعلمين، كانت سنة الجفاف.

وضع فولك على يده القفاز الجديد الذي كان داخل جيبه. وبالطبع، كان فولك يعلم ما يتحدث عنه تشيس. وتابع تشيس:

- لكن الشلالات عادت لعهدا الجميل منذ أن تغيّر الطقس مرة أخرى، الشلالات الشتوية العظيمة، لذا، بوسعك أن تعرفي لماذا اكتسبت اسمها.

كان فولك يعلم سبب اكتسابها لاسمها؛ عند سفح الشلالات المتساقطة، جرف النهر معظم المياه المتساقطة، لكن الانحراف في الأرض أدى إلى تآكل جانبيها، فتدفقت المياه إلى بركة كبيرة وهادئة. في طريقها، تتماوج المياه بلطف، بينما يعكس سطحها البيئة المحيطة الخلاب، حيث عكس على سطحها صورة متطابقة، لكن بظلال داكنة. قال تشيس:

- من الأفضل الآن أن نعود مرة أخرى إذا كنتما مستعدين لذلك.

فولك:

- لا مشكلة.

فيما يستدير فولك ليتبع تشيس، وقعت عيناه على بقعة من الألوان على مسافة منه. على الجهة الأخرى من الشلالات، حيث تختفي الطريق داخل الأدغال، كان شخص وحيد صغير الجسم يحدّق إلى المياه. اعتقد فولك أنها

امرأة تميزها قبعتها الأرجوانية عن الألوان الخضراء والبنية المحيطة بها. قال فولك لكارمن:

- ثمة شخص هناك.

نظرت كارمن إلى حيث يشير وقالت:

- نعم، هل تعرفت عليها؟

فولك:

- من الصعب، من هذه المسافة!

كارمن:

- ولا أنا، لكنها ليست أليس على كل حال.

فولك:

- لا، مع الأسف.

كانت هيئة الشخص صغيرة جدًا، وشعرها الذي يتدلى من أسفل القبعة داكنًا للغاية. لم يكن بوسع المرأة على الأرجح أن تسمعهما نظرًا للمسافة وصوت الشلالات، لكنها أدارت رأسها بحدة تجاههم، فرفع فولك يده، لكنها لم تتحرك، وبينما يتبعان تشيس إلى بداية الطريق مرة أخرى، نظر فولك مرة أخرى.. مرة أو اثنتين، فواصلت المرأة النظر إليهم حتى التهمتهم الأشجار، ولم يستطع فولك رؤيتها مرة أخرى.

اليوم الثاني: صباح يوم الجمعة

فتحت بيث سحابة الخيمة من الداخل، خائفةً من أن تُصدر أيّ ضجيج. نظرت إلى الورا، فرأت أختها لا تزال نائمة بعمق، مستلقية على جانبها، تنزلق رموشها فوق عينيها، فتوازي وجنتيها، وشعرها يشكل هالة داكنة حول رأسها. دائماً ما كانت تنام هكذا، وهي طفلة. كانت كلتاها تنام كذلك، وجهاً لوجه تقريباً، وشعرهما منسدل على الوسادة، تتقاسم أنفاسهما هواء نفس الغرفة. اعتادت بيث أن تفتح عينيها كل صباح، وترى صورة لنفسها في الماضي، إلا أن ذلك لم يحدث لفترة طويلة، ولم تُعد بيث تنام مستلقية على جانبها بعد؛ إذ كان نومها هذه الأيام متقطعاً ومضطرباً.

خرجت إلى الهواء البارد، وأغلقت سحابة الخيمة وراءها، مرتبكة خشية أن يُصدر حذاؤها صوتاً مزعجاً، إذ كانت الأحذية قد ابتلت في الليلة السابقة، ولا تزال مبتلة اليوم. كانت السماء رمادية وملبدة بالغيوم، كما كانت أمس، ولم يكن ثمة حراك من الخيم الأخرى.. كانت وحدها. تملكته الرغبة في أن توقظ أختها حتى تجتمعا معاً للمرة الأولى منذ.. لم تكن بيث تعرف الفترة التي مرت عليهما، ولم تجتمعا خلالها معاً، لكن على الرغم من ذلك لم توقظها، فقد رأت الإحباط الذي ظهر على مُحياً أختها حين أَلقت أليس حقيبتني ظهر الأختين أمام نفس الخيمة، إذ كانت بري تفضّل تشارك الخيمة مع رئيستها، وليست مع أختها.

أشعلت بيث سيجارة، وسحبت أول نفس، وتمطّت لتفرد عضلاتها. سارت حتى حفرة النار، التي كانت مشتعلة في الليلة السابقة، لكنها الآن باردة وداكنة. أما الأواني التي كانت تحفظ الطعام، فكانت موضوعة تحت حجر، ومحتوياتها تتسرب برفق، فتلطّخ الحساء، وتجلّط سطحه -لا بد أن حيواناً ما قد تعثر به في الليل-، لكن رغم ذلك كان به الكثير من الطعام. يا لها من خسارة! ظنت بيث فيما راحت معدتها تدمدم. لقد استمتعت حقاً بوجبتها في الليلة السابقة.

كان طائر الكوكابورا يجلس على جذع شجرة بجانبها، يراقبها بعينيه السوداوين، فالتقطت بيث قطعة لحم من الأواني المهملة، وألقتها صوب الطائر الذي التقطها بطرف منقاره. سحبت بيث من السجارة مجددًا، بينما راح الطائر يقلّب اللحم يمينًا وشمالًا، فارتاح في النهاية عندما وجدها نافقة، فابتلعها في جرعة واحدة، وطار بعيدًا، تاركًا بيث وحدها مرة أخرى. انحنى لتطفئ سيجارتها، فتعثرت قدمها بزجاجة نبيذ نصف فارغة، لكنها لم تتمالك نفسها، فاصطدمت بها، وسكبت ما تبقى منها كبقع الدم على الأرض.

- اللعنة!

شعرت بوخز الاستياء يُلحّ عليها مرة أخرى، وذلك بسبب تصرّف أليس الوقح، إذ كانت بيث تُبقي فيها مغلقًا، بينما راحت أليس تصيح مُصدرةً الأوامر بشأن نصب الخيام، لكن عندما طلبت منها أن تحضر النبيذ، حدّقت إليها بيث في ارتباك، لكنها اندهشت عندما فتحت أليس حقيبتها بنفسها، وفتّشت في القاع، لتُخرج ثلاث زجاجات نبيذ لم تكن بيث قد رأتها من قبل.

- هذه الزجاجات ليست لي!

ضحكت أليس، وقالت:

- أعلم ذلك، إنها للجميع.

بيث:

- إذن، لم هي في حقيبتني؟

تحدثت أليس ببطء هذه المرة، كما لو تتحدث إلى طفلة:

- لأنها من أجل الجميع، كان علينا جميعًا أن نساعد بعضنا في حمل مستلزمات الرحلة.

بيث:

- أنا أحمل نصيبي بالفعل، وهذه الزجاجات وزنها ثقيل، و... (ثم توقفت...).

أليس:

- ثم ماذا؟

بيث:

- ليس من المفترض أن...

أليس:

- ما الذي ليس من المفترض أن تفعله؛ أن تمدّي يد المساعدة؟
- لا.

نظرت بيث إلى أختها، إلا أن بري كانت تنظر إليها بالفعل، ووجنتاها حمراوان من الإحراج، وكأن لسان حالها يقول: «توقفي عن إصدار مثل هذا الضجيج!». تنهدت بيث، وقالت:

- ليس من المفترض أن أحمل النبيذ.

نقرت أليس على الزجاجات، وقالت:

- حسنًا، والآن أنت لا تحملين شيئًا، حُلّت المشكلة!

بيث:

- هل تعرف جيل بذلك؟

توقفت أليس عند هذه الكلمة. لا تزال الابتسامة ترسم على شفيتها، لكن تلاشى الاندهاش وقالت:

- تعلم ماذا؟

بيث:

- هل جيل تعلم أن الزجاجات في حقيبتني؟

أليس:

- إنها مجرد ثلاث زجاجات بيث، ومن الممكن أن تقدّمي شكوى إذا كنا قد جرحنا مشاعرك.

وانتظرت أليس فترة، فعَمَّ الصمت حتى هزت بيث رأسها، ورأت أليس تقلب عينيها قبل أن تستدير مبتعدة. في وقت لاحق، حينما أخرجت لورين زجاجة نبيذ عند نار المخيم، كانت بيث أكثر انجذابًا للنبيذ مما كانت عليه منذ فترة طويلة؛ إذ بدا لها أن الأدغال تحفظ الأسرار جيدًا، وبدا أن بري منشغلة للغاية لدرجة أنها لن تراقبها، ومما جذبها للنبيذ أن رائحته دافئة ومألوفة، كما لو كان يعانقها، لكنها رفضت مشاركة النبيذ في البداية قبل أن تعِدل عن قرارها وتوافق.

تمنّت لو أن دانيال يبلي لم يُحضِر الرجال معه، فهم من أحضروا معهم كميات إضافية من النبيذ، لكنها وجدت أنه سيكون من الصعب أن ترفض مشاركة المجموعة، فقد كان الجو يُشعرها كما لو كانت في حفل، لكنه حفلٌ سخيّف. كانت تلك هي المرة الأولى التي ترى فيها الرئيس شخصياً، فلم يكن يزعج نفسه بالنزول إلى قسم الأرشيف، ولم تُدعَ هي إلى الدور الثاني عشر قط، لكن من الطريقة التي كان الناس يتحدثون بها عنه، توقعت المزيد عنه بطريقة ما. كان يقف بجانب نار المخيم مع أكثر من رجل، بقصّة شعر مكلفة وابتسامة من الواضح أنه قد أُخبر أنها ساحرة، لكن من المحتمل أن يكون مختلفاً في مكتبه.

كانت بيت تراقب دانيال، ورأته عندما اصطحب أليس جانباً، وسارا معاً حتى اختفيا في الظلام. «أكان هناك شيء بينهما؟» تساءلت بيت، لكن شيئاً ما في سلوكه جعلها لا تعتقد ذلك، لكن ما الذي تعرفه على أيّ حال؟ لقد مرت سنوات منذ أن رغب شخصٌ ما في أن يختفي معها في الظلام. التقطت طرفاً من محادثتهما، وهي تتجول في المخيم، باحثةً عن شخص تتحدث معه. لا، لقد كانت على صواب للمرة الأولى، لم تكن محادثتهما مقدّمةً لمحادثة هادئة بالتأكيد. همست بيت لأختها لاحقاً، حينما دخلتا الخيمة، وارتدتا ملابس النوم:

- إن الرئيس معتدٌ بنفسه، أليس كذلك؟

بري:

- هو من يدفع لكِ راتبك يا بيت، لذا، يجوز له ذلك!

بذلك، تقلبت بري، تاركةً أختها تحدّق إلى سقف الخيمة، وتتوق إلى تدخين سيجارة، ومن الأفضل لو كان شيئاً أقوى. تمطّت بيت فيما كان الفجر يشقشقق، ولم تُعدّ قادرة على تجاهل ألم مئانتها. نظرت إلى الشجرة التي خصّصنها لتكون محل قضاء حاجتهن في الظلام.. إنها هناك.. على بُعد مسافة قصيرة من المخيم، خلف الخيم؛ تلك التي تقف مكسورة الغصن.

تسكعت بيت إلى مكان قضاء الحاجة، حريصةً على معرفة أين تدوس بقدميها، فلم تكن تعرف كثيراً عن الحياة البرية، كما أن هناك المئات من الأشياء التي لا تريد أن توجّل قدمها بها. خلفها، كانت هناك حركة في المخيم، وصوت فك سحّابة خيمة تفتح، متبوعاً ببعض الهمسات. في تلك اللحظة

كان هناك شخص آخر قد استيقظ. توقفت بيث عند الشجرة. هل هي الشجرة المنشودة؟ يبدو شكلها مختلفاً في ضوء النهار، لكنها ظنت أنها هي؛ إذ كان هناك ذلك الغصن المكسور فوق رأسها، وإذا أعطت نفسها الفرصة للتركيز، ستدرك رائحة البول.

حينما كانت تقف عند الشجرة، سمعت بعض الأصوات التي تأتيها من داخل المخيم. كُنَّ يتحدثن بصوت خفيض، لكنها استطاعت تمييز أصواتهن؛ كانت جيل وأليس تتحدثان.

جيل:

- أعتقد أنك أسرفتِ في الشرب ليلة أمس. ليس أنتِ فقط، بل جميعنا كذلك!

أليس:

- لا يا جيل، الأمر ليس كذلك. أنا لا أشعر أنني على ما يرام، عليّ العودة.

جيل:

- إذن، علينا كلنا أن نعود.

أليس:

- بوسعي أن أجد طريقة للعودة وحدي...

جيل:

- لا يمكنني أن أدعك تعودين بمفردك. استمعي إليّ، هذا واجبنا، علينا أن نعود جميعاً.

لكن أليس لم تُجِب. قالت جيل لتؤكد أن الأمر على ما يرام:

- ولا يزال على الشركة أن تتحمل تكلفة الرحلة لنا نحن الخمس، وهو أمر لم يعد مهماً إذا لم نكن على ما يرام، لكن على الطبيب أن يكتب خطاباً للتأمين إذا كان هناك حالة مرضية واحدة نتيجة تناول الكثير من النبيذ....

أليس:

- جيل...

جيل:

- أو أننا قد مررنا بليلة سيئة من أثر النوم في الخيام. صدقيني.. أنا أعرف أن هذا أمرٌ شاق!

أليس:

- الأمر ليس...

جيل:

- وعلى أيِّ حال، لن يكون بمقدورنا أن نعود مرة أخرى إلى ملبورن حتى يوم الأحد، لذا، بصفتي رئيسة فريق.. أرى أنه سيكون من الأفضل أن...

تنهدت أليس، وقالت:

- حسنًا، حسنًا.

جيل: هل أنتِ بخير حال لنستمر؟

صمتت أليس قليلًا، ثم قالت:

- أعتقد ذلك.

جيل: جيد.

هزت الرياح الأغصان من فوق رأس بيت، لينزل من أوراق الشجر وابلٌ من الماء، وسقطت نقطة باردة على عنقها، فقررت فورًا أن تزيل سروالها، وتجلس القرفصاء وراء الشجرة. بدأت ركبته تؤلمها، وشعرت بالبرد يزحف على فخذيها. عدلت من وضع قدمها لتتجنب الماء الساقط من ورق الشجر، فيما سمعت وقع أقدام سريعة خلفها، فتعثرت، وهي تستدير وسقطت للخلف، فاصطدمت بشرتها الشاحبة بالأرض الباردة والدافئة والمبللة في آنٍ.

- يا إلهي! حقًا؟ تفعلين هذا بجانب الخيام التي ننام فيها!

طرفت عينا بيت حينما واجهت الشمس الساطعة، سروال بيت حول فخذيها، وكفها في الوحل. حدقت أليس إليها، بوجه شاحب وصارم، لدرجة يمكن معها أن تقول إنها مريضة حقًا، لكن بيت -بسبب الموقف- لم تتصرف بشكل طبيعيٍّ. قالت أليس:

- إذا كنتِ تكاسلت عن السير إلى حيث اتفقنا، فعلى الأقل تحلّي بالأخلاق

الواجبة، وافعلي هذا بجانب خيمتك، وليست خيمتي!

وقفت بيت على قدميها، وسحبت سروالها للأعلى، الذي كان ضيقًا ومشدودًا بإحكام حول فخذيها، لكنه كان يخونها مع كل سحبة للأعلى، ومن

حسن حظها أن قطرة رطوبة دافئة واحدة فقط سقطت على فخذها الداخلي،
لكن مع ارتباكها، قالت بيث:

- اعتقدت.. اعتقدت أن هذا هو المكان الذي اتفقنا عليه!

أليس:

- أتمزحين؟! إنه على بُعد مترين من المخيم تقريباً!

جازفت أليس بإلقاء نظرة، لقد كانت الشجرة على بُعد أكثر من مترين
بالفعل، أليس كذلك؟ لقد بدت لها المسافة أكبر في الظلام لدرجة أنها اعتقدت
أنها خمسة أمتار. وقالت:

- أنتِ لم تصلي إلى التل حتى!

بيث:

- حسناً، لقد قلت أنا آسفة!

تمنّت بيث لو تسكت أليس، إلا أن ذلك كان متأخراً للغاية، إذ صدر صوت
خفيف أقمشة الخيم، وخرجت منها ثلاثة رؤوس. رأت بيث عيني أختها
متصلبتين، ولم تحتج بري أن تعرف ما جرى بالضبط، فقد كان ما تراه كافياً؛
لقد فعلتها بيث مجدداً. صاحت جيل:

- أهنالك مشكلة؟

استقامت أليس:

- لا، الأمور تحت السيطرة، هذه هي الشجرة المنشودة.

ثم أشارت إلى شجرة على مسافة، ليس بها غصن مكسور. التفتت بيث
إلى الوجوه الثلاثة التي خرجت من الخيام، وقالت:

- آسفة. لقد اعتقدت أن.. أنا آسفة.

قالت أليس، وهي لا تزال تشير إلى موضع الشجرة:

- رأيت الشجرة التي أقصدها؟

بيث:

- نعم، بوسعي رؤيتها. انظري، أنا أس...

قاطعتها جيل، وهي تصيح:

- لا بأس يا بيت، وشكرًا لك يا أليس. أعتقد أننا جميعًا على علم بمكان الشجرة الآن!

ظلت أليس محدّقةً إلى بيت، ثم خفضت ذراعها ببطء. لم تنظر بيت إلى أيّ شخص، وهي عائدة إلى المخيم، إذ كان وجهها قد استحال إلى اللون الأحمر، فيما كانت أختها تقف صامتة على مدخل الخيمة، وبياض عينيها قد احمرّ. كانت بيت تعرف أن عيني أختها تعانيان من آثار السُّكَّر، لكنها على الرغم من ذلك، لم تقض ليلة جيدة.

اندسّت بيت داخل الخيمة، وأغلقت بابها. كان بوسعها أن تشم رائحة البول في سروالها الوحيد، وتشعر بحرقّة تصيبها في قاع عينيها. أغلقت عينيها، وضغطتْهما بشدة، وظلت بلا حراك كما علّموها في مركز إعادة التأهيل. تنفست بيت بعمق، وحاولت التفكير في أفكار إيجابية حتى مر الحرج الذي كانت تشعر به. فيما كانت بيت تحصي أنفاسها، وتركز أفكارها، تخيلت أنها تدعو السيدة الأخرى للوقوف بجانبها في دائرة. كانت الصورة واضحة حين مدت بيت يدها إلى أليس. تأخذ أنفاسها بعمق. تخيلت بيت نفسها، وهي تصل إليها، وتمد أصابعها داخل خصلات شعر أليس الذهبية. تأخذ أنفاسها بعمق. ثم تحكم قبضتها على شعر أليس، وتجرّها، وهي تسحب وجهها الجميل على الأرض، وتسحقه في الوحل حتى تصرخ. تأخذ أنفاسها بعمق، وعندما أحصت مئة مرة، زفرت بيت زفرة أخيرة، وابتسمت لنفسها. لقد كان مرشدها على حق؛ إن تخيل ما تريده يُشعرها بأنها على ما يرام بشكل كبير.

الفصل السابع

ساد الارتياح عند الخروج من طريق شلالات ميرور، فالتقط فولك أنفاسه، بينما انفتحت السماء، وانشقت الأشجار أمامهم. في الأفق، انسكبت الأضواء الصادرة من النوافذ على أرض المخيم، لكن أصداءها لم تصل إلى المخيمات الرابضة عند أول الطريق. تبع هو وكارمن رفيقهما تسييس إلى موقف السيارات، شاعرين بالحصى المسحوق تحت أحذيتهم. وفيما يقتربون من المتنزه، شعر فولك بكارمن تنقره في ذراعه. وهمست له:

- اثنان مقابل واحد هناك.

كان دانيال يبلي يقف بجانب سيارته «البي إم دبليو»، مع سيدة عرفها فولك على الفور؛ إنها أخته.. جيل. ورغم بُعد المسافة، استطاع فولك أن يميز الكدمة على فكها، وتذكر فولك على الفور ما قاله الرقيب كينج: «بعض الإصابات». وكان من المؤكد أن جيل لم تكن مصابة بتلك الكدمة في صورة المجموعة التي التقطت في اليوم الأول.

والآن كانت تقف وجهاً لوجه مع أخيها يتجادلان. لقد كان جدالاً لشخصين لم يصدر عنهما أيُّ حركة أو كلمة، وكأنه جدال مشروط بأن لا يخرج للعلن. كانت جيل تتمايل، وهي تتحدث؛ تشير بيديها صوب الأدغال، ثم تبعد يديها. وكان يستجيب بحركة واحدة من رأسه. حاولت جيل مجدداً، ومالت تجاه الأدغال، لكن دانيال يبلي كان يتجاهلها، ويرفض النظر إليها، وينظر وراءها، متجنباً النظر إلى عينيها، ولم يكن يستجيب إلا بحركة من رأسه، لقد قلتُ: «لا». حدّقت جيل إليه، بوجه متبلد، ثم دون كلمة أخرى، استدارت وصعدت صوب مكتب الاستقبال، بينما اتكأ دانيال على سيارته، وراح يراقبها حتى اختفت من أمام ناظريه. حرك رأسه، فوقع نظره على إيان تسييس بسُفرة

الشركة المميزة التي يرتديها، وبدا محرّجًا لوهلة، وهو يظن أنه كمن قُبِض عليه متلبسًا بالجدال مع أخته، لكنه تجاوز الموقف سريعًا.

رفع دانيال ذراعه، فيما صوته يرن عبر موقف السيارات:

- أهلاً، ألدك أيُّ أخبار؟

ساروا في اتجاهه. لقد كانت المرة الأولى التي كان بوسع فولك أن يرى فيها دانيال ببلي من قرب. كان فمه يبدو حازمًا فيما بدا التوتر حول عينيه، لكنه لا يزال يبدو أصغر من عمره الذي بلغ السابعة والأربعين، كما بدا أنه يشبه الصور التي رآها فولك لوالده كثيرًا، الذي لا يزال عضوًا في مجلس الإدارة بحسب آخر بيان للشركة، إلا أن دانيال كان أقل انحناءً في الظهر، وتجعدًا في البشرة، لكن الشبه بينهما كان واضحًا.

نظر ببلي إلى فولك وكارمن باهتمام لَبِق. انتظر فولك، لكنه استطاع أن يكتشف أن دانيال لا يعرفهما، فشعر بقدر ضئيل من الراحة، فقد يفيد هذا على الأقل. قال تشيس:

- لم يطرأ جديد لأقوله لك، ليس الآن على كل حال.

هز ببلي رأسه، وقال:

- بحق الرب، لقد قالوا إنهم عثروا على حقيبتها اليوم.

تشيس:

- كان يحدوني الأمل أن يجدها اليوم.

دانيال:

- هل رصد المزيد من الأموال سيساعد في أيِّ شيء؟ لقد قلت إننا

مستعدون لدفع الأموال، وهم يعرفون، أليس كذلك؟

نظر تشيس إلى الأدغال:

- الأمر لا يتعلق بالمال، ولكن يتعلق بكل ما عداه، لا تعرف كيف يبدو الأمر هنا!

قبل أن يغادرا موقع البحث، فضَّ الرقيب كينج خريطةً ليبين لفولك وكارمن

المناطق التي يبحثان بها. ولقد قال إن الأمر يستغرق أربع ساعات للبحث في

كيلومتر مربع واحد. ذلك إذا كان ذا كثافة أدغال متوسطة، ويستغرق وقتًا

أطول إذا كانت الأدغال كثيفة أو منحدره، أو موحلة بالمياه. بدأ فولك في

إحصاء عدد المربعات، لكنه استسلم عندما وصل إلى عشرين. قال ببلي:

- هل بحثوا في المنطقة الشمالية الغربية؟

تشييس:

- إنها منطقة لا يمكن دخولها، كما أنها منطقة خطيرة جدًا في ظل هذا الطقس.

بيلي:

- كل هذا يدعونا للبحث فيها، أليس كذلك؟ من السهل أن لا يجدك أحد هناك.

كانت الطريقة التي يتحدث بها بيلي تصدّر صورةً بأنه يتحدث حديثًا

أجوف. تنحنح فولك، وقال:

- لا بد أن ما حدث أمر صعب عليك، وعلى موظفيك. أتعرف المرأة

المفقودة معرفة وثيقة؟

نظر بيلي إليه باهتمام للمرة الأولى، وقد كانت نظرتة متجهمة ومتشككة:

- هل أنت...؟

تشييس:

- إنهما من الشرطة، كانا يساعدان في البحث.

مد بيلي يده مصافحًا:

- حسنًا، نشكركما على التعاون.

قدّم بيلي نفسه. كانت كفه باردة، وأطراف أصابعه متصلبة، ولم تكن يد

رجل قضى كامل عمره وراء مكتبه. كان يبدو أن بيلي يخرج من مكتبه لشأن

أو لآخر. كرر فولك سؤاله، وهو يهز رأسه:

- هل تعرفها معرفة وثيقة؟

قال بيلي بوجه متجهم للغاية:

- أليس؟ نعم، معرفة وثيقة، لقد عملت معنا لأربع سنوات...

ظن فولك أنها خمس سنوات في الواقع.

- لذا فهي عضو مهم في فريق الشركة. أعني أنهم جميعًا كذلك بالطبع،

لكنني أخصّها بالذكر نظرًا للمشكلة التي حدثت لها... (وهز بيلي رأسه،

وتابع) أنا قلق للغاية، وبدا كما لو أنه يعني ذلك بالفعل.

كارمن:

- أنت لم ترَ أليس قبل أن تنطلق مع المجموعة يوم الخميس، أليس كذلك؟

بيلي:

- لا، لقد وصلت متأخرًا، لأنني علقت في شيء، وفاتتني الحافلة.
كارمن:

- هل لي أن أسأل عن السبب؟

نظر بيلي إليها، وقال:

- لقد كان شأنًا عائليًا!

قالت كارمن بصوت واضح:

- أعتقد أن إدارة عمل خاص بالعائلة لا يمنحك فرصة للراحة.
ابتسم بيلي ابتسامة خفيفة:

- نعم، هذا صحيح، لكنني رغم ذلك أحاول الحفاظ على بعض المسافة
كلما كان ذلك ممكنًا. تندفعين للجنون في بعض الأحيان، لكن ذلك
أمرٌ لا يمكن تجنبه مع الأسف، لكنني اعتذرت لباقي أعضاء الفريق على
كل حال. من الواضح أن ذلك لم يكن أفضل شيء يمكنني فعله، لكن
ما حدث عطّلني لساعة واحدة فقط، وهو ما لم يشكل فارقًا كبيرًا في
النهاية.

فولك:

- ألم يصادف فريقك أيّ مشكلات في الوصول إلى نقطة الاجتماع في
الوقت المحدد؟

بيلي:

- لا، لقد كان مسارًا صعبًا، إلا أن الطرق نفسها لم تكن شاقة، أو كان من
المفترض أن تكون كذلك على أيّ حال.

ونظر بيلي إلى تشيس الذي أومأ موافقًا على كلامه. قال فولك:

- يبدو أنك تعرف المنطقة حق المعرفة.

بيلي:

- قليلًا، لقد قصدتُ هذا المكان عدة مرات من قبل، ونحن نعقد خلوات
شتوية لشركتنا هنا مع الشركة المنظمة، إنها منطقة رائعة، لكنها لا
تنتمي إلى المناطق التي يمكن أن تضلّ فيها لمدة طويلة.

فولك:

- أتأتي دائماً للمعتكفات التي تقام هنا؟

بيلي:

- إنها أفضل عذر يمكن الاعتذار به حتى أرتاح من العمل.

بدأ بيلي يرسم على شفثيه ابتسامة آلية، لكنه ضبط نفسه، وهو يبتسم، ثم

عاد مرة أخرى ليرتسم على وجهه شيء من العبوس، وتابع:

- دائماً ما نجد الخلوات هنا جيدة للغاية.. جيدة التنظيم بشكل عام. دائماً

ما كنا سعداء بها، حتى.. (ثم انقطع كلامه) حتى حدث ما حدث!

واصل تشيس النظر إلى الأرض. قال فولك:

- لكنك رأيت أليس راسل خلال الليلة الأخيرة؟

رمشت عينا بيلي:

- أتقصد في الليلة الأولى؟

فولك:

- أهنالك أي مرة أخرى؟

رد بيلي بسرعة:

- لا، في الليلة الأولى فقط. لقد كان تواملاً اجتماعياً بين المعسكرين.

فولك:

- ومن صاحب تلك الفكرة؟

بيلي:

- لقد كانت فكرتي. من الطيب أن نلتقي جميعاً في مساحة مختلفة عن

مساحة العمل. نحن نعمل جميعاً في شركة واحدة، وكلنا في نفس

القارب.

نظر فولك إلى محدّثه بيلي من قرب:

- أأجريت محادثة مع أليس؟

بيلي:

- محادثة بسيطة في بداية الليلة، لكننا لم نستمر لوقت طويل، لأننا

غادرنا عندما أمطرت السماء.

فولك:

- عن ماذا كان حديثكما؟

رفع بيلى حاجبيه:

- لا شيء في الحقيقة، لقد كانت محادثة عامة عن العمل.

كارمن:

- حتى في زيارة ودية؟

ابتسم بيلى ابتسامة صغيرة:

- كما قلت، أنا لا أتوقف عن العمل.

كارمن:

- وكيف بدت لك في تلك الليلة؟

تنهد بيلى:

- بدت على خير حال، لكننا لم نتحدث طويلاً.

فولك:

- ألم تساورك المخاوف بشأنها؟

بيلى:

- مخاوف بشأن ماذا؟!

فولك:

- بشأن أي شيء؛ بشأن صحتها، أو حالتها الذهنية، أو قدرتها على

مواصلة الرحلة.

بيلى:

- إذا كان لديّ مثل تلك الشكوك بشأن أليس أو أيّ من موظفينا، كنت

سأصرف.

وفي مكانٍ ما في عمق الأدغال، غرّد طير مصدراً نغمة حادة وعالية. رفع

بيلى حاجبيه، ونظر إلى ساعته. وقال:

- انظرا، أنا آسف، شكراً لمساعدتكما في البحث، لكن عليّ أن أتحرك الآن

لأصل إلى الموقع في الموعد المحدد لحضور اجتماع الليلة.

تنحنح تشيس، وقال:

- سأقصد المكان بنفسى، أترى توصيلة؟

نقر بىلى سقف سيارته «البي إم دبليو»، وقال:

- أنا بخير، شكرًا لك.

أخرج مفاتيح سيارته، وألقى التحية ملوِّحًا بيديه، ثم انطلق سريعًا مختبئًا خلف زجاج السيارة المعتم. راقبه تشيس، وهو يغادر، ثم نظر بحسرة إلى حافلة الشركة الصغيرة التي تقف في موقف السيارات، فقال:

- من الأفضل أن أكون هناك أيضًا. سأطلعكما على أيّ جديد.

ثم انطلق والمفاتيح في يده، ووجد فولك وكارمن نفسيهما وحيدين مرة أخرى. قالت كارمن:

- أريد أن أعرف ما الذي عطلَّ بىلى، أتصدق أنه شأن خاص بالعائلة؟
فولك:

- لا أعرف، إنها شركة عائلية، ويمكنهم أن يخفوا الكثير تحت هذا العذر!
- حسنًا، أريد أن أقول إنني لو أمتلك سيارة مثل سيارته لكنتُ فوّت الحافلة أيضًا!

سار السيّدان حتى سيارتهما التي أوقفها في الركن البعيد، وفيما كانا يفتحان صندوق السيارة الخلفي، ثار الحصى وأوراق الشجر بفعل غبار الجو. أخرج فولك حقيبته المهترئة، وحملها على كتفه. قالت كارمن:

- ظننت أنك قلت إنك لم تخرج في مثل هذه الرحلات من قبل؟
فولك:

- لم أفعل.

كارمن:

- حقيبتك لا توحى بذلك؛ مهترئة لدرجة أنها لن تكمل الرحلة.
فولك:

- نعم، لقد استُخدمت كثيرًا، لكن لست أنا من استخدمتها!

لم يقل فولك المزيد، لكن كارمن نظرت إليه متوقعةً ما سيقوله. زفر فولك:

- هذه حقيبة والدي.

كارمن:

- جميل، وهل أعطاهما لك؟

فولك:

- نوعًا ما، لقد مات، فأخذتها.

- لا بأس، لن يحتاجها مرة أخرى، تعال.

استدار فولك قبل أن تستطيع كارمن أن تقول شيئًا آخر، ثم عبرا موقف السيارات، ووصلا إلى مكتب الاستقبال. لقد كان كالجحيم مقارنةً بالخارج، ما جعل فولك يشعر بالערق ينز على بشرته. كان نفس موظف الاستقبال يجلس خلف المكتب، ثم تفقد قائمة الغرف المحجوزة للشرطة والمفتشين، وسلم كل منهما مفتاحه. وقال لهما:

- ارجعا من حيث جيئتما، ثم اتبعا الممشى إلى اليسار؛ غرفتيكما في آخر الممر، بجانب بعضكما بعضًا.

- شكرًا.

توجَّها للخارج، وسارا إلى الجانب الآخر من مكتب الاستقبال حتى وصلا إلى كوخ طويل، ومتين، وخشبي. الكوخ منقسم إلى كبائن فردية، لها رواق مشترك ممتد إلى مقدمة الكوخ. كان بوسع فولك أن يسمع صوت تساقط رذاذ المطر على السطح، وهما يسيران، ووجدا غرفتيهما في النهاية كما قيل لهما. قالت كارمن:

- سنتجمع مرة أخرى خلال عشرين دقيقة.

ثم اختفت خلف الباب. في الداخل، كانت غرفة فولك صغيرة، لكنها حميمية، إذ شغل السرير معظم مساحة الغرفة، مع خزانة ملابس محشورة في ركن من أركانها، وباب ملحق بالغرفة يؤدي إلى حمام. خلع فولك معطفه، وتفقد هاتفه: «الإشارة مفقودة هنا أيضًا!». أنزل حقيبته (حقيبة والده)، ووضعها مقابل الحائط. بدت في حالة يرثى لها إزاء طلاء الحائط، لم يكن فولك على يقين من السبب الذي دفعه إلى اصطحابها، فقد كانت لديه حقائب أخرى يمكنه استخدامها، لكنه وجدها في خلفية خزانة ملابسه، وهو يبحث عن حذائه. كاد ينسى وجودها في خزانة ملابسه، كاد، ولم ينسها تمامًا، فأخرجها فولك من الخزانة، وجلس على الأرض لفترة طويلة في شقته الهادئة، وهو ينظر إليها.

لم يقل لكارمن الحقيقة كاملة؛ إذ إن الحقيقة أن أباه لم يمنحه الحقيقة بالضبط، لكن ممرضة المستشفى سلّمتها إياها منذ سبع سنوات بعدما مات أبوه بعد صراع مع مرض السرطان. كانت الحقيقة خفيفة، لكنها لم تكن فارغة؛ إذ احتوت متعلقات إريك فولك الأخيرة. استغرق الأمر من فولك مدة طويلة قبل أن يتفق محتويات الحقيقة، ومدة أطول ليتبرع بها، أو بالأحرى ليتخلص من المحتويات الموجودة بداخلها. وفي النهاية، احتفظ بالحقيقة، وثلاثة من محتوياتها؛ صورتين، ومظروف كبير ومهترئ؛ كان مجعدًا، وفي حالة يرثى لها من حافاته، ولم يُحك إغلاقه قط.

فتح فولك الجيب العلوي من الحقيقة، وأخرج ما بداخله. كان المظروف أكثر اهتراءً مما كان يتذكر. نشر محتويات المظروف على السرير، أمامه خطوط ومنحدرات، وظلال ورموز، قمم وأودية، وأدغال وشواطئ؛ أفضل ما في الطبيعة، كل ذلك على الورقة الموضوعية أمامه.

بينما كان فولك يُجري أصابعه على الخرائط، شعر بالدوار من زيادة الألفة. كان معه أكثر من عشرين خريطة؛ بعضها قديمة، وبعضها استُخدمت أكثر من غيرها، وكانت الأوراق ضعيفة ومفحوصة جيدًا. كان والده يعدل عليها بالطبع، فقد كان يعرف أفضل، ورغم معرفته الكبيرة على أي حال، كانت كتابات إريك فولك على الخرائط تستدير وتتقوس مع طرق المناطق الكبرى للتنزه في الولاية؛ ملاحظات كانت قد دوّنها في كل مرة ينتعل فيها حذاءه، ويحزم حقيبته، ويحملها على ظهره، ويترك المدينة وراءه بزفرة ممتنة.

لقد مر وقت طويل منذ أن نظر فولك إلى الصفحات، ولم يستطع قط حمل نفسه على أن يفحصها من قرب. بحث عبر الخرائط حتى وجد الخريطة التي يبحث عنها؛ ضاحية جيرالانج ونواحيها. كانت خريطة قديمة ومصفرة عند أركانها، وسريعة العطب ومجعدة من أثر ثنيات الطي.

خلع فولك حذاءه، وارتمى على السرير، وترك رأسه يغرق في الوسادة لدقيقة. شعر بثقل عينيه، إلا أنه كان أثقل في قاع عينيه، وليس في المقدمة. فتح الخريطة عشوائيًا، ووجَّهها للضوء. العلامات التي كُتبت بالقلم الرصاص بهتت بفعل الزمن في بعض الأماكن، وبعض الكلمات المكتوبة على الحافات

انمحت. قرَّب فولك الخريطة من وجهه، وشعر بالألم الحاد من أثر الانزعاج، فلم يَكُنْ خط يد أبيه قابلاً للقراءة، لذلك حاول فولك التركيز. «معسكر ووتر سبوت: طريق مغلقة بشكل غير رسمي». دَقَّق فولك النظر مرة أخرى لوقت أطول هذه المرة. كانت غرفته دافئة.

طريق مختصرة. نقطة مراقبة. شجرة متساقطة.

وميض. كانت الرياح تهدر في الخارج، وتضغط على زجاج نافذة الغرفة. ليست آمنة في الشتاء. خُذ حذرك.

تردد الصدى محذراً.

سرٍ بحذر. طريق خطيرة.

أغلق فولك عينيه.

اليوم الثاني: صباح الجمعة

استغرق الأمر وقتًا أطول من المعتاد لحزم الأمتعة، ومغادرة المخيم. كأن الخيم تعاند الرحيل، وترفض أن تنفض بسهولة، وتعود لحجمها الصغير الأصلي، فانشجرت سحَابَات الحَقَائِب، وتمزقت اعتراضًا على هذا.

كانت جيل مدركة أن حقيبتها لن تكون أثقل من اليوم السابق. عرفت ذلك، لكنها لم تصدق الأمر عندما رفعت حقيبتها على كتفيها. لقد كنَّ متأخراتٍ عن موعدهن بالفعل، لكنها تركت رفيقاتها يتكاسلن على ضوء الصباح الواهن، وعبثن في جمع الأربطة وزجاجات المياه. لقد عذفت عن ترك المخيم، وشكَّت في أنها ليست الوحيدة في ذلك؛ إذ كانت المخيمات الأخرى على طول الطريق أصغر حجمًا، وأفقر تجهيزًا، عرفت ذلك، لكنه لم يكن السبب الوحيد لعزوفها. لقد كانت قلقة من التضحية بأمان نقطة البداية للارتحال إلى المجهول.

ظلت جيل تراقب أليس بنظرات مستهترة، وهي تحزم أمتعتها، إذ نادرًا ما تحدث المرأة إلا عندما سألت مرتين عن حقائب الخيم، لكنها لم تكن مريضة. كانت جيل على يقين من ذلك، كما أنها لن تطلب الإذن لمغادرة الرحلة مبكرًا، وكانت جيل على يقين من ذلك أيضًا.

وجدت أليس تجمع زجاجات النبيذ الفارغة، وعبأت كيسًا من مخلفاتهن، وسلَّمته لبيت فورًا. ومن الواضح أنه لا وجود لوخز الضمير في فورة الصباح. كانت جيل على وشك أن تقول شيئًا، لكن بيت أخذت كيس المخلفات ببساطة، ووضعت في حقيبتها دون أيِّ تعليق، فتراجعت جيل، فقد تعلمت كيف تختار معاركها.

بعد ساعة، وبعدها انهارت كل الأعذار، بدأ المسير أخيرًا. تقدمت أليس الطريق سريعًا، بجانب بري التي كانت تمسك الخريطة في يديها، وتجرجر كعبيتها. كانت جيل تراقبهما من الخلف، وتغيَّر مكان حمل حقيبتها من كتف لأخرى، فقد شعرت أن حمَّالات حقيبتها تؤلمها، على الرغم من أن البائع

أخبرها بأنها مصنوعة من مواد خاصة لتُضفي الراحة. وقد أعادت ذكرى تلك المحادثة شعورًا بالخيانة الدائمة والعميقة لجيل.

استوت الطريق أخيرًا، لكنها كانت متفاوتة، ما يعني أنه كان عليها أن تأخذ حذرًا. والحال أنها قد تعثرت مرة، ثم تعثرت مرة أخرى، وفي المرة الأخيرة كادت تفقد توازنها، وشعرت أن يداً تمسكها، وتجذبها من ذراعها. قالت لورين:

- أنتِ بخير؟

- نعم، شكرًا، لكنني لم أعتد استخدام حذائي.

- أهو مؤلم؟

اعترفت:

- قليلًا.

انخفض صوت لورين قليلًا، وقالت:

- قد يساعد ارتداء طبقتين من الجوارب؛ واحد رقيق، وآخر كثيف. جيل، أردتُ أن أعتذر.

- عن أيِّ شيء؟

كانت جيل تعرف، أو ربما لم تُكن تعرف شيئًا. عندما فكرت جيل في الأمر، وجدت أن لورين يمكن أن تكون تشعر بالذنب على بعض الأمور. قالت لورين:

- بشأن آخر أسبوع، أعني أنني آسفة على عدم حضوري الاجتماع، لكن أندرو قال إنه يمكنه إجراء العرض وحده. آسفة، أعتقد أنه كان يجب أن أكون حاضرة، لكنني تعرضتُ لبعض الضغوط في المنزل مؤخرًا.

نظرت إليها جيل عندما قالت ذلك، -فقد كانت الضغوط التي تتعرض لها في المنزل هي العذر الوحيد لها مؤخرًا-. وقالت لها:

- هل يمكننا تقديم الدعم لك؟

لورين:

- لا، مع الأسف، لكن شكرًا لك على أيِّ حال.

وظلت لورين تواصل النظر إلى الأمام، فقد كانت نحيفة للغاية هذه الأيام، وقد لاحظت جيل الآن أن عظام عنقها ومعصمها بارزة على جلدها. سألتها جيل:

- هل أنت متأكدة من ذلك؟

لورين:

- نعم!

جيل:

- حسنًا، لأن الاجتماع...

لورين:

- أنا آسفة حقًا...

جيل:

- حسنًا، لكنها لم تكن المرة الأولى التي تعتذرين فيها عن حضور الاجتماع، ولا المرة الثانية حتى!

لورين:

- لن يحدث هذا مجددًا.

جيل:

- هل أنت متأكدة يا لورين؟ لأن...

لورين:

- نعم، متأكدة، ستنحسن الأمور.

ظنت جيل أن الأمور يجب أن تتحسن، فقد كانت لورين على قائمة الموظفين الذين خُصِمَت منهم عدة استقطاعات. لقد كانت الأعلى في الحقيقة، حتى اقترحت أليس دمج بعض الوظائف بدوام جزئيًا لتحقيق بعض التوفير، كما اشتبهت جيل في أن أليس قد غطت لورين مرتين على الأقل في الشهور السابقة، وبأعجوبة تجنبت ارتكاب بعض الأخطاء، لكن إن كانت جيل قد علمت بوجود حالتين، فمن المؤكد أنه كان هناك أكثر من ذلك. علمت أنهما كانتا متأخرتين كثيرًا عن أول الصف، وما كان يعنيه ذلك بالنسبة إلى لورين

هو سؤالٌ آخر. في الأمام، كانتا بوسعهما أن ترياَ أليس، تسير على الطريق القاتمة، ففكرت جيل في شيءٍ ما، وقالت:

- لقد أديتِ عملاً رائعاً أمس بشأن إشعال النار. لقد رأيتكِ تشعلينها!
لورين:

- شكراً، لقد تعلمت ذلك في المدرسة.

- لقد علموكِ ذلك أيضاً.

- كنت أتطلع لذلك. لقد كان ذلك في مدرسة إنديفور للفتيات، لقد كانت منحة مقدّمة من المدرسة في معسكر ماكليستر التابع لهم، حيث يقضين وقتاً طويلاً لتعلّم بعض الأشياء هناك. لقد ذهبت أليس هناك أيضاً. (نظرت لورين إلى جيل، وقالت) من المحتم أنكِ ذهبت إلى مدرسة خاصة، ألم تفعلن مثل هذه الأشياء؟

جيل:

- لقد تعلمت في سويسرا.

لورين:

- أوه! أعتقد أنهم لا يفعلون ذلك هناك.

نظرت جيل بطرف عيناها، وهي تبتسم:

- والحمد لله، أنا لست متأكدة من أنني يمكنني أن أتكيف على مثل هذه الأشياء!

ابتسمت لورين هي الأخرى، ولكن جيل شعرت بسؤال مُلِح في عيناها. إذا كانت جيل غير مرتاحة، فلماذا وافقت على ذلك كله؟ لقد نسيت جيل عدد المرات التي سُئِلت فيها هذا السؤال في الثلاثين سنة الأخيرة، لكن الإجابة كانت واحدة على الدوام. إن شركة بيلي تينانتس شركة عائلية، وعلى جيل بيلي أن تفعل الأفضل للشركة. قالت لورين:

- على أيِّ حال، هذا ما كنت أودُّ الحديث بشأنه، وأنا مدركةٌ أن الأمور لم تُكُن في أفضل أحوالها في العمل في الفترة الأخيرة.

رأت جيل أن أليس وبري توقفتا في الأمام، فقد تفرّعت الطريق؛ جهةً لليسار، وأخرى تتفرع إلى طريق صغيرة إلى اليمين، فأخرجت بري الخريطة، وجلست على جذع شجرة تتفحصها، ودققت النظر فيها، فوقفت

أليس، ووضعت يدها على خاصرتها تراقبها، ثم نظرت إليهما، وهما تقتربان، فاتسعت عيناها الزرقاوان، ومالت برأسها، وتساءلت جيل فجأةً إن كانت قد سمعت أيّ شيء من المحادثة التي جرت بينها وبين لورين، لكنها قالت لنفسها: «لا»، فمن المؤكد أنهما كانتا بعيدتين تمامًا عنهما. خفضت لورين صوتها، وقالت:

- وأنا ممتنة للوظيفة وللفرص التي منحتها لي، ولصبرك أيضًا، وأريد أن تعرفي أنني سأصلح كل الأخطاء.

أومأت جيل، ونظرت إليها، فيما كانت أليس تراقبهما.

- أعرف أنك ستفعلين.

الفصل الثامن

عندما استيقظ فولك، كان الجو خارج غرفته أكثر ظلمة مما يظن. سمع قرععة الأوراق، فنظر إلى الأسفل. كانت خرائط والده لا تزال مفرودة على صدره، ففرك عينيه، وسمع طرق المطر، وهو يضرب النافذة، واستغرق الأمر منه لحظة قبل أن يدرك أن الطرق يأتي من الباب. قالت كارمن، وهو يفتح باب الغرفة:

- لقد أخذت الوقت الكافي.

واجتاحته هبة رياح قوية الغرفة معها. قال فولك:

- عذراً، لقد غفوت.

نظر فولك حول الغرفة، فلم يجد أيّ مقاعد، فرتّب السرير، وقال لها:
- تفضلي.

أخلت كارمن مكاناً لها بين الخرائط وقالت:

- شكراً، ما كل هذه الخرائط؟

- لا شيء، إنها تخص والدي.

التقطت كارمن خريطة ضاحية جيرانج الملقاة على السرير من فوق
كومة الورق وقالت له:

- هذه الخريطة بها عديد من العلامات!

- نعم، كلها كذلك، يمكنك القول إن تلك كانت هوايته.

قالت كارمن، وهي تتفحص العلامات على الخريطة:

- لا أعتقد أن علامة «إكس» الكبيرة هنا تعني أن أليس في هذه المنطقة،
أليس كذلك؟ دائماً ما كانت جدتي تفعل المثل في كتب الوصفات؛ إذ
كانت تكتب الملاحظات الصغيرة والتصحيحات، ما زلت أمتلك كل

هذه الكتب، وكانت دائماً على حق. إن وضع نصف ملعقة شاي من العصير الممزوج بقشر الليمون يمكن أن ينتج عنه أطيب كعكة يمكن أن تتذوقها في حياتك.

وضعت الخريطة التي كانت تحملها، والتقطت أخرى. سألته:

- هل زرتما هذه الأماكن معاً؟

هز فوك رأسه، وقال:

- لا.

- ماذا، ولا أياً منها؟

كدّس فوك الخرائط فوق بعضها ببطء.

- لم نكن على وفاق دائم.

وشعر بجفاف حلقه، وهو يبتلع ريقه.

- لمَ لا؟

- إنها قصة طويلة.

- وهل هناك نسخة قصيرة منها؟

نظر فوك إلى الخرائط، وقال:

- حينما كنت في السادسة عشرة من عمري، باع أبي مزرعتنا، وانتقل بنا

إلى ملبورن، ولم أكن أريده أن يفعل ذلك، لكننا كنا نواجه الكثير من

المشكلات في مسقط رأسنا، إذ كانت الأمور هناك تزداد سوءاً بشكل

سريع، وأعتقد أن أبي فعل ذلك لصالحنا. لا أعرف، أعتقد أنه شعر أنه

يجب عليه أن يبعدني عن مسقط رأسي.

بكونه بالغاً، وبعد عدة سنوات زودته بخبرة اتضح الرؤية، عرف فوك أن

جزءاً من كيانه بدأ يدرك ما فعله أبوه. في ذلك الوقت، شعر ببساطة بالضياع.

لقد بدا له أنه من الخطأ الهرب بعيداً إلى المدينة، ورائحة الخوف والشك

يملآن أنفه.

- كان من المفترض أن تكون هذه بداية جديدة، لكننا لم نفلح في أن

تكون كذلك، لقد فشل أبي في ذلك، ولم يكن الأمر أفضل حالاً.

فتوقف أبوه عن المحاولة، ولم يخوضا مناقشة تخص ذلك الأمر بعد ذلك؛ لا المناقشة التي تخص حياتهما السابقة، ولا حياتهما الجديدة، إلا أن تلك الكلمات الصامته كانت تقف حائلًا بينهما كالحجاب، وكان يبدو كما لو أن طبقة تُضاف إلى ذلك الحجاب كل عام، فصار كثيفًا في النهاية، لدرجة أن فولك لم يستطع أن يرى الرجل على الجهة الأخرى. تنهَّد وقال:

- على أيِّ حال، اعتاد أبي في كل عطلة نهاية أسبوع أن يحزم حقيبته، ويذهب إلى مكانٍ ما في رحلة، باستخدام خرائطه.

- ولم يُغِرْكَ أن تذهب معه قط؟

- لا، لا أعلم، لقد اعتاد أن يدعوني في البداية، لكنني كنت في السادسة عشرة أو السابعة عشرة من عمري في تلك الفترة، وغاضبًا.

ابتسمت كارمن:

- أليس جميع المراهقين كذلك؟!

- أعتقد هذا!!

ورغم ذلك، لم يكن الأمر طوال الوقت هكذا؛ إذ بوسع فولك أن يتذكر الفترة التي كان يتبع فيها والده كظله. خارج بيتهما الريفِّي، وحينما لم يكن رأسه يطال خط السياج في مزرعتهما، كان فولك يطارده والده طوال الوقت بخطوات ثابتة. وفي الظهيرة، حيث كانت الشمس تجعل ظلّهما أطول، وتُضفي على شعرهما الأشقر لونًا أكثر لمعانًا، فيبدو أبيض تقريبًا. ولقد استطاع فولك أن يتذكر أنه كان يُمنِّي نفسه أن يكون مثل والده. هذا أمرٌ أدركه بجلاء بصيرته بعد ذلك، إذ إن قدوته كان كتمثالٍ عالٍ للغاية. قالت كارمن شيئًا...

- معذرةً...!

- كنت أسأل عن دور أمك في كل ذلك؟

- لا شيء، لقد ماتت حينما كنت صغيرًا.

في الواقع ماتت أمه عندما كانت تلده، لكن فولك كان يتجنب ذكر هذا كلما أمكنه ذلك؛ إذ بدا أن ذكر هذا الحادث يجعل الناس غير مرتاحين، وكأنه يحفز بعض النساء عادةً على أن ينظرن إليه نظرةً مريبةً، وكأنهن يقلن: «وهل كانت ولادتك تستحق موتها؟!»، ولذلك، تجنَّب أن يسأل نفسه هذا السؤال، لكنه في بعض الأحيان كان يضبط نفسه يتساءل عن آخر أفكار أمه، وكان يأمل

أنها لم تكن أفكارًا مليئةً بالندم. أضاف، وهو يضع آخر خريبتين على كومة الخرائط، ويضعها جانبًا:

- على أيِّ حال، هكذا انتهى بي المطاف.

وقد اكتفى فولك بتلك الحكاية، وتولَّت كارمن الدفَّة. هدرت الرياح في الخارج، فنظرا إلى بعضهما بعضًا، فيما كانت النافذة تهتز. قالت كارمن:

- إذن، لا أخبار عن أليس؟

- ليس بعد.

- ماذا سنفعل إذن؟ هناك أيُّ فائدة من مكوثنا هنا غدًا؟

زفر فولك، وعاد برأسه إلى مسند السرير:

- لا أعلم!

أوكلَ البحث إلى مفتشين محترفين، وحتى إذا عُثِرَ عليها في الساعة القادمة، ففي أيِّ حالة ستكون فيها، سواء كانت بخير وسليمة، أو متضررة من الطقس، أو مصابةً بنزيف الدم؛ كان فولك ليدرك أنه يجب عليهما أن يجدا وسيلة أخرى للحصول على العقود التي يريدانها، لأن أليس راسل لن تعود إلى العمل فورًا. هذا إذا عادت من الأساس. قال:

- لم يكن دانيال بيلى يعرفنا، وإذا كان يعرفنا، فقد أدى عملاً رائعًا في إخفاء ذلك.

- أنا أتفق.

- هذا هو تقريبًا ما جعلني أشعر أن لا علاقة له بالأمر، بخلاف أنه...

ثم نظر إلى هاتفه، صامتًا، على ملاءة السرير. أومأت كارمن:

- أعرف.

التسجيل؛ «... يؤذيها...». فرك فولك عينيه، وقال:

- أنسيتِ ما قلناه الآن! لماذا تحاول أليس الاتصال بي، وهي في العراق؟

- لا أعلم، يبدو أنها حاولت الاتصال بالنجدة، لكنها لم تتمكن من ذلك.

(فكرت كارمن للحظة) لكن بصراحة، لن تكون أنت الشخص الذي

سألجأ إليه إذا علقْتُ في العراق!

- شكرًا، حتى مع امتلاكك لكل هذه الخرائط!

- حتى لو... لكن أنت تعرف ما أقصده. يجب أن يكون هذا الاتصال له علاقة بنا، أو بك. ما أفكر فيه الآن فقط هي أنها كانت تنوي التراجع. أكان يبدو عليها التوتر في المرة الأخيرة التي تحدثتما فيها؟
قال فولك:

- الأسبوع الماضي، كنتِ معنا.

- حسنًا، ولم يكن هناك تواصل منذ ذلك الحين؟

لقد كان هناك اجتماع غير مهم، استمر لخمس دقائق في موقف سيارات سوبر ماركت كبير. عندما قالوا لها: «نحن في حاجة إلى العقود؛ تلك العقود التي تخص ليو بيلى. أرجوك اجعليهم في أولوياتك». كانت هذه الكلمات تبدو كطلب، لكن النغمة التي صدرت بها بدت وكأنها أمر، لكن أليس أكدت أنها تبذل قصارى جهدها. قال فولك:

- هل ضغطنا عليها كثيرًا، ما جعلها بطريقة ما تقع في زلة من زلات اللسان؟

- لم نضغط عليها بشكل أكثر من المعتاد!

لم يكن فولك يشعر أن ما تقوله كارمن هو الحقيقة، فقد كانا يشعران بالضغط عليهما من رؤسائهما، فمررًا هذا الضغط بدورهما لأليس. دائرة لعينة، وهي نموذج العمل الأكثر تقليدية في الحياة، وهو ما كان فولك على يقين من أن ذلك النموذج مألوف بالنسبة إلى أليس. «أحضرت لنا العقود التي تخص ليو بيلى». ولقد كان هذا الإلحاح يُمرّر من فولك وكارمن إلى أليس راسل. لم يكن فولك وكارمن يهتمان لهذا الأمر، لكن السرية التي صاحبت نغمات صوتيهما هي ما جعلت الطلب يبدو أمرًا. «أحضري لنا العقود التي تخص ليو بيلى». ربما تكون أليس راسل قد اختفت، لكن الضغوط التي تُمارس عليهما لم تختفِ.. «أحضرا لنا العقود التي تخص ليو بيلى». كان هذا الطلب هو الأولوية مرة أخرى، ينظر فولك إلى هاتفه. «... يؤذيها...». قالت كارمن:

- إذا وقعت في زلة من زلات اللسان سيلاحظ أحدهم ذلك، وسيسبب لها المشكلات، لكن ما رأيك في التحدث إلى مساعدة أليس؟ بريانا ماكينزي. إذا كانت هناك مشكلة مع المدير، فعادةً ستكون المساعدة هي أول من يعرف ذلك.

- نعم، أعتقد أن السؤال الآن هو ما إذا كانت ستتعاون معنا أم لا.
- وظن فولك أن هذا سيتوقف على مدى ما كان يصيب مساعدة أليس من الدائرة اللعينة. عركت كارمن عينيها، وفركت وجهها بيديها، وقالت:
- حسنًا، من الأفضل أن يعرف الديوان بذلك. ألم تحدثهم اليوم؟
- لم أحدثهم منذ الليلة الماضية.
- لقد حدثهم فولك بعدما تحدّث مع الرقيب كينج للمرة الأولى؛ إذ وقعت أخبار اختفاء أليس راسل عليهم كالصاعقة.
- أتريدني أن أحدثهم؟
- ابتسم فولك:
- لا بأس، سأفعل أنا هذه المرة.
- زفرت كارمن، وعدلت جلستها، وقالت:
- شكرًا، إذا كانت أليس تمر بمشكلة قبل أن تتراجع، فكانت ستتصل بنا قبل الانطلاق في الرحلة. لذا، أيًا كان ما حدث، فقد حدث في الرحلة.
- يبدو ذلك، وهذا ما أكدّه إيان تشيس عندما قال إنها بدت على خير حال، عندما انطلقوا في رحلتهم. وليس بالضرورة أن يكون هناك شيء لا يود إخبارنا به.
- لو كان هناك أمر واحد يعرفانه عن أليس، فهو أنها امرأة صالحة للمواجهة، أو على الأقل هذا ما أمل فيه فولك. قالت كارمن:
- أين تسجيل أنظمة المراقبة الذي أخذناه من مكتب الاستقبال؟ يصوّر هذا التسجيل القصير المجموعة، وهي في طريقها إلى هنا.
- أخرج فولك اللابتوب من حقيبته، ووجد ذاكرة التخزين الذي منحها له موظف الاستقبال في بداية هذا اليوم، وفتح شاشة اللابتوب حتى يكون بوسع كارمن أن ترى، فاقتربت منه قليلاً. كان التسجيل ملونًا، إلا أن الشاشة يغلب عليها اللون الرماديّ نظرًا لأن الكاميرا كانت موجّهة نحو الباحة الأمامية المرصوفة حول مضخات الوقود. لم يكُن التسجيل مزوّدًا بالصوت، لكن جودة الصورة كانت لائقة. أما عن التسجيل، فقد كان يغطي الأيام السبعة الماضية بالسيارات التي كانت تدخل وتخرج حتى تخطى فولك تلك الأحداث حتى يوم الثلاثاء، وعندما وصل التسجيل حتى ظهيرة هذا اليوم، ضغط على زر

التشغيل، ثم شاهدا بعض الدقائق. أشارت كارمن للحافلة الصغيرة، وهي تدخل موقف السيارات، وقالت:

- هذه هي، أليس كذلك؟

حينما انفتح باب الحافلة كان التسجيل مصورًا من نقطة علوية ممتازة. قفز تشيس، الذي كانت هيئته النحيلة، وسُترته الحمراء معروفة لهما، وسار حتى مضخات الوقود. انفتح الباب الرئيسي للحافلة دون أن يُصدر صوتًا، وخرج منه شاب آسيوي، وتبعه رفيقان، لهما شعر حالك السواد، وثالث أصلع. اتجه الثالث إلى المتجر فيما بقي الثلاثة الآخرون فاترين في مجموعة؛ يتمطون ويتجاذبون أطراف الحديث. ومن خلفهم، خرجت امرأة ضخمة. قالت كارمن: - إنها جيل.

وشاهدها، وهي تُخرج هاتفها، وتنقر عليه، وتضعه على أذنها، ثم تبعده مرة أخرى، وتتنظر إلى الشاشة، ولم يكن فولك في حاجة إلى رؤية وجهها ليدرك خيبة الأمل التي انتابتها. وقال:

- بمن تحاول أن تتصل؟ ربما دانيال؟

- ربما...

في تلك اللحظة نزلت سيدة من الحافلة، وشعرها الذي عقدته على شكل ذيل حصان يتمايل خلف كتفيها. قالت كارمن:

- أهي بريانا؟ إنها تُشبه صورتها.

نظرت السيدة ذات الشعر الأسود الفاحم حولها، ثم استدارت إلى السيدة الثالثة التي خرجت من الحافلة. زفرت كارمن:

- ها هي ذي.

كانت السيدة هي أليس، شقراء ونحيلة، وهي تتمطى كالقطة. قالت شيئًا ما للسيدة ذات الشعر الأسود، فيما كانت الأخرى تحاول أن تقول لها شيئًا، فأخرجت الاثنتان هاتفيهما، إلا أن لغة جسديهما جسدت ما جسده جيل قبل دقيقة واحدة. يتفقدن الهاتف، ينقرنه، يتفقدنه مرة أخرى، لا إشارة.. لا شيء غير إيماءة الكتف التي تدل على خيبة الأمل.

وضعت السيدة ذات الشعر الأسود هاتفها بعيدًا، وواصلت أليس إمساكه بيدها. نظرت عبر إحدى نوافذ الحافلة الصغيرة، حيث رأت جسمًا ضخماً

ومظلمًا في الزجاج. لم يكن التسجيل واضحًا بما يكفي لتحديد التفاصيل، لكن بالنسبة إلى فولك، كان كل ما يدور في التسجيل ينمُّ على هشاشة الاسترخاء لحاجتهم للنوم.

رأيًاها، وهي تُوجِّه هاتفها صوب النافذة. ثم أُطلق فلاش الكاميرا، وعندما تَفَقَّدت الشاشة، عرضت الصورة على الرجال الثلاثة الواقفين بجانبها، فضحكوا دون صوت. ثم عرضت أليس الصورة على الفتاة ذات الشعر الأسود التي كانت تقف إلى جانبهم، ثم ابتسمت ابتسامة صفراء. تحرك الجسم، وانفتح زجاج النافذة. ثم ظهر وجه خلف الزجاج، كانت الملامح لا تزال مختلفة في التسجيل، إلا أن لغة الجسد واضحة: «ما الذي يحدث؟!»، إلا أن أليس استدارت مبتعدة، وهي تلوِّح بيدها متجاهلةً من يحدُّها: «لا شيء، نحن نمزح فقط!».

ظل الوجه خلف النافذة حتى خرج تشيس من المتجر. كان بصحبة موظف محطة الوقود، وقد عرفه فولك من قبعته. وقف الرجلان يتجاذبان أطراف الحديث، فيما كانت موظفات شركة الرحلات يصعدن إلى الحافلة. كانت أليس راسل آخر من يصعد إلى الحافلة، وباختفاء ملامحها الشفافة أُغلق باب الحافلة وراءها. ربَّت تشيس على ظهر موظف محطة الوقوف، وصعد إلى مقعد السائق. هدر محرك الحافلة عندما شغله تشيس، ودارت العجلة. وقف موظف المحطة يراقب الحافلة، وهي تبتعد، وكان الشخص الوحيد في المكان. قال فولك:

- وظيفة تُشعر المرء بالوحدة.

- نعم.

بعد ثوانٍ، استدار الموظف، وخرج من إطار الكاميرا تاركًا الباحة الأمامية تكتسي باللون الرمادي مرة أخرى. عندما تخطت كارمن وفولك العديد من الدقائق لم يريا أي شيء، لم يكن أي شيء يتحرك على الشاشة. أخيرًا، أسندت كارمن رأسها للخلف:

- إذن، لا مفاجآت في التسجيل، أليس تستثير مشاعر الناس دون أن تقصد ذلك، ونحن نعلم عنها ذلك بالفعل!

قال فولك:

- لقد بدت مرتاحة بما يكفي هنا، أكثر مما تكون كذلك معنا. وظن فولك أن ذلك لم يكن مفاجئًا أيضًا. تتأبَّت كارمن، فوضعت يدها على فمها:

- عذراً، البداية المبكرة لليوم نالت مني.

- أعرف.

خارج النافذة تحوّلت السماء إلى اللون الأزرق الداكن، وكان بوسع فولك أن يرى وجهيهما منعكسين على الزجاج وقال:

- انقضى اليوم.

قالت كارمن، وهي تقف لتغادر الغرفة:

- هل ستهاثف الديوان؟

فأوماً فولك.

- وسنذهب إلى المستشفى غدًا لنرى ماذا بوسع مساعدة أليس أن نخبرنا

به. من يعرف؟ (ثم ابتسمت ابتسامة متجهمة) إن الزجّ باسم صاحب

العمل الذي يوظفني سيكون سبباً كافياً لطردني، لكن لعلها ثرثرة.

دخلت هبةً من نسيم الهواء المنعش حين فتحت كارمن الباب، ثم ذهبت

إلى غرفتها. نظر فولك إلى التليفون الأرضي الموضوع على طاولة جانبية،

التقطه، وطلب رقمًا مألوفًا، ثم جلس على السرير، وهو يستمع للنعمة التي

دقت عبر مئات الكيلومترات غربًا في ملبورن، وجاء الرد سريعًا.

- هل وجدتم المرأة؟

- لا، ليس بعد.

- هل حصلتم على العقود؟

- لا، ليس بعد.

- متى ستعطيك العقود؟

لم يكن فولك يعرف ذلك. صمتٌ على الجانب الآخر من الهاتف. إنهم في

حاجة إلى العقود؛ كانوا يحتاجونها بصورة مُلحة. نعم، يفهم فولك ذلك.

ولقد كان عامل الزمن مهمًا، لأن الرؤساء في انتظار تلك العقود. نعم، يعرف

فولك ذلك، إنه يدركه إدراكًا تامًا. جلس فولك يستمع، تاركًا كل القائمة القدرة

تتكرر على مسامعه، والكلام الدوري الذي يؤكّد أهمية ذلك العمل. كان فولك

يدرك ما يقوله الطرف الآخر تمامًا، لكن على الرغم من أنه سمعه كاملاً، كان

لا بد أن يسمعه كاملاً مرات ومرات.

وقعت عيناه على كومة الخرائط، وبينما هو يستمع إلى الطرف الآخر في الهاتف، فضَّ خريطة ضاحية جيرانج، ورأى العلامات التي وُضعت على الطرق المتعرجة، التي تُفضي إلى طرق أخرى تذهب إلى أماكن أخرى. وسار على الخطوط بإصبعه، وهو يستمع إلى الهاتف. هل كانت أليس هناك الآن؛ تنظر إلى نفس تلك الخطوط بمصباح يدويٍّ أو على ضوء القمر، أو تسمح بعينيها المشاهد الطبيعية على الخريطة في محاولةٍ منها لإيجاد أيِّ تطابقٍ بينها وبين الواقع؟ همس الصوت، أو هل كان الوقت متأخرًا على ذلك؟ فورك يأمل في ألا يكون الأمر كذلك.

نظر إلى النافذة مرة أخرى. كانت الغرفة ساطعة الإضاءة، فلم يستطع رؤية أيِّ شيء غير وجهه منعكسًا على النافذة، حاملاً سماعة الهاتف، فمد ذراعه، وأغلق إضاءة الغرفة، وعمَّ الظلام، وعندما اتضحت له رؤية الخارج، أصبحت التفاصيل واضحة، فاستطاع أن يرى بداية طريق شلالات ميور على مسافة، وبدأت الأشجار على الناحية الأخرى تتنفس، وقلبها ينبض في الهواء الطلق.

على بداية طريق الشلالات ومضت بارقة ضوء، فمال فورك إلى الأمام. «ما كان ذلك؟» وبينما كان يشاهد بتمعن بزغ ظلُّ خارج من صف الأشجار، يتمايل من أثر الجو، يسير بصعوبة بحسب ما تسمح له الرياح. يكاد يركض. وضوءٌ خفيفٌ من أثر ضوء المشاعل يضيء قدمه.

لقد كان الجو مظلمًا وباردًا على شخصٍ يريد الخروج للتمشية، إلا أن فورك وقف ووضع وجهه لصق النافذة، لا يزال الطرف الآخر على الخط. في الظلام، ونظرًا للمسافة البعيدة، لم تكن ملامح الشخص واضحة، لكنه ظن رغم ذلك أنها امرأة؛ شيءٌ ما في طريقة حركتها أكد له ذلك، لكنه لم ير أثرًا لملابس. أيًا من كانت، لم تكن واحدة من فريق المفتشين الرسمي. راحت المكالمة تتباطأ في أذن فورك.

- أحضر العقود.

- نعم.

- أحضرها قريبًا.

- نعم.

- لا تجعلنا نفشل.

- نعم.

نقرة، وانتهت المكالمة الآن. واعتدل فولك في وقفته. في الخارج، كان الشخص يسير بعيدًا عن الطريق المعبّدة، متجنبًا الضوء الصادر من النزل إلى موقف السيارات. هي -أو هو- سارت حول المبنى، اختفت من مجال الرؤية. وضع فولك سماعة الهاتف، ثم نظر إلى هاتفه الذي يقبع بجانب الهاتف الأرضي دون فائدة. «.. يؤذيها...». تردد لثانية، ثم التقط مفاتيحه وانطلق. لعن مكان الغرفة وموقعها في آخر النزل، الذي اضطره إلى أن يسير بطول الممشى، فيما كان الهواء البارد يتسلل إلى رداءه، ويلسع بشرته. تمنى لو أنه أحضر معطفه. دار حول زاوية مبنى النزل، ومسح بعينه موقف السيارات، غير متأكدٍ مما كان يأمل أن يرى. كان المكان خاليًا، فتوقف، وأصغى جيدًا. أيُّ صوتٍ صادرٍ عن خطوات القدم سيتلاشى من أثر الرياح. سار فولك إلى السلم، ودخل النزل، وسمع قرع أدوات المائدة، وصوت حديث خافت يخرج من المطبخ. وموظف استقبال مختلف يجلس وراء المكتب.

- هل جاء أحد إلى هنا؟

- عداك؟

أومأ فولك، فهز الموظف رأسه.

فولك:

- ألم ترَ امرأة في الخارج؟

- لم أرَ أحدًا في الدقائق العشر الأخيرة.

- شكرًا.

ثم اندفع خارجًا مرة أخرى، وكأنه يسقط في حَمَام سباحة، ويفتح ذراعيه عبر صدره. حدّق إلى الأدغال ثم سار على الحصى حتى بداية مسار طريق شلالات ميروور. كل ما كانت تقع عليه عيناه كان مظلمًا، وأضواء النزل خفيفة من ورائه. خلفه، كان بوسعه رؤية ما ظن أنها نافذة غرفته في منتصف المسافة؛ نافذة مربعة بيضاء. وتحت حدائه، كانت الطريق مليئةً بأثار الأقدام. سمع حفيقًا عندما طار خفاش فوق رأسه مشكّلًا أشكالًا متعرجة بمواجهة السماء. عدا ذلك الخفاش، كانت الطريق خالية. استدار فولك في شكلٍ دائريٍّ بطيء، فيما لسعت الرياح بشرته. كان وحيدًا، وأيًا كان من هنا، فقد ذهب.

اليوم الثاني: صيام الجمعة

كانت بري تتعرق، وعلى الرغم من البرد، التصق البلل ببشرتها، وكان بوسعها أن تشم رائحة الكحول الصادرة من مسامها، وهي تسير، فشعرت بالتقزز. كان الصداع يلزمها منذ أن استيقظت في الصباح. وما زاد الطين بِلَّةً أن حزم الأمتعة وتنظيف المخيم قد بدوا كما لو أنهما استغرقا دهرًا. أليس فقط هي من بدا عليها أنها تريد أن تتحرك، وقد رأتها بري، وهي تدفع الخيمة في الحقيبة بعنف لدرجة جعلتها تقلق من أنها يمكن أن تمزقها، لكن بري لم تعرض المساعدة؛ إذ كان لديها ما يكفيها من المشكلات مع خيمتها.

مع غلق سحابة الحقيبة، تراجعت بري لمسافة إلى الخلف، ووقفت خلف شجرة لتتقيأ، وهي محمومة وصامتة. ما مقدار ما تناولته من النبيذ في الليلة الماضية؟ لم يكن بوسعها تذكر أنها قد ملأت كأسها، لكنها لم تتذكر أنها قد فرغت من النبيذ أيضًا. وقد لامت الرجال على ذلك، وشعرت بتصاعد الغضب بداخلها، ولم تضع الكثير من الغضب على الرجال، ولكن على نفسها، لأنها كانت واعية تمامًا بما تفعله.

مسحت بري حبة عرق من أعلى عينها، وهي تحدق إلى أليس من الخلف. قريبًا ستكون أليس في تمام العافية بعدما ينطلقن في رحلتهم، بينما ستجاهد هي لتجاريها. هل رأتها أليس، وهي تشرب الكثير في الليلة الماضية؟ أمّلت بري ألا تكون قد رأتها، فقد كانت أليس بعيدة عن الجمع؛ تتحدث مع دانيال معظم الوقت. عندما رأتها بري بعد ذلك، كان رأسها قد بدأ يخف قليلًا، وكانت أليس تسير تجاه الخيام. ربما تكون بري قد شربت كثيرًا في الليلة الماضية، لكنها عرفت أنها تدفع ثمن ذلك الآن.

قابلا تفرّعين على الطريق هذا الصباح، وفي المرتين وقفت أليس، ونظرت إليها. وفي كل مرة كانت بري تتفقد الخريطة، متجاهلة الصداع الذي يضرب رأسها، وتشير إلى الاتجاه الصحيح بإيماءة من يدها، فتسير أليس من دون كلمة. سمعت بري تنهيدة خفيفة تصدر من الخلف، فظننت أنها يمكن أن

تكون صادرة عن أيّ شخص من الآخرين. اعتقدت بري أن الأكتاف، والركبات وأعصاب السيدات بدأت في الاضطراب. الطريق تزداد ضآلة، وآخر استراحة استرَحَ فيها كانت على بُعد كيلومترات، فكان الانحدار الشاق كافيًا ليمنع تجاذب أطراف الحديث. توقفت أليس في المقدمة مرة أخرى حين أخذت الطريق منحنيًا خفيًا، وتفرقت إلى اثنتين. سمعت بري تنهيدة أخرى من الخلف، ولم تشك في أنها صادرة من جيل. صاحت جيل:

- انتظرن هنا، دعونا نسترح هنا، وبتناول غداءنا.

تنفست بري بارتياح، لكن أليس نظرت إلى ساعتها، فصاحت إلى جيل مرة أخرى:

- لا يزال الوقت مبكرًا!

- ليس مبكرًا إلى حد كبير، هذا مكان يمكن أن نرتاح فيه قليلًا.

فكرت بري، وهي تنزل حقيبتها إلى الأسفل أنه لم يكن مكانًا مناسبًا للراحة، إذ كانت الأرض موحلة، ولم يكن هناك مشهد غير الأشجار التي تلتفهن من كل ناحية، فارتجفت وجلست على حقيبتها، قدماها متأرجحتان، ويتسلل إليهما البرد، لدرجة أنها توقفت عن تحريكهما، ولم يكن يصدر عنهما أيّ صوت من آثار الأقدام. كان بوسعها أن تميز أصوات الزقزقة، والصرير الصادرة عن الطيور غير المرئية. سمعت بري حفيف الأشجار خلفها، فتلفتت بسرعة حولها، وسقطت أفكارها في حفرة سوداء، وارتطمت بحقيقة شبح مارتن كوفاك.

لم يكن هناك إلا وساوسها بالطبع، فاستدارت بري، وهي تشعر بالسذاجة. لقد كان هذا سخيًا؛ إذ كانت صغيرة للغاية على أن تتذكر حكايات تلك الأيام، لكنها ارتكبت خطأ البحث عنها في الإنترنت، حينما كانت تبحث عن أيّ معلومات تخص جيرالانج، فقد كانت في مكتبها منشغلة بمصير الضحية الأخيرة (سارة سوندنبيرج، في الثامنة عشر من عمرها، ولم يُعثر عليها)، حينما تسلل مدير الحسابات من خلفها، وأفزعها. قال بابتسامة صغيرة، وإشارة إلى الشاشة:

- عليك أن تحذري حين تذهبين إلى جيرالانج، هذه الفتاة تشبهك كثيرًا.

- عليك أن تحذري من أنني لن أشكوك لمثل هذه التعليقات!

كانت المغازلة المتبادلة بينهما قد امتدت طوال الشهر الماضي، فاعتقدت بري أنها ستوافق على الأرجح حين يدعوها لاحتساء مشروب. بمجرد أن غادر المكان، أعادت النظر مرة أخرى إلى شاشة الحاسوب. هل كانت سارة سوندنبيرج تشبهها حقًا؟ ربما كان الأنف والشم يتشابهان. الفتاة كانت جميلة للغاية، لم يكن هناك شك حول ذلك، لكنها جميلة بطريقتها الخاصة. إلى جانب أن سارة سوندنبيرج كانت شقراء، وذات عينين زرقاوين. أغلقت بري الموقع، ولم تفكر في ذلك كثيرًا، حتى هذا الوقت.

نظرت بري مرة أخرى خلفها. لم يكن هناك أي شيء، فظننت أنه ربما يكون من الأفضل لها أن تحظى براحة قصيرة. تناولت جرعة من الماء في محاولةٍ منها لتهدئة الصداع الذي أصاب رأسها، وأغلقت عينيها.

- أيمكنك أن تقفي بعيدًا إذا كان لا بد أن تفعلني هذا؟

امتعضت بري من صوت أليس، وفتحت عينيها مرة أخرى. لم تكن أليس تتحدث إليها، هي لا تتحدث إليها بهذه الطريقة بالطبع، لكنها كانت تنظر إلى بيت، التي كانت تتكئ على شجرة، ممسكةً في يدها بسيجارة. يا إلهي! لم يكن باستطاعة أختها أن تنتظر قليلاً حتى تلوث هذا الهواء النقي! على الفور، سمعت بري صوت أمها في أذنها: «اتركيها وشأنها، أن تشعل سيجارة أفضل من أن...»، وكانت أمها تصمت عند هذه الكلمة، إذ لم يطاوعها قلبها مرة على إكمالها. هزت بيت كتفيها، ورأتها أختها، وهي تهزول بعيدًا، واختلط دخان السجائر مع رائحة الكافور. ثم نفضت أليس يديها. نادى صوت:

- الغداء.

نظرت بري لتجد لورين تقف بجوارها، وهي تمسك شطيرة جبن ملفوفة في ورقة سلوفان، وثمره تفاح.

- أوه! شكرًا..

إلا أن معدتها ألمتها من الفكرة. قالت لورين بينما كانت لا تزال تقف إلى جوارها:

- يجب أن تأكلي، سيفيدك هذا.

لم تتحرك لورين إلا بعدما رأت رفيقتها فتحت الورقة، وقضمت قضمة صغيرة، ورأتها وهي تبتلعها قبل أن تواصل توزيع الغداء. نظرت أليس إلى بري، كما لو أنها تنظر إليها بشكل لائق لأول مرة:
- أشربت الكثير من النبيذ في الليلة السابقة؟

قالت بري:

- أنا متعبة فقط، لم أُنم جيدًا.

- كلنا كذلك!

لاحظت بري أن أليس شاحبة، وتفاجأت أنها لم تلاحظ ذلك من قبل. قالت أليس:

- هل أنتِ على استعداد لتقودينا على الطريق؟

- نعم، بالتأكيد.

- أمتأكدة من ذلك؟ سنستهلك الكثير من الوقت إذا ضللنا الطريق.

- أعرف ذلك، لن نضل الطريق.

خرجت الكلمات من بري أعلى مما كانت تقصد، وهو ما جعل جيل تنظر إلى مصدر الصوت؛ إذ كانت تجلس في مقدمة الطريق خالعة حذاءها، وتعبث بجواربها.

- أكل شيء على ما يرام؟

قالت بري وأليس في نفس واحد:

- نعم، شكرًا لك، بري تعاني من آثار الليلة السابقة فقط.

قلّبت جيل نظرها بينهما:

- حسنًا.

- أنا لستُ... أنا بخير حال.

لم تنطق جيل بحرفٍ للحظة، لكن ما اعترى وجهها جعل بري تعتقد أنها ربما رأت أكثر مما رآته أليس في الليلة السابقة، فاحمرّت وجنتاها على الفور. صدح صوت جيل:

- أتريدين أن تتولّى واحدةً منا مهمة قيادة الطريق لفترة قليلة؟

- لا، على الإطلاق، شكرًا، بوسعي أن أفعل هذا.

مكتبة
t.me/soramnqraa

استدارت جيل لجواربها مرة أخرى:

- حسنًا، لكن أرجوك أخبريني إن كنت في حاجة إلى ذلك.

- لست بحاجة إلى ذلك، شكرًا لك.

عضت بري طرف لسانها من الغيظ؛ تشعر أن أليس لا تزال تراقبها، فحاولت التركيز على الشطيرة التي وضعتها على فخذها، وقضمت قضمة كبيرة من الشطيرة علها تمنعها من الكلام، لكنها وجدت صعوبة في بلعها. بعد لحظة، أعادت لف الشطيرة، ووضعتها في الحقيبة مرة أخرى. قالت أليس:

- لم أكن أحاول إحراجك، لكن علينا أن نعود مرة أخرى يوم الأحد.

شيء ما في صوتها جعل بري تنظر إلى الأعلى، وقلبت جدول المواعيد في رأسها. ما الذي كانت أليس بصدده يوم الأحد؟ إنها ليلة الجائزة التي حصلت عليها ابنتها مارجوت راسل في المدرسة، فأغمضت بري عينيها بدلاً من أن تشيح عنها. لقد التقت بمارجوت مرة واحدة منذ شهرين. عندما طلبت منها أليس أن توصل فستان ابنتها الرسمي من مغسلة التنظيف إلى بيتها. كان من الواضح أن ذلك الطلب أمرٌ خارج إطار العمل الرسمي، بل لعله خدمة شخصية؟! ولم يكن هناك مشكلة بالنسبة إلى بري بالطبع. الفستان كان جميلًا، وقد ارتدت بري فستانًا شبيهًا من قبل، إلا أنه كان أقل بهرجة حتى يكون ملائمًا لها، وحتى دون رؤية الصورة التي كانت على مكتب أليس، كانت بري ستعرفها على الفور حين تفتح الباب، إذ كانت نسخة مصغرة من أمها. كانت مع صديقة، تشربان عصير الفواكه من واحد من متاجر بري المفضلة. قالت بري: «مرحبًا، هذا العصير رائع، أليس كذلك؟». كانت بري تعرف ذلك النوع من المشروبات، وذلك النوع من الفتيات، بشعرهن اللامع، وبشترتهن الناعمة، ومظهرهن الجذاب. كان هذا نوع فتيات الجامعات، ولا تزال هي في هذه المرحلة. ارتبكت مارجوت للحظة، ولم تقل شيئًا، ثم أشارت إلى حقيبة مغسلة التنظيف التي كانت تحملها بري.

- أهذا فستاني؟

- أوه! نعم، هنا، وأنا بري بالمناسبة.

- أعرف ذلك، شكرًا.

ثم تناولت مارجوت الفستان منها، وأغلقت الباب. باتت بري تقف وحدها الآن على الدرج تحدّق إلى الطلاء اللامع. سُمع صوت خفيض عبر نافذة مفتوحة:

- من كانت هذه الفتاة؟
 - واحدة من مساعدات أُمي.
 - إنها بائسة قليلاً.
 - هذا ما تقوله أُمي.
- تراجعت بري، والآن تنظر إلى اليس. تكبّر ابنتها بنحو ثلاثين عامًا، لكن لهما نفس تعبيرات الأعين. أجبرت بري نفسها على الابتسام:
- لا تقلقي، لن نتأخر في العودة.
 - جيد.

وقفت بري، وتحت حُجّة أداء بعض تمارين التمطّي، سارت عبر الطريق حتى وصلت إلى جذع شجرة، فكان بوسعها أن ترى أختها من مسافة، وهي لا تزال تدخن سيجارتها، وتتطلع إلى الأدغال. رفعت بري قدمها على جذع الشجرة، وانحنت عليها، وشعرت أن عضلات فخذيها مشدودة، ومعدتها ثقيلة، وابتلعت الإحساس الغامر الذي يندفع في حلّقها. فضّت بري الخريطة، ورفعتها للأعلى حتى تستطيع رؤية ملامحها، وهي تفردّها، فبدت الطرق ملتوية قليلاً على الخريطة.

- هل أنتِ بخير؟
- رفعت بري رأسها لتنظر؛ كانت أختها تقف على تبة، وهي تحمل في يدها زجاجة مياه:

- أنا بخير..
- لم تكُن في حاجة إلى شرب الماء.
- أتعرفين إلى أين نتّجه؟
- نعم، يا إلهي! لماذا يواصل الجميع توجيه هذا السؤال لي؟
- ربما لأنك تبدين وكأنك لا تعرفين إلى أين نتّجه!
- اخرسي يا بيت!

هزت أختها كتفيها، وجلست على جذع الشجرة، إلا أن الجذع أن تحت ثقلها. تساءلت بري كم بلغ وزن أختها الآن؟ فلقد كان يمكنهما تبادل الملابس خلال سنوات مراهقتهما، إلا أن ذلك لم يعد يحدث بعد الآن، هذا أمرٌ لا شك فيه!

عندما هاتفتها بيث منذ ستة أشهر، لم تُجب بري، وأرسلت لها عبر البريد الصوتي كالعادة. عندما طلبت منها في إحدى الرسائل أن تكون بري مرجعاً لها في طلب الوظيفة، لم تفعل بري أي شيء. بعد أسبوع، أرسلت عبر البريد الصوتي مرة أخرى، تنقل لها الأخبار بأن بيث قد وُظِّفت في منصبٍ متدنٍ في عمل معالجة البيانات في شركة بيلي تينانتس. اعتقدت بري أن الرسالة مجرد مزحة. يجب أن تكون كذلك، لأنها مرت بالعديد من الخطوات من أجل أن تحصل على وظيفتها، وهي لا تعني الدرجة الجامعية في إدارة الأعمال فقط بل زمالتين غير مدفوعتين للتدريب. والآن بات عليها أن تعمل في المكان نفسه مع أختها، بتسريحات شعرها الرخيصة، وملابسها ذات الحجم الكبير، وعيوبها التي يجب أن تكون قد أعلنت عنها في طلب التقديم على الوظيفة. وقد أكدت أهمها لها أكثر من مرة أن هذا هو الوضع: «إنها تستمد إلهامها منك. لقد قلت لك ذلك».

كانت بري تظن أنها على الأغلب تستمد إلهامها من خوفها من انقطاع مزاياها. لقد أجرت بحثاً دقيقاً في قسم الموارد البشرية. ومن الواضح أن جيل بيلي وافقت بنفسها على الموعد غير الاعتيادي، ولقد قيل لبري بشكل غير رسمي إن خدمتها الممتازة للشركة هي ما حسمت المعركة لصالح أختها. أغلقت بري باب الحمام على نفسها لعشر دقائق؛ تحاول منع نفسها من البكاء عندما عرفت هذه المعلومات.

في ذلك الوقت، كانت قد رأت أختها مرة واحدة في الثمانية عشر شهراً السابقة. كان عيد الميلاد يقترب عندما هاتفتها أمها، وطلبت منها، وتوسلت إليها أن تسامح. كانت بري تسمع أمها بوجه متجمد، وهي تبكي لخمس عشرة دقيقة قبل أن ترضخ لطلبها، فبعد كل شيء كانت تدعوها لزيارتها في مناسبة مهمة، مثل عيد الميلاد، لذا، عادت مرة أخرى إلى بيت طفولتها، وهي تحمل الهدايا لكل أعضاء العائلة، عدا واحدة فقط.

للمفاجأة، كانت بيت العاطلة والمفلسة تبدو يقظة بعد ترك عملها، كما أنها أعطت بري صورة لهما، وهما صغيرتان، مطبوعة وموضوعة في إطار رخيص سيبدو مريعاً في شقة بري. تصحب هذا الإطار بطاقة عيد الميلاد التي كُتِبَ عليها ببساطة: «أنا آسفة»، ولأن أمهما كانت تراقبهما، لم تبتعد بري حينما اقتربت منها توءمها وعانقتها.

عندما عادت إلى بيتها، وانتهت الاحتفالات، أزالَت بري الصورة، وسلَّمت الإطار لمتجرٍ خيريٍّ، لكنها بعد ساعة من تسليمه، عادت مرة أخرى، واشترته، وأعادَت وضع الصورة في الإطار، والمرة الأخيرة التي شوهد فيها الإطار كان محشورًا في مؤخرة خزانة عالية خلف زينة عيد الميلاد.

في اليوم الأول لبيت في الشركة، هاتفت أمها بري، وطلبت منها أن تفعل كل ما من شأنه أن يساعد أختها لتحتفظ بهذه الوظيفة. والآن، وهي تنظر إلى أختها تدخن سيجارتها، وتجلس على جذع الشجرة، تمنَّت بري لو أنها لم تُعد أمها بأيِّ شيء يخص أختها.

- هل أنتما مستعدتان؟

صاح صوتٌ من ورائهما، فالتفتت بري، كانت جيل وأليس ولورين جاهزات وواقفات على أقدامهن، وأعينهن تتوجه بتقاعسٍ إلى حقائبهن. التقتت بري الخريطة، وعادت بخطوات سريعة لدرجة أنها شعرت بالدوار، وقالت:

- نعم، أنا آتية.

- هل سنتجه إلى اليمين أم إلى اليسار؟

حملت جيل حقيبتها على كتفها، وعندما تفرَّعت الطريق، كانت كلتا الطريقين المتفرعتين ضيقتي النطاق، وتزحف على جانبيهما الشجيرات المتضخمة. الأرض جهة اليسار كانت تبدو أكثر اختصارًا، إلا أن بري كانت تعرف أن كل تفرُّع سيقابلنَّه في الجزء الأول من اليوم سيكون عليهن أن يتجهن يمينًا. تفقَّدت الخريطة مجددًا، وهي تشعر بأن أربعة أزواج من الأعين تراقبها. كاد صبرهن ينفد بسبب وزن الحقائب التي يحملنها على أكتافهن. مرَّرت إصبعها على الطريق، ويدها تهتز قليلًا، ومعدتها الفارغة ترتعش. نعم، لقد اتجهن يمينًا مرتين هذا الصباح، وهذه هي المرة الثالثة. حركت أليس قدمها، وقالت:

- إذا أردتِ المساعدة يا بري...
- لا أحتاج مساعدة!
- حسنًا، أيُّ اتجاهٍ سنسلك؟
- سنتجه يمينًا.
- هل أنتِ متأكدة؟ يبدو أنه خشن قليلًا، وغير معبّد!
- حملت بري الحقيبة، ورفعتها. أشارت إلى التفرع.. الخط الأحمر.
- نحن هنا، تشير الخريطة إلى أنه علينا الاتجاه يمينًا.
- بدت أليس متفاجئة:
- أنحن في هذا المكان بالفعل؟ حسنًا، لنبدأ مسيرنا.
- أغلقت بري الخريطة على ثنيتها المعتادة.
- أترين، نحن نُبلي بلاءً حسنًا، ولا يوجد ما نقلق بشأنه، أو نتذمر بشأنه ولو لمرة واحدة!
- أخذت بري نفسًا عميقًا، وأدخلته إلى رثتها، ورسمت على وجهها ابتسامة، وقالت:
- اتبعنني.

الفصل التاسع

بدا الأمر كدخول بيت المرايا السحرية. نظر وجهان -يمثل كل منهما انعكاسًا لتشوّه الآخر- إلى بعضهما في تناغم، حينما طُرق باب غرفة المستشفى. قال فولك:

- بريانا ماكينزي؟

فقدت المرأة التي تجلس على السرير مظهرها الصحي الذي كان يميزها في صورتها مع موظفي الشركة، فقد زينت الدوائر السوداء ما تحت عينيها، وشحبت شفتاها، وتشققتا، وذراعاها اليمنى ملفوفة بالجبس.

- نحن من الشرطة، هل أبلغتك الممرضة أننا انتظرنا رؤيتك؟

- نعم.

كان فولك يتحدث إلى بريانا، إلا أن المرأة الأخرى التي كانت تجلس على مقعد بلاستيكي هي التي ردت:

- لقد قالت إن لديكما بعض الأسئلة بشأن أليس.

- هذا صحيح، إنها بيت، أليس كذلك؟

- نعم، بيت لن تُخرج أسرار التحقيق.

كانت تلك أول مرة يلتقي فيها فولك ببيت وجهًا لوجه، وقد نظر إليها باهتمام. كان التشابه بينهما غريبًا، وبدا كما لو أن ملامح بريانا قد انصهرت في الشمس، وصارت أكثر كسلًا وانتفاخًا. كانت بشرة بيت متوردة؛ تشوبها أوعية دموية متكسرة عند الأنف والفك. أما شعرها، فقد كان يتميز بالاستواء الصارم الناتج عن صبغة رخيصة مصنّعة في البيت، ولم يكن طويلًا أو قصيرًا. وقد بدت أكبر من أختها التي في سن العشرينيات بعشرة أعوام، لكن عندما نظرت إليه، كانت نظرتها حاسمة.

كان ثمة صينية بها بقايا طعام تستقر على طاولة بجانب السرير، تنتظر التنظيف، ولم يكن يبدو على الطعام أنه قد أُكِلَ منه الكثير. لقد وجدا المستشفى خلف مكتب استقبال النزل بشارعين، وبدت كما لو أنها أعلى بدرجة واحدة من عيادة ممارس عام، وقد صُمِّمَت على أن تُلبّي جميع الاحتياجات من أمراض السكان المحليين إلى إصابات السائحين. حينما دخلا، أشارت لهما الممرضة التي تجلس خلف مكتب الاستقبال إشارة حازمة إلى الخلف، وأخبرتهما أن يعودا بعد ساعة ونصف عندما ينتهي مفعول المنوم الذي تجرعه بريانا، فذهبا إلى مركز متاجر المدينة، وتفقداه عدة مرات، ثم جلسا في السيارة لثمان وسبعين ساعة، وعندما عادا إلى المستشفى مرة أخرى، قيل لهما إن الغداء قد قُدِّمَ للمريضة للتو.

- لا زيارات في أثناء تناول الوجبات، وليس هناك استثناءات!

أخيراً، حرَّكت الممرضة إصبعها، واستدعتهما لمكتب الاستقبال، وأخبرتهما الممرضة أنه يمكنهما الآن الدخول. وبريانا ماكينزي كانت تشغل المبيت الليلي المشترك في آخر الردهة، لكنها وحدها، فنحن في موسم الشتاء. وعندما وصلا إلى الغرفة أخيراً، سحبا مقعدين، وجلسا بجوار السرير. كانت بيت تراقب فولك وكارمن من قرب:

- هل وجدتما أليس راسل بعد؟ وهل هذا سبب وجودكما هنا؟

قال فولك:

- ليس بعد، أنا أسف.

- حسناً، ما الذي تريدان أن تسألا بشأنه؟

قالت كارمن:

- في الواقع، أردنا أن نتحدث مع أختك، ويُفضّل أن يكون الحديث على انفراد.

- أعتقد أنه يجب عليّ البقاء!

استدارت بري بمواجهة وسادتها:

- بالله عليك. لا بأس يا بيت. اذهبي، واتركيهما ينتهيان من عملهما. (ثم جفلت) هل يوجد أيُّ مسكّن هنا؟

لم يبدو أن بيت قد نظرت في الساعة، لكنها قالت:

- لم يَجِنِ الوقت بعد!
- اسألِي الممرضة.
- الوقت مبكرٌ للغاية؛ لن يعطوكِ أكثر من ذلك حتى منتصف الليلة.
- يا إلهي! اذهبي للسؤال عن ذلك، من فضلك.
- حملت بيتن نفسها عن المقعد:
- حسنًا.. سأكون في الخلف لأدخن سيجارة. ونعم... (قالت بينما كانت أختها تفتح فمها) سأسأل الممرضة، على الرغم من أنكِ ستتجرعين المسكّن قريبًا جدًّا!
- وراقبوها، وهي تغادر. قالت بري عندما أُغلق باب الغرفة:
- آسفة، إنها مستاءة، لأنهم لا يثقون بها عندما يتعلق الأمر بالدواء في الغرفة.
- قالت كارمن:
- لمَ لا؟
- الأمر ليس مهمًّا بالفعل. لقد كانت لديها سابقة تعاطي مخدرات في الماضي، لكنها بخير حال الآن، وقد مر على الأمر أكثر من عام. أعتقد أن الممرضات شعرن أنه يجب عليهن أن يَكُنَّ أكثر حذرًا. على الأرجح كان الأمر ليصبح أكثر سهولة لو أنها لم تَكُن هنا، لكنها... (ونظرت بري إلى الأسفل) أعتقد أنها أرادت البقاء معي.
- قال فولك:
- هل سيجيء أيُّ شخصٍ آخر ليكون بجانبك؛ صديق، أو أيُّ من والديك؟
- لا.
- بدأت بري تلمس ضمادة الجبس الذي يلفُّ ذراعها، فبدت أظفارها في بعض المواضع مطليةً بلونٍ زهريٍّ داكن، إلا أن الكثير من الأظفار تكسّرت.
- أُمي مصابة بمرض التصلُّب المتعدد.
- آسف لذلك!
- إنها على ما يرام. لا، هي ليست على ما يرام، لكن ما حدث قد حدث. إنها لا تستطيع خوض الرحلة. يجب على أبي أن يبقى معها معظم

الأوقات في الوقت الحالي. وعلى أيِّ حال... (حاولت الابتسام جاهدةً)
إن بيث برفقتي.

ومرت لحظة صمت ثقيلة. قال فولك:

- نود أن نسألك عن أليس راسل إن كنتِ لا تمانعين، ما المدة التي عملتِ فيها معها؟

- ثمانية عشر شهرًا.

- بصفتك مساعدتها؟

- بصفتي منسقة إدارية.

ظن فولك أنه رأى كارمن تقمع ضحكةً توشك أن تندَّ عنها، لكنها تماكنت نفسها سريعًا.

- وما مهمات هذا العمل؟

- في البداية كانت عبارة عن مهمات إدارية في الغالب، لكن بعد ذلك بات هذا الدور يتجه أكثر ناحية التوجيه والإرشاد. كنتُ كظِّل أليس؛ تعلَّمني المهارات التي تساعدني على ترقِّي السلم الوظيفي.

- أكانت مديرة صالحة؟

ودون تفكير:

- نعم، بكل تأكيد.

انتظرًا، لكن بري لم تُضف جديدًا. قال فولك:

- إذن، أنتِ تجدين أنكِ تعرفينها معرفة وثيقة؟

- نعم، أعرفها جيدًا جدًا.

كان هناك نغمة غريبة في صوت بري، وعندما راقبها فولك لم يجد أيَّ علامة على أنها تدرك ذلك. وكما حدث مع دانيال بيلي، إذا علمت بري من هما، فلن تسمح لتلك النغمة أن تظهر. قالت كارمن:

- إذن، كيف كانت أليس تبدو لك في الرحلة؟

أمسكت بري ضمادة الجبس مرة أخرى، إذ كانت الحافات مهترئة بالفعل،

وقالت:

- قبل أن نضل الطريق كانت على طبيعتها. صحيح أنها كانت سريعة الغضب في بعض الأحيان، لكن لم يكن أيُّ منا في أفضل حالاته، ونحن في العراء. بعد أن ضللنا الطريق، (وهزت بري رأسها) كان الجميع خائفين.

قالت كارمن:

- هل ذكرت أيُّ شيء تقلق بشأنه.. أيُّ شيء سوى أنك ضللتن الطريق بالطبع؟

- مثل ماذا؟

- أيُّ شيء؛ العمل، المنزل، أو أيُّ مشكلات مع زملاء؟

- لا، لم تقل لي شيئاً مثل هذا!

قالت كارمن:

- لكن بكونك شخصاً مقرباً منها، هل شعرت بأيُّ خطبٍ ألم بها؟

- لا.

- وماذا إذا عدنا إلى أيام العمل العادية، قبل أن تخضن هذه الرحلة. هل

لاحظت أيُّ طلبات أو مواعيد غريبة؟

- ما علاقة ذلك بكل ما حدث في العراء؟!

قال فولك:

- لا شيء بالتحديد، نحن نبحث عن الخطأ الذي وقع!

- يمكنني أن أروي لك ما الخطأ الذي وقع بالتحديد. (ثم تغيّرت ملامح

بري) ولم يكن هذا خطئي.

- ما الذي لم يكن خطأك؟

- لم يكن خطئي أن نضل الطريق، لكن المشكلة كانت في طريق

الكانجارو، التي كنا نسير عليها في اليوم الثاني. هذا ما قاله الضباط،

لقد قالوا: «إنه خطأ من السهل ارتكابه!».

ثم توقفت بري عن الكلام، ولم يكن هناك صوت إلا صوت الرنة الناعمة

التي تصدر عن آلات المستشفى. التقطت أنفاسها، ثم أكملت:

- لم يَكُنْ على الآخرين أن يوكلنَ لي مهمة القيادة، فأنا لم أكنُ أعرف ما الذي أفعله. لقد قضيت نصف الطريق، وأنا أحصل على العديد من الاستراحات لتناول القهوة كل عشرين دقيقة، ومن المفترض أن أكون خبيرة فورية؟!

حرَّكت ذراعها المصابة، وتجهَّمت، ونزل العرق على جبهتها. قال فولك:

- ما الذي حدث عندما أدركتِ أنكِ ضلَّلتِ الطريق؟

- كل شيء سار بشكل خاطئ بعد ذلك، فلم نجد المخيم التالي، ولم نحصل على مؤننا لهذه الليلة. كان معنا القليل من الطعام، كما كنا أغبياء، فتسببنا في تلف الخيام. (ثم صدرت عنها ابتسامة صغيرة، وتابعت) يبدو الأمر مضحكًا عندما ترى السرعة التي انهار بها كل شيء، لكننا لم نكنُ نفكر بشكل سليم، واتخذنا العديد من القرارات الخاطئة. من الصعب أن تصف كيف يبدو الأمر في العراء. كنا نشعر، وكأننا آخر من تبقيين على هذا الكوكب!

قال فولك:

- كيف تصرفت أليس عندما ضلَّلتِ الطريق؟

- لقد كانت مندفعة قليلاً حول ما يجب أن نفعله. عندما تشعر أليس ببعض الضغوط يبدو عليها العدوانية. لقد خاضت أليس العديد من رحلات المخيمات عندما كانت في المدرسة (تلك التي كانت تزورها في سنوات المدرسة)، وأعتقد أنها اعتقدت أن ذلك منحها أفضلية علينا جميعاً.. لا أعرف! (زفرت بري) ربما هذا ما حدث، لكن لورين (لورين شو) لقد كانت معنا في المجموعة أيضاً؛ كانت قد خاضت العديد من هذه الرحلات في المدرسة، ولم تظن أن أليس على حق طوال الوقت، مثلما فعلت عندما وجدنا الكوخ في اليوم الثالث. أعني أن الكوخ كان مروعاً. أنا لم أحب المكان، لكنه كان أفضل ما يمكننا إيجاده في ظل الظروف السيئة التي نمر بها، إذ كان الطقس يسوء، وكنا في حاجة إلى ملجأ يحمينا، لذا بقينا فيه هذه الليلة. (توقفت بري عن الكلام، ثم قالت) أليس كانت الوحيدة التي لم تكُن تريد ذلك!

قال فولك:

- ألم تستطع إقناعكِن بالمغادرة؟
- لا، ولم تُكن سعيدة بقرارنا. لقد قالت إنها تعرف كيف نجد طريقنا للخروج من هذا المكان، وأرادت منا أن نواصل المسير، لكننا لم نُكن نريد ذلك؛ إذ كان هذا ما أوقعنا في المشكلات من البداية؛ السير بعشوائية. وُخضنا جدًّا خفيًّا، حين قالت أليس إنها ستذهب وحدها، لكن جيل لم تسمح لها بذلك، وحينما استيقظنا في الصباح، كانت أليس قد أخذت هاتفها، ورحلت.

قالت كارمن:

- وهل ذكرت جيل لماذا لم تُكن تريد من أليس أن تذهب وحدها؟
- لأن الوضع خطير بالطبع، واطضح الآن أنها كانت على صواب.
قلَّبت بري عينيها بينهما، تستحثهما على طرح المزيد من الأسئلة. قال فولك أخيرًا:

- ما الذي فعلته عندما أدركت أنها لم تُكن موجودة؟

هزت بري رأسها:

- لستُ الشخص المناسب لتوجّه إليه هذا السؤال! ظننتُ في البداية أنني أول من استيقظ، لذا ذهبت إلى المرحاض في الأدغال، وتعثرت في طريق عودتي. لم أدرك ما حدث في البداية، ظننتُ أنني سقطتُ على شيءٍ حاد؛ ربما كان زجاجًا مكسورًا، ثم رأيت الحية تسعى هاربة، ففهمتُ على الفور ما حدث لي.

عضتُ بري على شفتها السفلية عضوًا شديدًا حتى استحال لونها إلى الأبيض، ثم حدّقتُ إليهما مباشرة:

- ظننتُ أنني سأموت في العراء. اعتقدتُ ذلك بالفعل، لأن التعليمات التي تلقيناها كانت تفيد بوجود أفعى النمر، لكنني لم أكن على دراية بمكاننا. ظننتُ أنني لن أرى عائلتي مرة أخرى، ولن أودّع أُمِّي.. (ثم التقطتُ أنفاسًا متقطعة) أتذكر أنني عانيتُ من بعض التشوش، ولم أستطع التنفس بشكل جيد. وقد أخبرني الطبيب هنا أن ما كنت أعاني منه ربما كان نوبة فزع، لكنني اعتقدتُ أن مفعول السُّمِّ يسري داخل دمي. تمكنتُ من العودة إلى الكوخ، ولم أتذكر بقية الحكاية جيدًا.

وضعن شيئاً محكمًا حول ذراعي.. كنتُ أتألم، لكنني لستُ على يقين متى أدركت أن أليس لم تكن معنا.

حملت بري ضمادة الجبس:

- عندما قالت الأخريات إننا يجب أن نغادر - أن نغادر دونها - لم أجادل؛ مشيتُ حيثما قُلتُ لي. تمكنت لورين من اصطحابنا إلى الشمال حتى وجدنا طريقًا. لا أتذكر الكثير حول ذلك. قال لي الطبيب إنني ربما كنت في حالة صدمة في هذا الوقت، ولقد تملكنتني فكرة أن أليس قد مضت لتحضر المساعدة، وأنها تنتظرنا في مكان التجمع. (نظرت بري إلى الأسفل، ثم تابعت) أتذكر أنني سألتُ عنها، لكن رأسي كان في وضع سيئ، ولم أكن أدري ما الذي ينبغي أن أفعله!

اغرورقت عيناها بالدموع أخيرًا، فأعطاها فولك منديلًا. انتظرًا، وهما يستمعان إلى رنة الآلات، بينما تمسح دموعها. قالت كارمن:

- أحضرت أليس هاتفها معها، هل أجرت أيَّ مكالمات حينما كانت معك؟ جاءت الإجابة سريعًا:

- لا، أعني أنه كان من الواضح أنها تحاول إجراء بعض المكالمات، فقد طلبت النجدة كثيرًا، لكن هاتفها لم يلتقط أيَّ إشارة، فقد كان عديم النفع!

- لكنها أخذت هاتفها معها حينما غادرت؟

بعدم اكرات:

- أعتقد ذلك، لأنه هاتفها!

بدت بري منكسرة، بشعرها الطليق الطويل، وذراعها المضمدة بالجبس، بأظفارها المتكسرة، وبحكايتها المؤلمة. قال فولك:

- قلت إنك تعرفين أليس حق المعرفة، هل تفاجأت بمغادرتها؟

- سيفاجئني ذلك لو كنا نمر بظروف طبيعية.. (اتسعت عينا بري، وهي تنظر إلى فولك، فخطر خاطر من العدم لفولك أنها تعرف كيف تكذب على الرجال) لكن كما قلتُ، الأمر مختلف عندما تكون في العراء. أتمنى الآن لو أننا استمعنا إليها، فلم يكن ليحدث أيُّ شيء من ذلك!

- لكن قد تضللن جميعًا في تلك الحالة!

- ربما.. وربما يكون قد حدث أيُّ شيء أفضل مما آلت إليه الأمور!
 حرَّكت ذراعها المضمَّدة بالجبس، فاعتلى وجهها تجهُم نتيجة شعورها
 ببعض الألم. وتبادل فولك وكارمن نظرة. قالت كارمن، وهي تقف:
- ربما يكون هذا كافيًا في الوقت الحاليّ، سنتركّ تنالين قسطًا من
 الراحة، شكرًا لك يا بريانا.
- أومأت، فبدت الهالات السوداء تحت عينيها أكثر قتامةً مما كانت عندما
 وصلا:
- عندما ترين أختي في الخارج، أخبريها مرة أخرى بأن ترسل لي
 الممرضة مع المسكّنات، أو أن تغادر المكان، فيكون بوسعهم أن
 يعطوني إياها عن طريق المحاليل.
- كان جو الغرفة جيدًا، لكن بينما كان فولك يغلق الباب وراءه، كان بوسعه
 أن يرى قطرة عرقٍ تسقط على جبهة بري.

اليوم الثاني: ظهيرة يوم الجمعة

كانت الشمس الشاحبة تتحرك عبر خط الأفق، واستطال العشب حتى وصل إلى كاحلهم قبل أن تقولها إحداهن أخيرًا:

- هل الطريق صحيحة؟

زفرت بيت زفرة ارتياح صامتة عندما قالت جيل هذا. لقد كانت تريد أن تسأل هذا السؤال منذ عشرين دقيقة، لكنها لم تجرؤ على ذلك؛ كانت بري لتقتلها. توقفت أختها، ثم نظرت إلى الخريطة:

- ينبغي أن تكون هذه الطريق صحيحة.

- ينبغي أم إنها صحيحة؟

- إنها صحيحة. (لم يبدُ على بري أنها على يقين، فنظرت إلى الخريطة، وقالت) يجب أن تكون هذه الطريق صحيحة، فنحن لم نجد عن طريقنا إلى أيِّ مكان آخر!

- أنا أدرك ذلك، لكن... (فتحت جيل ذراعها قدر اتساعهما. إن الطريق المكسوة بالنباتات، والأشجار تضيق عليهن الخناق كل بضع خطوات). انسي ما تشير إليه الخريطة؛ لا يبدو أنه صحيح!

من كل جانب، كانت الطيور المختبئة تزعق، وكأنها تتحدث وتستجيب، ولم يكن بوسع بيت أن تتجاهل فكرة أن الأدغال تُسرُّ إليهن بشيء ما. قالت جيل:

- لم نرَ أيَّ شارة طوال اليوم، منذ أول شارة رأيناها أمس. من المفترض أن نرى ستة أعلام، ومن المؤكَّد أن نكون قد رأينا بعضًا منها في الوقت الحالي.. واحدًا على الأقل!

- ربما كان مفترق الطرق الذي سلكناه بعد الغداء خاطئًا، بإمكانني أن أرى؟

التقطت أليس الخريطة من بين أصابع بري قبل أن ترُد، فتجمدت بري ويدها ممدودة، وبدت ضائعة بكل معنى الكلمة. حاولت بيث أن تنظر في عينيها، لكنها لم تتمكن من ذلك. قطَّبت أليس عندما نظرت إلى الخريطة، وقالت:

- انظُرْن، كنت أراهِن أننا سلكننا طريقًا خاطئة، ظننت أننا مررنا على هذه الطريق مبكرًا للغاية!

- أنا لم...

أخرستها أليس:

- بري، الطريق ليست صحيحة!

للحظة، عمَّ المكانَ سكونُ الغابات المريب، فنظرت بيث إلى الأعلى لأشجار الكافور، وفكرت فجأةً، يتدلَّى لحاء الأشجار في شرائط شاحبة كالجلد المسلوخ، وبدت قريبة للغاية وطويلة؛ تحاوطهن وتحاصرهن من كل جهة.

- إذن، ما الذي علينا فعله؟

كان هناك نبرة جديدة في صوت جيل لم تستطع بيث أن تحدد ما إذا كانت نبرة هادئة، أو ليست هادئة تمامًا، أم ربما نبرة تنمُّ على الاهتمام.. الاهتمام الشديد. رفعت أليس الخريطة عاليًا حتى يكون بوسع جيل رؤيتها. أشارت أليس بيدها إلى الخريطة، وقالت:

- إذا كنا قد اتخذنا المنعطف المناسب، فكان يجب أن نكون هنا، لكن إذا لم نفعل ذلك، فلا أعرف. على الأرجح سنكون في مكانٍ ما حول هذا المكان.

ورسمت بيدها حركات دائرية صغيرة. انحنت جيل لتقترب، ثم تقدَّمت لتكون أكثر قربًا، فبدت لها الخطوط أكثر عمقًا. أدركت أليس أنها لا تستطيع قراءة الخريطة، لأن طباعة الخريطة صغيرة جدًا بالتأكيد، فربما تكون جيل قد فحصت الخريطة، لكنها تبدو بالنسبة لها جوفاء رغم المجهود الذي بذلته. لقد رأت بيث جدتها ترسم على وجهها هذه النظرة عندما تضرر بصرها بسبب القراءة، لكن بينما كانت جيل تجتهد في التظاهر بفحص الخريطة، كانت أليس تراقبها بنظرة ذات معنى على وجهها. ظنت أليس أنها أدركت ذلك أيضًا.

«هممم...»، صدر عن جيل ضجيج غير مفهوم، وسلّمت الخريطة للورين،
وقالت:

- ماذا تعتقدين؟

بدت لورين متفاجئة، لكنها أمسكت بالخريطة، وأخذت رأسها للأسفل
تتطلع إليها، وجرت عيناها على الخريطة، وقالت:

- لا، لا أعتقد أننا على الطريق الصحيحة، آسفة يا بري.

كانت جيل تنظر إليها، فقالت:

- إذن، ما الذي علينا فعله؟

- أعتقد أننا يجب أن نعود أدراجنا بنفس الطريقة.

امتعضت أليس:

- العودة ستستغرق الكثير من الوقت بكل تأكيد، سنكون في العراء
لساعات!

هزت لورين كتفها:

- حسناً، ليس لدينا الكثير من الخيارات.

كان رأس جيل يتجول يمينا ويسارا بين جيل وأليس، وكأنه كرة تنس.
وبري تقف على بُعد متر أو اثنين، لكن على الأرجح أنهم كُنَّ يتجاهلنها.
نظرت أليس إلى الخلف على الطريق:

- هل سيمكننا أن نعود أدراجنا؟ الطريق غير واضحة بالمرة، قد نضل
مرة أخرى!

رأت بيت فجأة أن أليس على حق، فمن الخلف، كانت الطريق التي سلّكنها
تبدو غير واضحة المعالم الآن، ولا آثار لها. شعرت بيت أنها في حاجة إلى
سيجارة، لكنها لم تَكُنْ تمتلك سجائر في جيب حقيبتها، فدقت ضربات قلبها
بسرعة. قالت لورين:

- أعتقد أنه لا يزال هو الحل الأفضل، والامن على أيّ حال.

نظرت أليس إلى جيل:

- ما سُنْقِدِم عليه سيضيف إلينا ساعات من المشي، سنسير في الظلام
مرة أخرى قبل أن نصل إلى أيّ مخيم بلا شك!

نظرت جيل إلى حذائها، ولاحظت بيت أن خيار السير عدة كيلومترات إضافية لم يكن قرارًا مرحبًا به. فتحت جيل فمها ثم أغلقته، وهزت رأسها هزة صغيرة. قالت أخيرًا:

- حسنًا، لا أعرف، وما البديل؟

نظرت أليس في الخريطة، ثم نظرت إلى الأعلى، ضاقت عيناها، وقالت:

- هل بوسع أحد سماع خرير ماء؟

حبست بيت أنفاسها. كان تدفق الدم في أذنيها يمنعها من سماع حركة المياه. يا إلهي! إنها غير قادرة على سماع صوت المياه، فعلى الأقل كانت الأخرى يسمعه! أشارت أليس إلى الخريطة:

- إذا ضللنا الطريق في هذه النقطة، فإن خرير المياه يجب أن يكون عند هذه النقطة. يبدو أنه قريب، يمكننا أن نستخدم هذه النقطة لإعادة توجيه أنفسنا. إذا عرفنا مكاننا يمكننا أن نختصر الطريق، ونجد الطريق الصحيحة من جديد.

شبكت لورين ما بين ذراعيها، فلاحظتها بيت؛ كانت تضغط على شفيتها معًا.

- هل تعتقدين.. (تنحنحت جيل ثم أكملت) هل أنتِ على يقين من أننا يمكننا أن نعيد توجيه أنفسنا من هذه النقطة؟

- نعم، يمكننا أن نفعل ذلك.

استدارت جيل صوب لورين:

- ماذا تعتقدين؟

- أظن أنه ينبغي علينا أن نعود من حيث أتينا.

قالت أليس:

- بالله عليك، سنكون في العراء طوال الليل، وأنتِ تعلمين ذلك!

لم تقل لورين شيئًا. نظرت جيل إليهما، ثم إلى قدمها مرة أخرى، ثم تنهدت.

- دعونا نحاول العثور على خرير المياه.

لم تزعج إحداهن نفسها بأن تسأل بيت عن رأيها. تبعَت بيت صوتَ المياه إلى حيث يكون أكثر وضوحًا. وقد أخذ الصوتُ شكلاً مختلفًا عن صوت الشلالات التي التقينها في اليوم السابق؛ أكثر غلظةً وخفوتًا. سرنَ بين صف من الأشجار، ووجدت بيت نفسها على حافة أرض طينية.

الأرض الطينية تنحدر بالقرب من قدميها، وتهبط أكثر من متر لتنتهي بشريط ذي منسوب مرتفع في الأسفل. واعتقدت، وهي تنظر إلى المياه، أنه من المؤكد أن ما تراه نهر، وليس خريز مياه فقط. لقد امتلأ هذا النهر عن طريق مياه المطر، فخلّف زبدَ المياه عندما وصل إلى ضفافه. هذا ما ألمح إليه الحطام العائم الذي يجري بسرعة كبيرة تحت سطح المياه.

انكبّت أليس على الخريطة، فيما راحت جيل ولورين تنظران إليها. تنحّت بري إلى الهامش، وهي تبدو منبوذة من الجميع. أنزلت بيت حقيبتها، ووضعت ذراعها بالداخل، تتحسس علبة سجائرها. لم تتمكن من إيجادها، وعلى الرغم من البرد بدأت راحة يدها تعرق. أنزلت ذراعها أعمق من ذي قبل. وأخيرًا، اقتربت يدها من الشكل المألوف لعلبة السجائر، فأخرجت ذراعها، ساحبةً معها بعض الملابس والمتعلقات الشخصية.

لم تلاحظ بيت أن العبوة البراقة المعدنية تتدحرج بعيدًا إلا متأخرًا، فقد ارتدّت العلبة بعيدًا عن يدها، وهي تُخرجها، ودارت دورة أخرى على الأرض قبل أن تصل إلى ضفة النهر وتغرق.

- اللعنة!

رفعت علبة السجائر في جيبها، ثم ضربت كفاً بكف. رفعت أليس عينيها بسرعة عن الخريطة، وقالت:

- ما كان ذلك؟

- لا أعرف..!

نظرت بيت إلى حيث استقرت العبوة، وزفرت زفرة ارتياح مؤقت. بغض النظر عما سقط، فقد انحشر في كتلة متشابكة من الفروع الميتة الطافية أعلى المياه. نظرت أليس بوضوح الآن:

- عظيم! لقد وضعنا، ما سقط هي قَدَاحة فرن الغاز!

- ماذا؟!

راقبت بيت الوميض المعدني للقذّاحة، وهي تستقر فوق الأغصان
المتمايلة. كررت أليس:

- قذّاحة فرن الغاز التي نحتاجها لإعداد وجباتنا الليلة، وغداً، يا إلهي يا
بيت! لماذا أسقطتها؟!

- لم أعرف أنها معي من الأصل!

- لقد تقاسمنا أغراضنا المشتركة، وأنتِ تعرفين ذلك!

اصطدمت قطعة خشب تتسارع في المياه بفروع الأغصان، فاهتزت
القذّاحة، لكنها استقرت بعد ذلك. قالت جيل:

- أيمكننا المضي دونها؟

- ليس لنا ذلك، إذا كنا نريد أن نُعدّ عشاءنا اليوم!

جاءت موجة أخرى من المياه، فاهتزت القذّاحة مرة أخرى. كان بوسع بيت
أن تشعر بأن عيني أليس مسلطتان عليها. أما بيت، فقد كانت تنظر مباشرةً
إلى النهر ذي المنسوب المرتفع، مدركةً ما سيأتي. وقفت أليس بالقرب منها
إلى الخلف، فشعرت بيت بيدٍ خفيةٍ توضع على ظهرها، وتقول: «أحضرها!».

الفصل العاشر

كانت بيت تتكى على الجدار خارج المستشفى، واضعةً يدها في جيب المعطف، وعيناها سارحتان، فيما راح دخان سيجارتها يتهادى أمام وجهها. استقامت قليلاً عندما رأت فولك وكارمن يخرجان. قالت:

- هل أنهيتما مهمتكما؟ هل بري على ما يرام؟

قالت كارمن، وهما يقتربان منها:

- إنها منزعة قليلاً، وهي تُذكِّرك أن تطلبي من الممرضة المسكَّات.

- لقد فعلتُ، وسيرسلون إليها المسكَّات في أسرع وقت، لكنها لا تستمع

إليَّ أبداً!

أدارت بيت وجهها لتنفخ هواء السيارة بعيداً عنهما:

- ما آخر الأخبار عن أليس، ألا توجد أيُّ إشارة عنها؟

قال فولك:

- لا توجد أخبار أكثر من التي نعرفها!

- اللعنة! (التقطت بيت قطعة تبغ من شفتها السفلى، وحدقت إلى الأشجار

التي تزحف على ساحة المستشفى) يُحيرني ما الذي حدث لها!

- ماذا تعتقدين؟

رَكَزَت بيت على سيجارتها:

- بعدما تركتُنا؟ مَنْ يعرف! يمكن لأيِّ شيء أن يحدث لها في العراء.

حاولنا جميعاً أن نخبرها بذلك.

راقبها فولك من كُتب، وقال:

- ما الذي تفعلينه في شركة بيلي تينانتس؟

- معالجة البيانات والأرشفة.

- آه، حسنًا، وما الذي يتضمنه هذا العمل؟

- يتضمن إلى حدٍ كبيرٍ ما يبدو أنه مثل تسجيل الملفات، وإدخال البيانات، والتأكد من أن زملاءك في العمل قادرين على الدخول إلى أيِّ ملفات يحتاجونها.

- إذن، أنتِ لديك الحق في الدخول إلى ملفات الشركة.

- الملفات غير المقيدة. ثمة ملفات سرية، وملفات أخرى في الأرشيف، لكن المستويات الإدارية العليا هم من لهم الحق في الاطلاع عليها فقط.

- وهل كنتِ ترين الكثير من الملفات التي تخص أليس راسل في العمل؟ لم يبدو على بيت أنها سعيدة بهذا السؤال، ولكنها قالت:

- نعم، في بعض الأحيان، لقد كانت تهبط إلى غرفة البيانات قليلًا، تُلمِّم بعض القطع والأجزاء.

شعر فولك بكارمن، وهي تعدُّ وضع جسدها بجانبه. قالت كارمن بلطف:
- وهل كنتما تخوضان الكثير من الحديث حينما توجدان في القسم؛ تتحدثان عما كانت تبحث عنه؟

أملت بيت رأسها، وبدت كما لو أنها تفكر فيما ستقوله على الأرجح:

- لا، لم تكن تتحدث إلى أيِّ شخصٍ من قسم معالجة البيانات إلا إذا كانت مضطرة إلى ذلك. على أيِّ حال، كان الأمر غير مفهوم تمامًا بالنسبة لي في هذا القسم، ولم أكن أتقاضى الكثير لأفكر في أيِّ شيء.

سأل فولك:

- وماذا عن خطة الانسحاب؟ هل صار الأمر أفضل بينكما حينما كنتما في العراق؟

تصلب وجه بيت، وعدلت عن تدخين سيجارتها:

- هل هذه مزحة؟!

- لا.

- إذن، لا، أنا وأليس لم نكن على توافق قط؛ لا في مكان العمل، ولا في الرحلة.

وخطفت بيت نظرة إلى أبواب المستشفى:

- ألم تذكر شقيقتي ذلك؟

- لا.

- أوه! (أخذت بيت سحبة أخيرة من السجارة، ثم ألقته على الأرض) على الأرجح أنها ظنت أنكما تعرفان أن أليس لم تكن تحبني، ولم تتكفل بعناء إخفاء ذلك حتى!

سألت كارمن:

- ولماذا لم تحبكِ؟

هزت بيت كتفيها:

- لا أعرف!

ثم أخرجت علبة السجائر، وعرضت سيجارة على كل من فولك وكارمن، لكنهما هزّأ رأسيهما، وتابعت بيت حديثها، وهي تضع سيجارة في فمها:

- في الواقع، لا أعرف لماذا! لم تكن تحبني، لأنها لم تكن مضطرة إلى ذلك. لم يكن في جعبتي أيّ مصلحة لها، ولم أكن مثيرة بالنسبة إليها، لأنني لست بري.. (لوحت بيت بيدها بعصبية إلى أعلى وأسفل، بدايةً من وجهها الممتقع إلى فخذها الغليظتين) لم يكن من الصعب على أليس أن تصعب الأمور عليّ، ولقد نالت فرصتها كاملة.

- حتى وهي تعلم أن أختك تعمل في الشركة؟

ابتسمت بيت ابتسامة ذات مغزى، وقالت:

- خاصةً، وهي تعرف أن أختي تعمل في الشركة، أعتقد أن هذا ما جعل الأمر مرحًا!

ضمت يديها لتدفئتهما، وبعثرت الرياح شعرها، فأحكمت إغلاق معطفها حول نفسها. قالت كارمن:

- إذن، لم يكن التعامل مع أليس مريحًا بالنسبة إليك، هل كنت تقفين لها، أو تردّين على ما تفعله بك؟

سرت أقصر رعشة على ملامح بيت، وقالت:

- لا.

- على الإطلاق؟ لا بد أن الأمر كان محبطًا بالنسبة إليك؟

هزت كتفيها:

- في كل مكانٍ ستجدين من تتصرف كالحمقاء، ولا يستحق الأمر مني أن
أُتسبب في مشكلة، خاصةً إذا كنت في فترة تدريب!
سأل فولك:

- ما فترة التدريب التي كنتِ تمرّين بها؟

- ألا تعلم؟!

- يمكننا أن نكتشف ذلك، لكن سيكون من الأسهل لو أنكِ أخبرتنا.

خطفت نظرةً إلى أبواب المستشفى، ثم عدّلت وضع جسدها، وسحبت
نفسًا عميقًا قبل أن تجيب:

- أي قطاع من قطاعات الشرطة تتبعون؟

- الشرطة الفيدرالية...

أخرج فولك بطاقته التي تُثبتُ انتماءه للشرطة الفيدرالية، ومالت بيث
لتنظر إليها.

- كنتُ في فترة تدريب... (ثم توقفت عن الكلام، وزفرت) بسبب المشكلات
التي حدثت بيني وبين بري.

انتظرًا قليلًا، إلى أن قالت كارمن:

- ولكنك ستخبرينا بالمزيد.

- نعم، آسفة.. لا أريد الحديث عن ذلك حقًا. منذ عدة أعوام، لم... (وبدت

كما لو أنها سحبت السيارة كلها في نفس واحد) لم أكن في حالة

جيدة؛ اقتحمتُ شقة بري، وسرقتُ بعضًا من ممتلكاتها؛ ملابس، وتلفاز،

وبعض الأغراض التي كانت تدخر المال لها، وبعض المجوهرات التي

منحتها جدتنا لها قبل أن تموت، لكن بري عادت إلى البيت لتجدني

أحملُ ممتلكاتها إلى السيارة، وحينما حاولت إيقافي، أصبْتُها.

خرجت الكلمات الأخيرة من فمها، كما لو أن لها مذاقًا مرًا. سأل فولك:

- وهل كانت إصابتها بالغة؟

قالت بيث:

- لم تُكُنْ إصابتهَا بالغةً جسديًا، لكن أختها التوعم ضربتْهَا فِي الشَّارِعِ، وَهِيَ تَحَاوِلُ سَرْقَةَ مَمْتَلِكَاتِهَا لِشُرَاءِ الْمَخْدِرَاتِ، لِذَا، نَعَمْ، لَقَدْ أُصِيبَتْ إِصَابَةً بِالْغَةِ، لَقَدْ أذَيْتَهَا بِقَسْوَةٍ!

بَدَتْ آخِرُ جَمَلَةٍ كَمَا لَوْ أَنَّهَا كَانَتْ تُعِيدُهَا مَرَارًا عَلَى الْمَعَالِجِ النَّفْسِيِّ. أَنْهَتْ بَيْتَ سِيَجَارَتِهَا، لَكِنِّهَا اسْتَعْرَقَتْ بَعْضَ الْوَقْتِ لِتُخْرِجَهَا مِنْ فَمِهَا.

- انظُرْ، لِأَكُونَ صَرِيحَةً مَعَكَ، أَنَا لَا أَتَذَكَّرُ الْكَثِيرَ مِمَّا حَدَثَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، لَقَدْ كُنْتُ مَدْمَنَةً عَلَى الْمَخْدِرَاتِ لَعْدَةَ سِنَوَاتٍ مِنْذُ.. (ثُمَّ تَوَقَّفْتُ فِيمَا بَدَأَ أَنَّهَا عَلَى وَشِكْ أَنْ تَقُولَ شَيْئًا، ثُمَّ جَرَتْ بِبَيْدِهَا عَلَى ذِرَاعِهَا. هَذِهِ الْحَرَكَةُ ذَكَّرَتْ فُولَكَ بِأَخْتِهَا عِنْدَمَا كَانَتْ تَمْسِكُ ضِمَادَتِهَا عَلَى سَرِيرِ الْمَسْتَشْفَى) مِنْذُ آخِرِ سَنَةٍ لِي فِي الْمَدْرَسَةِ. لَقَدْ كُنْتُ غَيْبِيَّةً، وَاسْتَدْعَيْتَنِي الشَّرْطَةُ بِتَهْمَةٍ أَنَّنِي كُنْتُ أَحَاوِلُ سَرْقَةَ مَمْتَلِكَاتِ أُخْتِي. لَمْ أَكُنْ أُدْرِي أَنَّي ضَرَبْتِهَا إِلَّا عِنْدَمَا قَالَ الْمَحَامِي لِي ذَلِكَ. وَعِنْدَ هَذَا الْوَقْتِ، بَاتَ لَدَيَّْ صَحِيفَةٌ سَوَابِقُ. مِنَ الْوَاضِحِ أَنِّي كُنْتُ وَضِيعَةً، لَكِنِّهَا لَمْ تَبْلُغْ الشَّرْطَةَ، كَانَ بَوَسْعِهَا فَعَلَ ذَلِكَ، لَكِنِّهَا لَمْ تَفْعَلْ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ لِيَلُومَهَا لَوْ فَعَلَتْ، لَكِنِّ جَارًا لَهَا رَأَتْهَا نَتَعَارَكَ، وَهُوَ مِنْ أَبْلَغِ الشَّرْطَةِ بِذَلِكَ. وَلَمْ تُرِدْ بَرِي أَنْ تَتَحَدَّثَ عَنِ الْمَوْضُوعِ قَطُّ، وَلَمْ تَتَحَدَّثْ مَعِي كَثِيرًا مِنْذُ ذَلِكَ الْوَقْتِ، لَكِنِّ أَغْلِبُ مَا عَرَفْتُهُ عَنِ الْمَوْضُوعِ جَاءَ مِنْ مَلَفَاتِ الْقَضِيَّةِ.

قَالَتْ كَارْمَنْ:

- وَمَا الَّذِي حَدَثَ لَكَ؟
- قَضَيْتُ شَهْرَيْنِ فِي مَصْحَةِ تَأْهِيلِيَّةٍ، لَكِنِّهَا لَمْ تَكُنْ جَيِّدَةً، ثُمَّ قَضَيْتُ فِتْرَةَ أَطْوَلِ مِنْ ذَلِكَ فِي مَرْكَزِ إِعَادَةِ تَأْهِيلِ، وَقَدْ كَانَ أَفْضَلَ بِكَثِيرٍ.
- هَلْ سَاعَدَكَ عَلَى التَّعَافِي؟
- نَعَمْ، أَعْنِي أَنَّهُمْ كَانُوا يَبْدُلُونَ كُلَّ مَا فِي وَسْعِهِمْ. وَكُنْتُ أَنَا بِدَوْرِي أَبْدُلُ كُلَّ مَا فِي وَسْعِي، لِأَنَّ التَّعَافِي أَمْرٌ مُتَوَاصِلٌ، لَكِنِّهُمْ عَلَّمُونِي أَنَّ أَتَحْمَلُ مَسْئُولِيَّةَ اخْتِيَارَاتِي، وَمَسْئُولِيَّةَ مَا فَعَلْتُهُ فِي حَقِّ أُخْتِي.

قَالَتْ كَارْمَنْ:

- وَكَيْفَ تَسِيرُ الْأُمُورُ بَيْنَكُمَا الْآنَ؟

- على ما يرام، لقد ساعدتني في الحصول على وظيفة البيانات هذه، مما كان له أثر عظيم. كنتُ أدرس علوم الحاسب قبل أن أترك الجامعة، لذا، كان من الطبيعيّ بالنسبة إليّ أن أعمل في شركة كشركتها، لكن كان من الصعب عليّ أن أجد أيّ شيء كفترة تدريب، لذا أنا ممتنة لها. (كافحت بيث لترسم على وجهها بسمة) كنا مقربتين من بعضنا للغاية، كنا نرتدي الملابس نفسها تقريباً حتى سن الرابعة عشرة، كنا الشخص نفسه لفترة طويلة من حياتنا، لدرجة أننا كنا نظن بالفعل أن بوسعنا قراءة أفكار بعضنا بعضاً. (ثم خطفت نظرة إلى أبواب المستشفى) لكننا لم نستطع.

وبدت متفاجئة قليلاً بذلك. قال فولك:

- لا بد أنك ارتعبتِ حينما تعرضتِ للعض.

أحكمت إغلاق فمها، ثم قالت:

- نعم، لقد كان الأمر كذلك، كنت مرعوبةً من أن أفقدها. استيقظتُ مبكراً، وذهبتُ لأقضي حاجتي، لكنني غفوت مرة أخرى عندما عدتُ إلى الخيمة، حينما جاءت بري، وهي تمسك ذراعها، كان علينا أن نذهب بها إلى طبيب، لكن أليس اللعينة كانت قد هربت. كنا نجري في الأرجاء كالدجاجات الحمقاء محاولاً أن نجدها، لكن لم يكن هناك أيّ إشارة على وجودها. (مررتُ إبهامها على شففتيها، وتابعت حديثها) لأكون صريحة، لم أهتم بها مطلقاً، كل ما كنتُ أهتم به هي صحة بري، يمكن لأليس أن تتدبر أمرها، وهذا أقل ما كنتُ أهتم به في ذلك الحين. لقد كنا محظوظات، لأن لورين كانت تعرف كيف نسير في خط مستقيم، وإلا لكننا حتى الآن عالقات في العراء. لقد جعلتنا نواصل السير إلى الشمال، حتى وجدنا الطريق، ولم أكن في مثل هذه السعادة في حياتي من قبل حينما وجدتُ الطريق.

سأل فولك، وهو يراقبها من كتب:

- وهل رأيتِ أليس، وهي تهرب؟

- لا، لكنني لم أتفاجأ، فهذا ما كانت تهدد بفعله على أيّ حال.

- سمعنا أنها أخذت الهاتف معها.

- نعم، لقد أخذته، لقد كانت أنانية للغاية، لكن هذه هي أليس. على أيِّ حال، لم يَكُن ذلك مهمًّا، لأن الهاتف لم يَكُن يعمل.
- قط؟

- نعم. (نظرت بيث إليهما، وكأنهما متخلفان) وإلا كنا قد طلبنا النجدة!
قال فولك:

- هل تفاجأتِ عندما لم تجدي أليس في نقطة الالتقاء عندما عدتِ؟
بدت بيث، وكأنها تفكر في السؤال:

- نعم، قليلاً، خاصةً أننا على الأرجح كنا على نفس خط السير، لكننا كنا خلفها بعدة ساعات فقط. لذلك، إذا لم نَكُن قد تجاوزناها، وهي لم تُعد قبلنا، فما الذي حدث؟

علق السؤال في الهواء، حيث استطاع فولك أن يتبين صوت مروحية الشرطة، وهي تطير على مسافة منهم. نظرت بيث إلى كلِّ منهما، وخفصت صوتها قليلاً، وعدلت من وضع جسدها، وقالت:

- اسمعا، هل كانت أليس تخطط لشيء؟

قال فولك فيما حاول أن تظل تعابير وجهه طبيعية:

- تخطط لشيءٍ مثل ماذا؟

- أنتما المخولان لتقولوا لي، أنتما من الشرطة الفيدرالية!

لم يقل فولك وكارمن أيَّ شيء، وهزت بيث كتفها في النهاية:

- لا أعلم، لكنني أخبرتكما أنها كانت تطلب الكثير من المعلومات من قسم معالجة البيانات. وبعد ذلك بدأت تهبط إلى القسم بنفسها، الأمر الذي كان غريبًا. ولقد لاحظت فقط، لأنها اعتادت أن ترسل بري إلى الأسفل لتحصل على هذه الملفات، لكن في هذا الوقت كانت قد بدأت تنزل بنفسها، وكانت تدخل على البيانات المحظورة بطريقة أكثر انتظامًا، لكنها الآن مختلفة..

نظرت بيث إلى ما وراء الشخصين الواقفين أمامها؛ إلى التلال الرابضة على مسافةٍ منهم، وهزت كتفها مجددًا. قالت كارمن:

- بيث، كيف تأكدي أن أليس تركت الكابينة من تلقاء نفسها؟

- انظري، أنا متأكدة من ذلك، ومتأكدة تمام التأكد، صحيح أنني لم أرها، وهي تهرب، لكنها فعلت ذلك، لأنها كانت تعلم أننا سنوقفها، لم تكن تريد أن تعلق في العراء. ولقد حاولت إقناع جيل بالفعل أن تتركها تعود وحدها منذ الليلة الأولى، لكن جيل لم توافق على ذلك. ثم حاولت مرة أخرى، ونحن في الكابينة.

قالت كارمن:

- إذن، لقد نشبت بينهما بعض المشادات؟

- بالطبع!

- لأننا عندما رأينا جيل يبلي، بدت كما لو أنها لديها كدمة في وجهها، حول فكها.

مرت ثوانٍ حين راحت بيث تسحب من سيجارتها:

- لست متأكدة تمامًا ما الذي سبب لها ذلك. أعلم أنها تعثرت مرتين في الرحلة.

ترك فولك الصمت يتمدد، لكن بيث لم تكمل كلامها. قال:

- حسنًا، لم تكن الأمور على ما يرام بين جيل وأليس إذن؟

- نعم، لكن ذلك لم يكن مفاجئًا. كان بوسع أليس أن تبدأ عراكًا في غرفة فارغة. ولقد كانت غاضبة بالفعل، قبل أن تفعل جيل أي شيء. كانت أليس في مزاج سيئ منذ الليلة الأولى عندما انفرد بها دانيال ببلي في محادثة قصيرة.

في مكان ما خلف أبواب المستشفى، كان بوسع فولك أن يسمع صفير جرس الإنذار المُلح. قال:

- دانيال ببلي؟

- أخو جيل، فهو المدير التنفيذي للشركة، حيث جاءت مجموعة الرجال لمخيمنا في الليلة الأولى، وكان بوسعه أن ينفرد بها لإجراء محادثة خاصة.

- هل لديك أي فكرة عما جرت المحادثة؟

- ليس حقًا. لم أسمع الكثير، لكن أليس سألته كيف اكتشف أمر شيء ما، وقد ردَّ، لأنه رأى هذا الشيء بأَم عينه. وظلت تسأله: «ومن يعرف

ذلك أيضًا؟»، وردَّ عليها: «لا أحد يعرف باستثنائنا». (عبست بيت، وهي تتذكر ذلك الموقف) قال دانيال شيئًا مثل: «إن الأمر يتعلق بالاحترام، وهذا سبب رغبتني في تحذيرك!».

قال فولك:

- تحذيرها؟! أسمعته يقول ذلك بالتأكيد؟
- نعم، لكنني لم أكن على يقين مما يتحدث بشأنه. لقد شدَّ الأمر انتباهي، لأن دانيال ببلي لم يكن معروفًا في الشركة باحترامه للنساء.

قالت كارمن:

- هل كان عدوانيًا؟
- أقل احترامًا للنساء، كما كان واضحًا.

قال فولك:

- حسنًا، كيف كانت نبرة صوته في تلك الليلة؟ هل كان غاضبًا؟
 - لا، كان هادئًا، لكنه لم يكن سعيدًا! بدا الأمر كما لو أنه مناقشة لم يكن يريد أن يخوضها!
 - وكيف كانت نبرة صوت أليس؟
- فكرت بيت للحظة:
- لأكون صريحة، أعتقد أن أليس بدت خائفة!

اليوم الثاني: ظهيرة يوم الجمعة

أشارت أليس إلى النهر المرتفع منسوبه، وقالت:

- اهبطي إلى النهر يا بيت سريعا، سوف نفقدها!

نظرت لورين عبر ضفة النهر، فوجدت القدّاحة المعدنية الصغيرة عالقة في فروع الأشجار المكسورة، وهي ترتعش من أثر الماء المندفَع تحتها. كانت بيت تقف مترددة على حافة الضفة، حين تمتمت بشيء غير مفهوم. قالت أليس:

- ماذا قلت؟! ما الذي تنتظرينه؟

- قلتُ ألا يمكننا إشعال النار هذه الليلة؟

- إشعال النار مسموح به في المخيم فقط، لكننا سنكون في حاجة إلى القدّاحة لإعداد الطعام. اقفزي إلى هناك، وأحضريها!
كانت عينا بيت تتنقلان بين النهر وأليس:

- ولكن كيف السبيل إلى ذلك؟!

ظننت لورين أن هذا سؤال جيد، إذ كانت الضفة شديدة الانحدار وطينية، وتندفع صوب الماء مباشرة، ولم يكن هناك إلا بقايا أرض حول الفروع المكسورة تُشبه المعطف المتسّخ. ظلت بيت واقفة في مكانها على الحافة:

- سأقع في النهر، لا أستطيع السباحة!

نظرت أليس متعجبة:

- حقًا؟! ألا تُجيدين السباحة على الإطلاق؟

- لستُ جيدة في السباحة!

- يا إلهي! من الأفضل ألا تهبطي لئلا تقعي في النهر.

ضربت فروع الشجرة عاصفة من الرياح، فتحرّكت القدّاحة قليلاً. تمكنت

جيل أخيرًا من التحدث، إذ كانت تراقب النهر بحذر، قالت:

- ربما علينا أن نتركها، أنا أشك أن الهبوط إلى النهر مغامرة آمنة!

قالت أليس:

- لا نستطيع تركها، نحن في حاجة إليها، سنكون عالقات في العراء لعدة أيام!

نظرت جيل إلى لورين، التي أومأت بدورها. كانت أليس على حق. سيمر عليهن وقت طويل حتى يوم الأحد دون أن تكون لديهن قَدَاحة. صاحت أليس:

- بيت، اهبطي إلى النهر، وأحضري القَدَاحة، سوف نفقدها!
لمعت عينا بيت، وتوردت وجنتاها، وقالت:

- لا، اسمعي، لن أفعل ذلك، حسنًا؟ سأقع في النهر!

- لا تكوني مثيرة للشفقة، لن يكون هناك غداء اليوم دون قَدَاحة!

- لا أهتم! لم تأكل إحدانك غداءها ليلة أمس! ولن أكسر عنقي، لأن الجوع يقتلك!

ردت بيت بحزم، لكن لورين كان باستطاعتها رؤية أن يديها تهتزتان. قالت أليس:

- أنتِ من أوقعتيها، وأنتِ من ستحضرينها!

- وأنتِ من وضعتيها في حقيبتي دون أن تخبريني!

- وماذا إذن؟

- إذن، أنتِ من عليكِ إحضارها!

كانت المرأتان تواجهان بعضهما بعضًا، فيما كانت بيت تدفن يديها في جيبها. أليس:

- يا إلهي! بيت...

- سأحضر القَدَاحة.

قالت لورين ذلك قبل أن تمعن النظر في كلامها، فاستدارت إليها الأشخاص الأربعة من هول المفاجأة، ورغم أنها تمنّت على الفور لو أنها لم تقل ذلك، إلا أن الفأس قد وقعت في الرأس.

- سأهبط إلى النهر، لكن عليكن جميعًا أن تساعدنني.

بدت وجنتا بيت أكثر شحوبًا، لكنها أكثر ارتياحًا، وقالت للورين:

- أشكرك.

ابتعدت جيل عن حافة ضفة النهر، وقالت:

- هل أنتِ متأكدة من ذلك؟ ربما علينا فقط أن...

أسكتتها لورين قبل أن تُغيّر رأيها:

- لا، سأحضرها، نحن في حاجة إليها.

نظرت عبر الحافة. كانت الضفة شديدة الانحدار، إلا أن هناك بعض الصخور، وخصلات الحشائش التي يمكنها الاعتماد عليها مقابض لليد، ومواطئ للقدم. سحبت نَفْسًا، وهي مترددة في التقدُّم للمهمة، لكنها جلست أخيرًا، وتمكنت من الهبوط بجسدها على حافة الضفة. كانت الأرض باردة، وقاسية جدًا على يدها، لكنها شعرت أن أيادي تحملها من ساعديها، بينما كانت تهبط لأسفل، وببطء، كان طرف حذائها يتقدم إلى ضفة النهر الطينية. قالت أليس:

- حسنًا، نحن معك.

لم تنظر لورين إليها، بل ظلت مُعلِّقةً عينها على القَدَّاحة، والمياه الجارية أسفلها. مدت يدها وأصابعها في الهواء. كانت على وشك أن تصل، لكن عندما تسببت عاصفة من الرياح في هز الفروع، رأت لورين القَدَّاحة تتمايل:

- يجب أن أقترب أكثر.

تمددت مجددًا، متحديةً قوة الجاذبية، لكنها كانت قريبة على الرغم من أن قدمها كانت تنزلق على الأرض الطينية، وبينما كانت أصابعها على وشك أن تلامس العبوة المعدنية الناعمة حدث شيءٌ ما؛ انزلقت قدمها، ففقدت توازنها، فأسندت جسدها على فروع الأغصان الضعيفة. وفجأة هوت في المياه. تمكنت من أن تزفر قبل أن تهوي أسفل المياه، وكلما ابتلعت المزيد من المياه الباردة، زاد اختناق رثتها. حاولت أن تدفع المياه بقدميها، لكنَّ حذاءها ثقيل، فلم تستطع. وفجأة، احترقت سطح المياه، محاولةً امتصاص الهواء، وقد عميت من أثر المياه.

- ساعدنني!

لم تخرج الكلمة من فمها واضحة نظرًا لأنها ابتلعت الكثير من المياه.

- ارفعي يدك.. ارفعي يدك.

سمعت لورين الصياح المكتوم خارج المياه، ورأت شخصًا واقفًا على ضفة النهر، ألقى إليها بكومة، فقبضت عليها بيديها الاثنتين، وشعرت فورًا بقطعة حركة القماش. كان ما ألقى إليها هو عمود الخيمة.

- اصمدي، سنُخرجكِ.

كافحت لورين حتى تُدخِل معصمها في حزام المقبض، وأحكمته حول يديها حتى صار مشدودًا. مرت من أمامها العبوة المعدنية يحملها تيار النهر، فحاولت الوصول إليها:

- لا أستطيع..!

فجأةً ظهرت قطعة خشب من العدم صلبة ولزجة، وأوراقها منقوعة في المياه، كانت تجري على سطح المياه، واصطدمت بجانب جمجمتها، ولم تدرك لورين أي شيء سوى أنها رأت قطعة الخشب تبتعد وتختفي في المياه دون أثر.

كانت لورين تتجمد.. ترتجف بشدة حتى إنها لم تعد قادرةً على حمل نفسها. قاومت، وفتحت عينيها. كانت مستلقية على جانبها. وعلى الرغم من أن كل شيء كان ساطعًا للغاية، فإن ضوء النهار بدا غريبًا لها عما قبل. كم مر من الوقت؟ ظننت أن بوسعها سماع صوت بكاءٍ متبوعًا بهمسات متقطعة. ثم توقف الضجيج. سمعت صوت أليس تقول:

- أنتِ مستيقظة، الحمد لله.

جيل:

- هل هي بخير؟

- أعتقد ذلك؟

- لستُ على ما يرام..

أرادت لورين أن تقول ذلك، لكنها لم تجد في نفسها القدرة. كافحت لورين لتجلس. كانت الضربات تتواصل في رأسها. ولأول مرة تختبر مثل هذا الصداع. أظفارها مكسورة ومدماة، ومكسوة بمعطف لم يكن لها. وأسفل المعطف، كانت ملابسها غارقة في المياه.

كانت بري تجلس بجانبها، وهي تضم ركبتيها إلى صدرها، وتضع منشفة حول كتفيها، وشعر رأسها مبلل، وبينهما كان هناك تجمع من القيء، لم تكن

لورين تعرف من المتسبب فيه. الشيء الوحيد الذي كانت تدركه أن مذاق فمها كان مريزًا ورطبًا.

كانت جيل وأليس تقفان أمامها، وكتاهما قد انحبس الدم في وجهيهما من الخوف. أما بيت، فكانت تقف وراءها، ترتجف من البرد، وعيناها مائلتان إلى الاحمرار. لم تكن ترتدي معطفها، فأدركت لورين أنها تجلس عليه، وتساءلت إن كان عليها أن تُعيده لها مرة أخرى، لكن أسنانها كانت تصطك من البرد، فلم تجد في نفسها القدرة على الكلام. واصلت أليس القول:

- أنتِ بخير.

فيما بدا أن صوتها تتخلله نغمة مجهشة لها.

- ماذا حدث؟

أرادت لورين أن تسأل، لكنها لم تستطع تجميع الكلمات، لكن بدا أن وجهها يعبر عن كل شيء.. قالت جيل:

- لقد سحبتك بري للخارج، كنتِ تتنفسين، لكنك تلقيتِ ضربة على رأسك. بدا الأمر للورين، وكأنه أكثر من ضربة على الرأس، إذ لم يكن في وسعها أن تحمل جسدها على الجلوس.

- هل نجحنا في إحضار القدّاحة على الأقل؟

إلا أن وجوههن أجابتها.

- وماذا عن عمود الخيمة؟

لم تجد إلا القمامة في وجوههن. قالت جيل:

- لقد ضاعت في المياه. (وأضافت سريعًا) لم يكن ذلك خطأ أيّ أحد.

فكرت لورين فورًا؛ حسنًا، لم يكن خطئي.

- ما الذي علينا فعله الآن؟

تنهدت أليس:

- من المفترض أن تكون هناك مؤن إضافية في المخيم.

حاولت أن تكون متفائلة، لكن نبرة صوتها كشفت كل شيء.

- أشك أني سأستطيع الذهاب إلى المخيم التالي.

قالت أليس بنبرة صوت قصدت أن تكون ناعمة:

- ستستطيعين، آسفة، لكننا لن يكون بوسعنا المكوث هنا دون خيمات؛
الجو سيكون باردًا للغاية.

- إذن، يمكننا أن نشعل نارًا..

كانت كل كلمة تُخرجها من فمها تحتاج إلى مجهود كبير، لكن لورين استطاعت أن ترى جيل، وهي تهز رأسها:

- أرجوكِ يا جيل، أعرف أنه ليس مسموحًا لنا أن نشعل نارًا، لكن...

- لا أتحدث عن ذلك، لكننا فقدنا القُدّاحة.

أرادت لورين أن تبكي. شعرت بالغثيان مرة أخرى، فمدّت جسدها على الأرض، إلا أن الأرض الباردة ساهمت في أن يكون الصداع الذي تشعر به أسوأ من ذي قبل. ثم شعرت بقطرة سائلة تهبط عبر صدغها، لكنها لم تعلم إن كانت خطأ من الدم أم من المياه. رفعت رأسها قليلًا بمزيد من المجهود، فرأت أليس لا تزال واقفة أمامها. قالت لورين:

- هل يوجد هاتف لطلب النجدة؟

لم تحرك أليس ساكنًا.

- هيا يا أليس، اطلبي من ينجدنا.

بدت جيل مضطربة، وهي تقول:

- لقد حاولت بالفعل، لكن لا يوجد أيُّ شبكة هنا.

تركت لورين رأسها يستلقي مرة أخرى على الأرض:

- إذن، ماذا سنفعل؟

قالت أليس أخيرًا:

- ربما يجب أن نذهب إلى تبة عالية، لنرى إن كان يمكننا أن نلتقط أيِّ إشارة.

قالت جيل:

- وهل سيُحدث هذا أيَّ فارق؟

- وما أدراني؟

ثم مرت لحظة صمت.

- عذرًا!!

فضّت أليس الخريطة، ودققت فيها. وأخيرًا، جاءت الفكرة، وعادت للحديث معهن:

- اسمعني، أنا على يقين من أن النهر الذي نقف أمامه الآن هو في جهة الشمال. ولذلك يمكننا أن نجد تبة عالية من جهة الغرب، ويبدو أنها لن تكون شديدة الانحدار. وعلى أي حال، المخيم التالي في هذا الاتجاه، وإذا وصلنا إلى تلك التبة يمكننا أن نتفقد وجود إشارة. ما رأيك؟

قالت جيل:

- هل يمكنك أن تقودي الطريق؟
- نعم، أعتقد ذلك. هذه الطريق هي الغرب، وبمجرد أن نسير عليها سيكون كل شيء واضحًا.
- هل فعلت ذلك سابقًا؟
- عدة مرات.

- وهل فعلت ذلك في مخيمات المدرسة، أم فعلته مؤخرًا؟
- في مخيمات المدرسة، لكنني أتذكر كيف كنتُ أفعل ذلك، فلم يتغير شيء منذ ذلك الحين.

- وهل كنتِ تنجحين عندما كنتِ تفعلين ذلك في مخيمات المدرسة؟
رسمت أليس على وجهها ضحكة قاتمة:
- حسنًا، لم ينته بي الأمر مية في الأدغال، ولكن إن كان لديك خطة أفضل - يا جيل - بإمكانك أن...
- لا، لا أقصد أي شيء.

أخذت جيل الخريطة من أليس، وحدّقت إليها، وبصوت محبط دفعتها للورين، وقالت:

- لقد خضتُ تلك الرحلات من قبل أيضًا. ماذا تعتقدين؟
كانت أصابع لورين مخدرة، فلم يكن بوسعها حمل الخريطة. حاولت جاهدة أن تفهم ما تنظر إليه، وكانت تشعر أن أليس تنظر نحوها. اكتشفت لورين أن هناك قمتين، لكن لم يكن بوسعها أن تعرف القمة التي كانت تقصدها أليس، فقد جعل البرد القارس التفكير بالنسبة إليها صعبًا للغاية.
قالت:

- لا أعرف، أريد أن أبقى هنا.

عضت أليس شفيتها، وقالت:

- حسنًا، لن تبقي هنا، اسمعي، نحن في حاجة إلى المساعدة، أو على أقصى تقدير الذهاب إلى المخيم. هيا يا لورين.. أعتقد أنك تفهمين ذلك.

كان الصداع يُثقل رأس لورين، ورأت أنها لا تملك الطاقة لفعل أي شيء أكثر من إيماءة.

- حسنًا، لنذهب.

قالت جيل بارتياح:

- حسنًا، كلنا موافقات على ذلك، سنأخذ المسار الذي اقترحته أليس.

حين وقفت لورين على قدميها، وشعرت أنها غير متوازنة، ذكَّرها هذا مرة أخرى بذكري سابقة تعود إلى ذلك اليوم في ماكليستر؛ إذ كانت قدماها غير متوازنتين في ذلك الوقت أيضًا، وتفتقر إلى الثقة اللازمة، لكنها شعرت بإحساس مرتبك من الراحة عندما أمسكت أليس ذراعها، بقبضة يدها الحازمة، والصلبة والثابتة:

- سأرافقك.. من هنا.

شعرت لورين المشوشة والمتردة بيد أليس الدافئة على بشرتها الباردة، وخطوة وراء أخرى، تبعت رفيقتها في تلك المنطقة غير المألوفة. والآن، عندما أعادت الخريطة مرة أخرى إلى جيل، تمنَّت لو أنها لا تشعر مرة أخرى بالغفلة، لكن على الأقل لديهن خطة في الوقت الحالي.

- دعونا ننفذ ما تقوله.

يمكنك أن تقول ما تريد عن أليس، لكن هذه المرأة تعرف بالضبط ما

تفعله.

الفصل الحادي عشر

- ما الذي قاله دانيال لأليس، وجعلها خائفة إلى هذا الحد؟ كانت كارمن تحدّق من نافذة السيارة، فيما كانت الأشجار تعبرُ بجانبهما سريعًا، والمستشفى خلفهما بأميال. لم يرد فولك مباشرة؛ كان يفكر في العديد من الأمور، ولم يكن أيُّ منها يحمل له أيِّ بشارة. قال أخيرًا:
- مهما يكن ما أخبرها به، فمن الواضح أنه شعر أنه يستحق أن يسير في الظلام بين الأدغال ليصل إليها.

قالت كارمن:

- يجب أن نجد سببًا يوضّح لنا لماذا فوّتَ الحافلة، لولا ذلك، لكان قد أبلغها، أو حذرنا إن كان الوقت مبكرًا!!
- فكر فولك فيما قاله بيلى، في اليوم السابق حين التقياه في موقف السيارات: «شأن خاص بالعائلة!». فقال:
- هل ذهب إلى مخيم النساء لأمرٍ يريد أن يحلّه مع أخته. ربما كانت أخته هي من تريد أن ترى بشكل عاجل، لا أعرف، ربما يجب علينا أن نسأله بشكل مباشر.
- بمناسبة الحديث عن الأخت، ما ظنك بالأختين؟ أعرف أن بري قد حصلت على الوظيفة الراقية في الأعلى، لكنني أراهن أن بيت لم تكن حمقاء.. أعتقد أنها تعرف شيئًا!
- هذا ما كان يدور في رأس فولك أيضًا:
- ولن أكون متفاجئًا إذا اكتشفنا أنها تفهم الوثائق التي تمر من تحت يدها أفضل مما تُظهر!

- جيد. هذا لا يُبشِّرُ بالخير بالنسبة إلينا، أليس كذلك؟ حتى إذا لاحظت الفتاة أن سلوك أليس كان غريبًا حين كانت تهبط للأسفل.
- لا أعرف، لكن بوسعي أن أرى أن بري تقلُّ من شأن أختها، وأعتقد أننا فعلنا ذلك أيضًا، لكن ربما كانت أليس هي من كانت تتعمد أن تجعل موظفة الأرشيف التي تدور حولها في الأسفل لا تفهم شيئًا!
- أو بائسة!

ظنَّ فولك ذلك، وتذكَّرُ المحادثة الأخيرة التي أجراها مع أليس: «أحضري العقود.. أحضري العقود». الضغط الذي يبدأ من أعلى إلى أسفل. قالت كارمن:

- لنفترض أن بيت تشك في أليس، هل كانت لتهتم؟ يبدو أنها في حاجة إلى الوظيفة، لكن موظفة جديدة مثلها نادرًا ما تتشجع لتمنح الشركة ولاءها الدائم، كما أنها من نوع الموظفين الدخلاء. (ثم توقفت عن الكلام) على الرغم من أن الدخلاء لا يريدون أيَّ شيء أكثر من أن يكونوا من أبناء الشركة.

- ربما لم تهتم بيت، لكن ربما أخبرت بري بذلك، وبدا على بري، وكأنها شخص يتحمل المسؤولية.

- نعم، هذا ممكن، ثمة علاقة حيوية غريبة بين الأختين!

استدار فولك بالسيارة في المنحنى الأخير الذي يُوصل إلى موقف السيارات:

- أعرف، ولا أعلم إن كانتا تحبان أم تكرهان بعضهما بعضًا.

قالت كارمن:

- ربما ينتابهما خليطٌ من المشاعر. ليس لديك أيُّ أشقاء، أليس كذلك؟
- نعم، ليس لديّ. هل لديك أشقاء؟
- نعم، الكثير. وأعتقد أن علاقة الحب والكره هي علاقة سائلة للغاية، وربما تكون أسوأ بكثير في علاقة الأختين.

توقف فولك في أول مكان رآه فارغًا في موقف السيارات، وقد لاحظ وهو يخلق باب سيارته وينظر بعينيه حوله أن شيئًا ما يبدو في غير مكانه، ولم يكن على يقين من ذلك حتى رآه، أو بشكلٍ أدقَّ لم يره.

- اللعنة!

- ماذا؟

- لقد اختفت سيارته!

- سيارة مَنْ؟ دانيال؟

نظرت كارمن حولها، ولم تجد السيارة:

- هل عاد إلى ملبورن قبل أن يجدوا أليس؟

قطب فولك حاجبيه، وقال:

- لا أعرف، من الممكن، خاصةً إذا عرف أن البحث عنها سيستغرق وقتًا طويلاً.

بدأ انهمار المطر مرة أخرى، وعندما وصلا إلى مكتب الاستقبال كان انهمار المطر قد اشتدَّ، وسقطت قطرات كثيفة على ملابسهما. على المدخل، مسح فولك حذاه، ومرَّر يده الأخرى على شعره المبلل.

- انظر مَنْ هناك!

قالت كارمن ذلك، وأومأت ناحية صالة الاستقبال. كانت جيل ببلي تجلس وحدها، ويدها كأس نسكافيه. وقعت عيناها عليهما بشيء من المفاجأة، ثم ظهر عليها الانزعاج. عند رؤيتها من قرب، ستجد آثار الكدمة على فكَّها، وقد استحال لونها إلى الأصفر القدر عند الحافات، وكان بوسع فولك أن يرى شفرتها المتورمة في مكان الإصابة. قالت جيل:

- إذا كان ما جئتما بشأنه عن الوضع الحالي، فيجب عليكما أن تتحدثا مع محاميِّ شركتنا.

- عذرًا؟

أدرك فولك متأخرًا أنه قد ارتكب خطأً بجلوسه على أريكة قديمة للغاية ورخوة، إذ كان الجلوس عليها بمنزلة صراع حتى تضع قدمك على الأرض، فما كان منه إلا أنه اتكأ بكوعه على ذراع الأريكة ليوقف جسمه عن الغرق داخلها.

- أألستما من الشركة المنظمة للرحلة؟

خرجت كلماتها فظةً قليلًا، ثم مرَّرت لسانها على شفرتها المصابة. أفصح

فولك عن نفسه وعن زميلته بالأسماء فقط:

- لا، نحن من الشرطة، نحن نساعد الرقيب كينج.

- عذراً، اعتقدتُ أنني رأيتكما البارحة مع إيان تشيس، فافترضت أنكما... لكنها لم تنه كلمتها. نظرت كارمن إليها:

- هل اتخذتم إجراءً قانونياً ضد الشركة المنظّمة للرحلة؟

أدارت جيل كأسها، فلم يتصاعد البخار من الكأس، فظناً أنها تحمله منذ فترة.

- ليست شركتنا هي من اتخذت إجراءً قانونياً، لكن شركة التأمين التي

تغطي الرحلة هي من أرسلت إليهم خطاب نيات، وليس في استطاعتي

أن ألومهم! (قلّبت النظر فيهما، ثم قالت) ومن الواضح أن ذلك منفصل

عن أيّ إجراء يمكن أن تتخذه أليس أو أيّ من عائلتها.

سأل فولك:

- هل جاءت عائلة أليس راسل إلى هنا؟

- لا، فابنتها الوحيدة تقيم مع أبيها، وقد انفصل هو وأليس منذ فترة. من

ناحيتنا، عرضنا مساعدتهما بكل ما يطلبانه، لكن من الواضح أن من

الأفضل لمارجوت أن تكون في مكان آمنٍ بدلاً من أن تفرك يديها هنا.

ثم نظرت إلى يديها، وقد لاحظ فولك أن أظفار يدها اليمنى متكسرة مثل

بري تماماً. قالت كارمن:

- هل أخوك لا يزال هنا؟ سيارته ليست في الخارج!

رشفت جيل من كأسها بعناية قبل أن تجيب. من الواضح أن شرابها كان

بارداً، كان بوسع فولك أن يعرف ذلك من تعبير وجهها.

- لا، أخشى أنكما لم تدركاه!

فولك:

- إلى أين ذهب؟

- عاد إلى ملبورن.

- لشأن خاص بالعمل؟

- لا، بل لشأن خاص بالعائلة.

- لا بد أنه أمر عاجل؛ ذلك الذي يجعله بعيداً عما يحدث هنا!

عبس وجه جيل انزعاجاً قبل أن تتمكن من إخفاء تعبير وجهها، ما جعل

فولك يشك في أنها توافقه:

- لم يتخذ القرار بسهولة!
- ألم تكوني في حاجة إلى العودة أيضًا؟
- إنه شأن خاص بعائلته المباشرة، وليست عائلتي.
- رشفت جيل رشفة من الكأس مرة أخرى، لكنها اعتقدت أن مذاقه جيد هذه المرة:

- عذراً، هلاً أعدت ما عليّ إلى أيّ جهةٍ تنتميان؟
- الشرطة الفيدرالية.
- ظننتُ أن الشرطة المحلية تتعامل مع هذا الأمر؟ لقد تحدثتُ إليها بالفعل.
- قال فولك، وهو ينظر إلى عينيها:
- إن الأمر يتعدى حدود شرطة الولاية، لذلك سنكون ممتئين إذا راجعنا معك بعض الأمور.
- صمتت جيل لفترة ثم قالت:

- بالطبع، ليتني أساعدكما بأيّ شيء!
- وضعت جيل كأس النسكافيه على طاولة جانبية بجانب هاتفها. أمسكت الهاتف، وتفقدت الشاشة الخرساء، قبل أن تُبعده مرة أخرى عنها، وهي تتنهد. قالت كارمن:

- يبدو أنه لا لزوم له هنا، أليس كذلك؟
- أعتقد أن حمل هاتف دون إشارة واحدٌ من أسوأ الأشياء التي واجهتنا في العراق بالفعل، إنه أمرٌ مثيرٌ للشفقة، أليس كذلك؟ كان سيكون من الأسهل الاستغناء عنه، على الأقل لم يكن سيمثل لنا مصدر إلهاء!
- فولك:

- هل كنتِ تعلمين أن أليس قد أخذت هاتفها معها؟
- لم أكنُ أعرف حتى الليلة الأولى، لكنني لم أكن متفاجئة تمامًا على الرغم من ذلك، فأليس تفعل هذه الأشياء.
- أشياء مثل ماذا؟
- نظرت جيل إليه:

- إنها الشخص الذي أحضر هاتفه معه في الرحلة، على الرغم من أننا نبهنا عليها أنه ممنوع.

فولك:

- وهل علمتِ بمن كانت تتصل، وأنتن في الخارج؟

- من الواضح أنها كانت تتصل بالنجدة.

- ألم تتصل بشخص آخر؟

- هذا ما لا أعلمه. كنا في حاجة إلى الحفاظ على البطارية، لكن هذا لم

يُحدث أيَّ فارق، لأننا لم نلتقط أيَّ إشارة.

قال فولك:

- على الإطلاق؟

زفرت:

- لا، يا إلهي! كنتُ غاضبة عندما اختفت ومعهما هاتفها، لأننا كنا نعتمد

عليه، حتى على الرغم من أنه لم يُفدنا، لكن يبدو أن من السخافة أن

أغضب بسبب ذلك، وأنا جالسة هنا، بل أنا سعيدة أن معها الهاتف،

وأمل أن يُفيدها.

كارمن:

- هل ستمكثين هنا طوال مدة البحث أم أنك ستعودين إلى ملبورن أيضًا؟

- لا، سأبقى حتى يجدوا أليس سليمةً كما أمل. كان دانيال يريد أن يبقى

أيضًا لكن... (مرّرت يدها على وجهها، فجفلت بعدما لمست الكدمة)

عذرًا.. هذا مجال جديد علينا كليًا. لقد كنت أعمل في الشركة مدة

29 عامًا، ولم يصادفنا مثل هذه الواقعة مطلقًا، ولم نخض مثل هذه

الرحلات اللعينة!

سأل فولك:

- هل أوقعكم هذا في مشكلات أكثر مما يستحق الأمر؟

فردت جيل بابتسامة باردة:

- حتى لو لم يوقعنا في مشكلات. شخصيًا، أفضل أن ينسجم الناس مع

الوظائف التي يعملون فيها بأجر، لكن لن يمكنك أن تقول ذلك اليوم

في هذه السن، بل إن كل ذلك يتعلق بمنهج الإدارة الشموليّ. (وهزت رأسها) لكن، يا إلهي! نحن وقعنا في كابوس لن نستفيق منه! خلفها، اهتزت النافذة الكبيرة، فنظروا جميعاً إلى الوراء، فوجدوا المطر ينهمر على الزجاج، ويُسوّهُ المنظر. قال فولك:

- كم مر على معرفتك بأليس راسل؟
- خمس سنوات، في الواقع أنا من وظّفْتُها.
- وهل هي موظفة جيدة؟
- راقب جيل جيداً عندما أجابت عن سؤاله، لكنها ردّت دون تردد:
- نعم، إنها امرأة جيدة. تعمل بجدّ، وتمنح العمل كل طاقتها.
- وهل كانت سعيدة بتلك الرحلة؟
- ليس أكثر أو أقل من أيّ شخص آخر، فأنا لا أعتقد أن تلك الرحلة كانت الخيار الأول لأيّ شخص منا لقضاء عطلة نهاية الأسبوع.

قالت كارمن:

- سمعنا أن أليس طلبت منك المغادرة بعد قضاء الليلة الأولى، لكنكِ أثْنَيْتَها عن ذلك!
- هذا صحيح، لكن للأمانة، لم يَكُنْ عليّ أن أدعها تذهب. أليس كذلك؟ إذ كان عليّ أن أعود بالمجموعة كاملة، كما يجب عليّ أن أستعد للأسئلة التي ستطرح، والتكاليف التي تكفلناها، وكان يجب علينا أن نمر بذلك في وقت آخر بالطبع، أعني، بعد فوات الأوان، كنت أتمنى بالطبع لو أنني وافقْتُها على قرارها، كان سيجنبنا ما نمر به الآن. (هزت جيل رأسها ثم تابعت كلامها) لقد أخبرتني أليس أنها مريضة، لكنني لم أصدّقها، بل إنني كنت أعتقد أن سبب رغبتها في العودة هي المناسبة التي كانت ستشترك فيها ابنتها في المدرسة، كما أنها حاولت أن تعتذر عن الرحلة قبل أسبوع من بدايتها، لكن عندما بدأنا رحلتنا شعرْتُ أنها تحمّلت الأمر مثلنا جميعاً، فلم يَكُنْ أيّ منا يريد خوض تلك الرحلة!

كارمن:

- ولا حتى أنتِ؟

- خصوصًا أنا، فقد خاض كلُّ من أليس ولورين مثل هذه الرحلات عندما كانتا في المدرسة، ويبدو أن بري ماكينزي مناسبة لخوض مثل تلك الرحلات. أما أختها، فلا أعتقد أنها كانت تستمتع بالرحلة كثيرًا.
- ثم سمعوا وقع أقدام تدخل ردهة النزل، نظروا جميعًا حيث انفتح باب الردهة، فوجدوا مجموعة من المفتشين قد عادوا، وتوجهوا مباشرة إلى المطبخ، لكن وجوههم المتعبة كانت تشي بكل شيء. قال فولك:
- كيف وقع الاختيار على خمستكن؟
- إنه اختيارٌ عشوائيٌّ من عدة مناصب وخبرات، لاكتساب وتطوير العمل الجماعيِّ في الشركة.
- وماذا عن السبب الحقيقيِّ لاختياركن؟
- ابتسمت جيل ابتسامة صغيرة:
- يختار فريق الإدارة الموظفين الذين يعتقد أنهم في حاجة إلى اكتساب بعض التطوير المهنيِّ أو الشخصيِّ من خلال هذا التحدي.
- وممَّن يتكوَّن فريق الإدارة؟ أنتِ، ودانيال؟
- لستُ في فريق الإدارة، لكن دانيال في الفريق بالطبع، ومعه رؤساء الأقسام كافة تقريبًا.
- وما الصفات التي من المفترض أن تكتسبها هذه المجموعة بانتهاء الرحلة؟
- كانت بري ماكينزي على وشك أن تحصل على ترقية، لذا فمن الطبيعيِّ أن تكون جزءًا من هذا البرنامج المتقدم. وأختها... (توقفت جيل عن الكلام) هل التقيتما ببيت؟
- أوما كلُّ من كارمن وفولك.
- حسنًا، إذن، ربما لست في حاجةٍ إلى شرح المزيد، فهي لم تكن متعاونة... للغاية. ربما اعتقد شخصٌ ما في الإدارة أن وجود أختها معها في الرحلة سيساعدها، لكنه بالغ في تقدير علاقتهما ببعضهما بعضًا. (ثم ضغطت على شفيتها) أما لورين، فحدث ولا حرج، فقد كانت تمر بمشكلات في أدائها لعملها. أدرك تمامًا أنها كانت تمر بمشكلات عائلية، لكن ذلك بدأ يؤثر في عملها.
- وماذا عن أليس؟

مرت فترة صمت.

- لقد قُدِّمَت شكوى ضدها.

- بشأن ماذا؟

- هل من المناسب أن أقول هذا؟

فولك:

- لا أعرف، لكنها لا تزال مفقودة، لذا أظن أنه من الواجب أن تقولي.

زفرت جيل:

- من الناحية العملية، بسبب التنمر، لكن الأمر لم يتعدَّ تبادل بعض

الكلمات، إذ يمكن لأليس أن تكون فظةً في بعض الأوقات، وأريد أن ألفت

نظركما أن هذا أمرٌ سرِّيٌّ للغاية، لأن المرأة الأخرى لا تعرف بشأن ذلك.

كارمن:

- وهل كان لهذه الشكوى أيُّ وجهة؟

- من الصعب قول ذلك. كانت المشكلة تخص أحد مساعدي الإدارة، لذا

يمكن أن يكون صراعاً شخصياً أكثر من أيِّ شيء آخر، لكن... (توقفت)

لم تكن تلك هي المرة الأولى، فقد حدثت مشكلة مماثلة قبل عامين،

ولم تُفصِّ إلى شيء، لكن الإدارة شعرت أن أليس يمكن أن تستفيد من

العمل الجماعيِّ المكثف في هذه الرحلة. وهذا سبب آخر يفسر لماذا

رفضت طلبها بشأن المغادرة.

فكر فولك في ذلك، وقال:

- وماذا عنك؟ لماذا اختارتكِ الإدارة لخوض تلك الرحلة؟

- في آخر اجتماع لمجلس الإدارة اتفقنا على أن يتولى كل شخص منا

مسؤولية شيء ما كل سنة، لكن إذا كنتِ تبحث عن سبب أعمق من ذلك،

فعليك توجيه هذا السؤال إلى بقية الأعضاء.

- وهل هذا سبب خوض أخيك دانيال لهذه الرحلة أيضاً؟

- دانيال يستمتع بهذه الرحلات بالفعل، صدِّق أو لا تصدِّق، لكنه على

حق. من المهم للشركة أن يرانا الناس منخرطين في النشاطات معاً.

فولك:

- وتلوّثين يدك؟! -

لم ترمش جيل:

- أفترض ذلك.

سمعوا ضجة عالية صادرة من الردهة، حيث انفتح الباب، وسمعوا صوت أقدام، ثم أغلق شخصٌ ما الباب بعنف. قالت كارمن:

- أعتقد أنه سيكون عليك الكثير من الالتزامات عند العمل في شركة عائلية، لا يمكنك أن تتجنبي أي شيء. لقد قال أخوك شيئاً مشابهاً لذلك.

- هل قال ذلك؟ حسناً، هذا صحيح كلياً. لقد كانت درجتي الجامعية الأولى في الأدب الإنجليزي، وتاريخ الفن. كنتُ أريد أن أكون أستاذة في الإنسانيات.

- وماذا حدث؟

- لم يحدث شيء. كانت عائلتي تملك شركة، وأعضاء العائلة يتوقعون منك أن تعلمي معهم في الشركة. نحن لا نختلف في هذا الموضوع

عن أيّ عائلة تعمل في الزراعة، أو عن أيّ زوجين يعملان في متجرهما لرعاية أطفالهما، فعند العمل في شركة عائلية تحتاجين إلى أشخاص

تثقين بهم. أنا أعلم هنا، ودانيال يعمل هناك، ولا يزال أبونا يعمل في الشركة. ومن المفترض أن يعمل جول ابن دانيال في الشركة أيضاً بعد

الانتهاء من الجامعة.

فولك:

- وماذا عنك؟ هل لديك أطفال؟

- نعم، هما كبار الآن. (وتوقفت عن الكلام هنيهةً ثم تابعت) لكنهما استثناء، فلم يرغباً قط، ولم يكن لديهما أيّ اهتمام بالدخول في مجال

عمل الشركة، ولن أجبرهما على شيء لا يرغبان فيه. لم يكن أبي سعيداً، لكن لا يزال لديه بقية العائلة، لذا أعتقد أن تلك صفقة رابحة.

هداً فولك من ملامحه قليلاً عندما قالت جيل:

- طفلاي سيصبحان مُعلّمين.

كارمن:

- لا بد أن تكوني فخورة بهما.

- شكراً، أنا فخورة بالفعل.

نظر فولك إليها:

- إذا عُدنا للكلام عن الرحلة، لقد جاء أخوك ومجموعة الرجال إلى مخيمكُن في الليلة الأولى. هل لديكِ فكرة أنهم كانوا يخططون لفعل ذلك؟ هزت جيل رأسها:

- لا، وَلَكُنْتُ أَخْبَرْتُ دانيال ألا يفعل ذلك، لو كُنْتُ أعرف! لقد كان أمرًا غير ضروريٍّ. لم أَكُنْ أريد أن تشعر الأخريات بأن الرجال قد جاؤوا للاطمئنان علينا.

- وخاض أخوك محادثة مع أليس في تلك الليلة.

- لقد كنا عشرة أشخاص فقط، وأعتقد أننا تحدثنا مع بعضنا جميعًا.

فولك:

- لكن يبدو أنه قد تحدّث إليها على انفراد.

- هذا أمر مسموح به، ما المشكلة؟!

- هل تعرفين فحوى المحادثة التي جرت بينهما؟

- لستُ متأكدة، يمكنكما أن تسألاه!

كارمن:

- أردنا ذلك، لكنه غادر المكان.

لم تقل جيل شيئًا، لكن طرف لسانها لامَسَ القطعَ الموجود في شفتها مجددًا. قالت كارمن:

- لكنكِ لم تلاحظي أن أليس بدت غاضبة بشكل خاص أو مترددة بعدما خاضا هذه المحادثة؟

- بالطبع لا، لماذا تنتابها مثل تلك المشاعر؟!

- لأنها طلبت منكِ مغادرة المكان مرتين على الأقل.

- حسنًا، كما قلتُ من قبل، إذا سمحتِ لأيِّ شخص أن يغادر كما يحلو له، فلن يتبقى أيُّ منا!

- نحن ندرك أن تلك المحادثة هي التي خلقت بعض التوتر بينكما.

- من أخبرك بهذا؟ لقد كان الجميع متوترين، ونحن في العراء، لقد كنا نمر بموقف صعب للغاية.

التقطت جيل كأس النسكافية البارد من الطاولة، وحملته بيدها، لكن لم يتبين فولك إن كانت يدها تهتز أم لا.

- كيف أُصِبتِ بتلك الإصابة في فِئِك؟ يبدو أنها إصابة سيئة للغاية!
وضعت جيل كأس التي كانت تحملها بيدها على الطاولة بعنفٍ جعل السائل يفيض على جانبي كأس:

- بالله عليك! ما الذي يعنيه هذا السؤال؟!
- لا يعني شيئاً، إنه مجرد سؤال!
نظرت جيل إليهما ثم زفرت، وقالت:
- لقد كانت مجرد حادثة. حدثت في الليلة الأخيرة في الكابينة عندما كنت أفضل مناقشة غبية.

فولك:

- أي نوع من المناقشات؟
- الكثير من الضجيج دون طحن. لقد أخبرت شرطة الولاية بهذا. إن الإحباط والخوف تمكنا منا، وأخرجنا أسوأ ما فينا. كنا نتدافع، ونشد شعر بعضنا بعضاً لثوانٍ على الأكثر. بعض الأعمال الصبانية التي انتهت بمجرد أن بدأت!
- لا يبدو الأمر كذلك!
- لم أكن محظوظة، كنتُ أقف في المكان الخطأ، وتلقيتُ صفة ثقيلة، لكن لم تكن مقصودة.

راقبها فولك بحذر حين سألها:

- ومَن كان يتشاجر؟ هل كانت المشاجرة بينكن جميعاً؟
بدا على وجه جيل المتورم المفاجأة:

- يا إلهي! بالطبع لا، لقد كانت بين أليس وبيث. لقد كنا نشعر بالبرد القارس، وكنا جوعى، وكانت أليس تهدد بالمغادرة، ومن هنا تصاعدت الأمور. لُمتُ نفسي؛ كان يجب عليّ أن أرى أن تلك المشكلات قادمة. الاثنان لم تنسجما مع بعضهما قط!

اليوم الثاني: ظهيرة يوم الجمعة

كانت أسنان جيل تصطكُ في أثناء المسير. لقد بدلت ملابس أخرى جافة بملابسها عندما كانت عند النهر. لقد بدلن ملابسهن جميعاً؛ إذ أدرنَ ظهورهن لبعضهن فيما كُنَّ عارياتٍ ينتفضنَ من البرد، فقط ليُجِدْنَ أن المطر سينهمر مرة أخرى بعد عشرين دقيقة لاحقة. كانت جيل لتُحِبَّ أن تسير بسرعة أكبر قليلاً لتدْفئَ نفسها، لكنها كانت ترى أن لورين لا تزال غير قادرة على حمل ساقيها، كما أن اللاصقة الطبية تنسلخ عن جبهتها كاشفةً عن جرحٍ دامٍ.

كانت أليس في مقدمة المسيرة تحمل الخريطة في يدها. أما بري، فكانت قد يئست من الوضع منذ أن كُنَّ عند ضفة النهر، ولم تُعد تنطق بكلمة. وكالعادة، كانت بيت في مؤخرة الصف. ظنت جيل أن الأمر غريب، فكم مرة بدت الأدغال شبيهةً ببعضها بعضاً؟! لقد رأت بعض الأشياء مرتين؛ رأت هذا الجذع من قبل، ورأت تلك الشجرة الهاوية أيضاً، وكانت على يقين من ذلك. بدا الأمر بالنسبة إليها، كما لو أنها تسير في مسيرة متواصلة من ظاهرة الديجافو. نقلت حقيبتها بين كتفيها، كانت الحقيقية دون أعمدة الخيمة أخفَّ، لكن فقدان تلك الأعمدة كان يُثقل رأسها بالهَمِّ. قالت جيل حين وقفت لتتفادى الطين في الطريق:

- هل لا تزال نسير في الطريق الصحيحة؟

تطلَّعت أليس إلى البوصلة، ثم نظرت إلى الناحية الأخرى، ونظرت إلى البوصلة ثانيةً. قالت جيل مرة أخرى:

- هل نحن على الطريق الصحيحة؟

- نعم، نحن على الطريق الصحيحة، لقد بدا الأمر غريباً بالنسبة إليك، لأن الطريق قد أخذت منحى في الخطوات السابقة، لكننا بخير.

- ظننتُ أننا في طريقنا لتبَّة عالية.

كانت الأرض أسفلهن مكسوة بالعشب، إلا أن الطريق كانت مستوية للغاية. جاء صوت من الخلف:

- علينا أن نتفقَّد البوصلة بشكلٍ أكثر انتظاماً يا أليس...

وضغطت لورين على اللاصقة الطبية الملصوقة على جبهتها.

- لقد فعلتُ ذلك للتو، ولقد رأيتني أفعل ذلك!

- لكن يجب عليكِ تفقُّدها أكثر من ذلك!

- أعرف ذلك، شكراً لكِ يا لورين، تذكّري أن بإمكانك أن تتقدّمي وتتولي مهمة قيادة الطريق في أيّ وقت إذا أردتِ ذلك.

وحملت أليس البوصلة على يدها المسطّحة، كما لو أنها تُقدّم لها هذا العرض. ترددت لورين، ثم هزت رأسها. قالت أليس:

- لنواصل طريقنا، سنبدأ صعود التبة قريباً.

واصلن طريقهن، لكن الأرض لا تزال مسطّحة. كانت جيل على وشك أن تسأل متى ستتحقق كلمة «قريباً»، التي كانت أليس تكررهما، عندما لاحظت بصعوبة في مشيتها. بدأن الصعود ببطء، لكن كان من الواضح أنهن ييسرن على منحدر، وشعرت أنها ستبكي من الفرحة، الحمد لله! إذا صادفهن الحظ، ووجدن أيّ إشارة هاتف في الأعلى، سيكون بوسعهن أن يتصلن بأيّ شخص. سيكون بوسعهن أن يضعن حدًا لكل هذه الفوضى. بدأت ملامح خوفها تتشكل عندما كانت عند ضفة النهر، بطريقة كانت قد شعرت بها مرتين أو ثلاثاً في حياتها.

استدراك: «هذا الفعل يجانب الصواب!». تذكّرت حادثة السيارة التي وقعت لها عندما كانت في التاسعة عشرة من عمرها؛ إذ رأت عين السائق في السيارة الأخرى تتسع من الفزع، فيما كانت سيارتهما ترتطمان ببعضهما في حادثة رهيبه. وفي استدراكٍ آخر، بعد ثلاث سنوات، في حفل رأس السنة الثاني لها في مكتبها، شربت الكثير من الخمر، وبادلت شخصاً غير مناسب الكثير من الغزل، وتمشياً إلى البيت بطريقة كادت تنتهي إلى كارثة.

ثم تذكّرت ذلك اليوم المميز عندما رحّب أبوها بها وبأخيها دانيال في مكتبه الخاص (المكتب الملتحق بالمنزل، وليس مكتب العمل)، وشرح بالتفصيل كيف يسير عمل شركة العائلة. لم توافق جيل على العرض، لكنها كانت في بعض الأحيان تفكر فيه مرة أخرى في السنوات التي تلت ذلك. أما دانيال، فقد وافق على الفور، لكنها كانت متمسكة بقرارها لقرابة 18 شهراً، والتحقت بدورة تدريب المعلمين، وكانت تعتذر عن التجمعات العائلية.

كانت تعتقد أن قرارها قد قُبِلَ، لكنها لم تعلم إلا متأخراً أنها كانت تُمنح الوقت اللازم للسير بخطوات وثيدة نحو مصيرها المحتوم، لكن ما الذي حدث ليسرّع

وتيرة الأحداث، ولم تسأل عن السبب قط، لأنها استدعيت مرة أخرى بعد 18 شهرًا إلى مكتب والدها، وكانت وحدها هذه المرة. وعندما جلست قال لها والدها:

- الشركة في حاجة إليك.. أنا في حاجة إليك.

- لديك دانيال!

- وهو يبذل قصارى جهده، لكن...

نظر إليها والدها -الذي كان الأكثر محبة وثقة في العالم بالنسبة إليها-، ومنحها ابتسامة مع هزة صغيرة من رأسه.

- إذن.. توقّف.

- لا نستطيع!

لقد قال: «نحن»، بكل وضوح، ولم يقل: «أنا».

- بوسعك فعل ذلك.

- جيل... (أمسك يدها، ووضعها بين يديه، لكنها لم ترَ هذه الدرجة من الحزن في عينيه من قبل) لا نستطيع.

شعرت، وكأن الدموع تحرق مؤخرة حلقها عندما رأت أباهما في ذلك الوضع. بالنسبة إليه، كان مجرد معروف صغير فعله للشخص الخطأ، ففتح عليه هذا الباب السحريّ أبواب جهنم. وقد وجد نفسه يردُّ هذا الدَيْن بجشع الأموال التي ظل يسدّها لعشرات السنين، ولعدد لا يحصى من المرات. وبالنسبة إليها، لم تنتهِ جيل من دورة تدريب المعلمين قط، وتحوّل رفضها إلى موافقة لا بد منها على العمل في شركة العائلة، لكن على الأقل ولفترة كبيرة بعد ذلك، كانت تُدكّر نفسها في السنوات التي تلت أنها كانت ترفض العمل في الشركة في البداية. والآن، مع علّة رثتها وألم ساقها، حاولت أن تركز على المهمة المُلحّة التي أمامها، إذ كانت كل خطوة للأمام هي خطوة تجاه المكان الذي عليهن الذهاب إليه. كانت تنظر إلى أليس من الخلف، وهي تقود الطريق.

منذ خمس سنوات، كانت جيل هي المدير الماليّ للشركة، وكانت أليس مرشحة للعمل هناك، وفي طريقها للجولة الثالثة من مقابلة العمل. كانت أليس تنافس مرشحًا وحيدًا آخر؛ رجلًا له مؤهلات مشابهة لها، لكن من الواضح أن له خبرة مباشرة أكبر. وفي نهاية المقابلة، نظرت أليس إلى اللجنة التي كانت تُجري المقابلة، كُلُّ على حدة، وقالت إنها على استعداد أن تقبل

هذه الوظيفة، بشرط زيادة الراتب المقدم بنسبة 4%. ابتمت جيل لنفسها، وطلبت منهم أن يوظفوها، ويوافقوا على شرطها.

توقفت أليس عندما وجدت منحني على الطريق، وتفقدت الخريطة، وانتظرت جيل حتى تلحق بها. أما الأخريات، فكنن متعثرات في الخلف. قالت أليس:

- من المفترض أن نكون على القمة قريبًا، هل تؤيد أن نأخذ استراحة قصيرة؟

هزت جيل رأسها؛ إذ كانت ذكرى الأمس التي قضين فيها ليلة مظلمة لا تزال تحوم في رأسها. اليوم يمضي، ولم يكن بوسعها أن تتذكر وقت غروب الشمس، لكنها كانت تعلم أن الشمس ستغرب مبكرًا، لذا نبهتها:

- لنكمل مسيرتنا ونور الشمس في السماء. هل تفقدت البوصلة؟
أخرجتها أليس، وتفقدتها.

- هل كل شيء على ما يرام؟

- نعم، الطريق تنحني قليلًا، لذا فإن سلامتنا تعتمد على الطريق التي سنسير فيها، لكننا لا نزال على الطريق الصحيحة.

- حسنًا، لنواصل إن كنت متأكدة؟

تفقدت البوصلة مرة أخرى، ثم قالت:

- نعم، متأكدة.

فواصلن طريقهن. لم تندم جيل على قرارها بتعيين أليس، ولم تندم أيضًا على نسبة الزيادة التي طلبتها في الراتب، فقد أثبتت أليس نفسها مع السنين، وكانت تستحق المزيد. كانت ذكية وتتطور بمعدل أسرع من الجميع، وتدرك الأمور من حولها كافة؛ أمورًا تتعلق بتوقيت الاعتراض، وتوقيت تهدئة لهجتها، وقد كان ذلك أمرًا مهمًا عند العمل في شركة عائلية. كما حدث مع ابن أخي جيل؛ جول ذي السبعة عشر عامًا، الذي كان يُشبه أباه كثيرًا عندما كان في مثل عمره، عندما نظر إلى الناحية الأخرى تجاه الطاولة التي كانت تجلس حولها ابنة أليس الجميلة بتجهم، فقد تبادل جيل وأليس نظرة ذات مغزى. كانت جيل تعتقد في بعض المرات أن بوسعها أن تكون صديقة لأليس في مكان وزمان مختلفين. وفي مرات أخرى كانت تعتقد أن ذلك لن يفلح؛ إذ كانت صداقة أليس أشبه بامتلاك سلالة كلاب عدوانية، فهي مخصصة عندما يناسبها ذلك، لكنك طوال الوقت يجب أن تحذر منها.

- هل اقتربنا؟

سمعت جيل صوت لورين خلفها. كانت اللاصقة الطبية على جبهتها تنسلخ مرة أخرى، فخلَّفت خطأً من الدم المخلوط بمياه المطر الذي سقط من صدغها إلى وجنتها، واستقر عند زاوية فمها.

- أعتقد أننا اقتربنا من الوصول إلى القمة.

- هل لدينا أيُّ ماء؟

أمسكت جيل زجاجتها، ومرَّرتها للورين التي شربت جرعة كبيرة منها في أثناء سيرها. مرَّرت لورين لسانها على زاوية فمها، فامتعضت عندما شعرت بالدم، فسكبت بعض الماء في راحة يدها، فتناثرت قطرات من المياه على الأرض، وغسلت فمها.

- ربما يجب علينا أن...

بدأت جيل بقول شيءٍ عندما كرَّرت لورين غسَلَ فمها، لكنها لم تُكمل حديثها.

- ما الذي يجب علينا؟

- لا شيء، إنه أمرٌ غير مهم.

كانت على وشك أن تقول إننا يجب أن نحفظ بالمياه، لكن لم يكن هناك حاجة إلى ذلك، إذ كان هناك المزيد من المؤن في المخيم التالي، ولم تكن جيل على استعداد أن تعترف بأنهن سيقضين الليلة في مكان آخر. كانت الطريق تتصاعد بانتظامٍ أكثرِ جدَّة، وكان بوسع جيل أن تسمع صوت أنفاس من حولها. على يمينهن ظلت الأرض تنحدر بزاوية حادة حتى صارت هضبة، ثم وصلن إلى منحدر. ظلت عينا جيل متعلقتين بالطريق، وهي تدفع قدمًا تلو أخرى. ولقد نسيت كيف استطعن أن يتسلقن كل تلك المسافة عندما استوت الأرض من تحتهن دون أيِّ إشارة!

اختفت أشجار الصمغ، وبتنَّ وجهًا لوجه أمام مشهد بديع من التلال، والوديان التي تتمدد أسفلهن في الأفق دون نهاية. وقد تجمَّعت السحب، وتجمَّعت كموجات متسلسلة. لقد وصلن إلى القمة، وقد كان مشهدًا يحبس الأنفاس. أَلقت جيل حقيبتها على الأرض، ووقفت النساء الخمس بجانب بعضهن، وأيديهن على وسطهن، وأقدامهن تؤلمهن، يلتقطن أنفاسهن، لأنهن نجونَ من مصير سيئ.

- هذا لا يُصَدِّق!

وفي اللحظة المناسبة انقشعت السحب، كاشفةً وراءها عن شمسٍ معلّقةٍ على مسافة قريبة في السماء، فنثرت نورها على أشجار الغابة، وغمرتها بوهج لامع. طرفت عينا جيل عندما نشرت الشمس نورها، وكان بوسعها أن تتخيل الشعور بالحرارة على وجهها. ولأول مرة في هذا اليوم، شعرت أن الهمّ الذي يُثقلها قد انطرح عن رأسها.

أخرجت أليس هاتفها من جيبتها، ونظرت إلى الشاشة. كانت عابسة، لكن جيل قالت لنفسها إن كل شيء على ما يرام، حتى إذا لم يلتقط الهاتف إشارة، سيكون كل شيء على ما يرام. سيصلن إلى المخيم التالي، وسيدفئن أنفسهن، وسيجدن طريقةً لصنع ملجأً لهن. سيخلدن للنوم، وكل شيء سيبدو في أحسن حال في الصباح. سمعت جيل كُحَّةً جافة وراءها. قالت بيث:

- آسفة، لكن لا بد أن أسأل مرة أخرى، في أيّ طريق نسير؟

نظرت جيل:

- إلى الغرب.

- هل أنتِ على يقين من ذلك؟

استدارت جيل صوب أليس:

- نعم، تجاه المخيم، هذا صحيح، أليس كذلك؟ أنسير تجاه الغرب؟

- نعم، إلى الغرب.

قالت بيث:

- إذن، نحن كنا نسير تجاه الغرب طوال الطريق منذ أن تركنا النهر؟

لم ترفع أليس عينيها عن الهاتف:

- يا إلهي! نعم، قلت هذا هو ما فعلناه!

- إذن... (توقفت، ثم تابعت حديثها) عذراً، أنا أسأل فقط، إذا كانت هذه

الطريق إلى الغرب، لماذا إذن تغرب الشمس تجاه الجنوب؟

استدارت كل الوجوه في الوقت نفسه إلى الشمس لتراها تهبط درجة

أخرى خلف الأشجار. ظنت جيل أن هذا عيب آخر في شخصية أليس، ففي

بعض الأحيان بوسعها أن تُشعرك بالغدرا!

الفصل الثاني عشر

كانت الشمس على وشك المغيب عندما انتهى فولك وكارمن من حديثهما مع جيل في ردهة النزل، وتركاها وحيدة مع أفكارها. ثم عادا مرة أخرى إلى غرفتهما تحاوطهما أصداء المساء. تفقدت كارمن ساعة يدها فيما كان شعرها يتطاير من الرياح:

- تغيب الشمس مبكرًا هنا، أظن أن الأشجار تحجب الضوء.

كان بوسعهما أن يريا حافلة صغيرة تقف خارج النزل، يهبط منها المفتشون المتعبون. كانت أنفاسهم تشكل سُحبًا في الهواء. واستنادًا إلى وجوههم، لم تكن هناك أخبار جيدة. السماء صافية في الوقت الحالي، ومن الواضح أن المروحية قد استقرت في قاعدتها، فالأمل يتلاشى بنهاية اليوم. وصل فولك وكارمن إلى باب غرفتيهما، وتوقفًا. تمطت كارمن، فسمع فولك طقطقة مفاصلها، فقد مرًا بيومين مرهقين:

- سأستحم، وأدفي نفسي قليلًا، نلتقي على العشاء، في غضون ساعة.

لَوَّحت له بيدها، واختفت بالداخل، ففتح فولك باب غرفته، وأشعل الأضواء. وعبر الجدران، كان بوسعه أن يسمع صوت انهيار المطر. جلس على السرير، وراجع المحادثة التي خاضها مع جيل بيلي، وأدرك أنها تنعم بيقظة لم تكن لدى أخيها، ما جعله غير مستريح لها.

أدخل يده في حقيبته، وأخرج ملف الأوراق الذي يحتوي على ملاحظات حول أليس راسل. كان يمر بعينه على الأوراق بسرعة، فقد كان يعرف بالفعل ما بداخله جيدًا. في البداية، لم يكن يعرف ما يبحث عنه، لكن ما كان يبحث عنه بدا واضحًا له بعد عدة صفحات، فقد أدرك أنه كان يبحث عما يخفف الذنب.. عن أيِّ إشارة تؤكد له أن اختفاء أليس راسل لا علاقة له به، وأنه هو وكارمن لم يحاصراها لتكون في موقف صعب يجبرها على ارتكاب أيِّ

أخطاء. كان يبحث عن أي شيء يُثبت له أنهما لم يرتكبا بنفسهما أيّ أخطاء، وأنهما لم يضعا أليس في موقف خطير يؤذيها.

زفر فولك، واستلقى على سريره. وحين وصل إلى نهاية ملف أليس، عاد مرة أخرى إلى بداية الملف ليتفقد كشف حسابها المصرفي. كانت قد أعطته كشف الحساب على مضمض، وكالعادة، كان فولك يعرف كل ما جاء فيه، ووجد ما يُطمئن في الطريقة التي كانت تظهر بها الأرقام أمامه، وانتظام تواريخ السحب صفحة بعد أخرى، وتوثيق السحب اليومي الذي جعل عالم أليس أميليا راسل مستقرًا.

مرّر فولك عينيه على الأرقام، فوجد الكشوفات شهرية، وكان أن آخر دخل منذ 12 شهرًا، وآخر بيان يوم الثلاثاء، في اليوم الذي بدأت فيه أليس ومجموعتها رحلتهم. أنفقت 4 دولارات في متجر المستلزمات السريعة، وكانت تلك هي المرة الأخيرة التي استخدم فيها حسابها. فحص فولك الإيرادات والمصروفات، محاولًا أن يستزيد من المعلومات التي لديه عنها. ولاحظ أنها كانت تنفق عدة آلاف من الدولارات في متجر ديفيد جونز قبل أسبوعين من نهاية كل فصل لأربع مرات في العام، وأنها قد استأجرت عاملة تنظيف، ودفعت لها قدرًا من المال أقل بكثير من الحد الأدنى لأجر عاملي التنظيف بشكلٍ يُثير الشبهة.

دائمًا ما يجد فولك الإثارة فيما يعتبره الناس أمرًا ذا قيمة، لكنه زفر فجأة حين اكتشف لأول مرة رقمًا من خمسة أرقام تغاضت عنه أليس، وأنفقته لتُمكن ابنتها من متابعة دراستها في مدرسة إنديفور للبنات، وبدا له أن إنفاق الأموال على الدراسة الأكاديمية الفاخرة لم ينته بدفع المصاريف فقط، فقد لاحظ لتوه أن أليس كانت قد أرسلت تبرعات كبيرة للمدرسة قبل ستة أشهر. حين باتت الأرقام ضبابية قليلًا بالنسبة إليه، أغلق فولك الملف، وفرك عينيه. ذهب إلى النافذة، وتطلّع إلى الأدغال ليُزيح الأثقال عن رأسه. لا يزال أول طريق شلالات ميرور ظاهرًا في الغسق. وبطرف عينه، كان بوسعه أن يرى خرائط والده على الطاولة الجانبية. تفقد الكومة، وأخرج الخريطة التي تخص جيرالانج، وفتحها على طريق شلالات ميرور. لم يتفاجأ فولك عندما رأى أن بداية الطريق في شكلٍ دائريّ، فقد عرف أن والده قد جاء إلى المكان

من قبل، وأن هذه الطريق من أشهر الطرق في هذه المنطقة، لكنه نظر إلى الخريطة وُدْهِشَ، إذ متى استطاع والده أن يطبع هذه العلامة بكف يده، في بيته، وهو جالس في المطبخ، أو ربما وهو واقف في الطريق ذاتها، على بُعد 200 متر، وعشر سنوات من حيث يقف فولك الآن؟

دون أن يفكر، ارتدى فولك سُترته، ودفع الخريطة في جيبه. ارتعش من البرد، لكنه أحضر المصباح أيضًا، وعبر جدران الغرفة، كان لا يزال يسمع صوت انهمار المطر. حسنًا.. كان يريد أن يفعل ذلك دون أن يفسّر. لقد أغلق باب الغرفة وراءه، وسار على الطريق التي تُفضي إلى موقف السيارات، ومنها إلى بداية طريق شلالات ميرور. وخلفه، كان النزل يتوهج.

توقف عند مدخل الطريق ليحاول استيعاب محيطه، إذا كان إريك فولك قد سار على هذه الطريق، فمن الممكن أن يكون وقف على تلك النقطة ذاتها من قبل. حاول فولك تخيل ما كان بوسع أبيه أن يراه. كان عُمر الأشجار من حوله يعود إلى عشرات السنين، وظن أن من الممكن أن تكون رؤاهم بشأن هذا المكان متشابهة للغاية.

سار في الطريق. في البداية كان يسمع صوت أنفاسه فقط، إلا أن أصدااء المساء قد بدأت تتصاعد من حوله، وتصبح أكثر وضوحًا. أما صف الأشجار الذي منحه شعورًا برهاب الأماكن المغلقة، قد جعله تحت الحصار. كانت يداه في جيبه تؤلمانه، لكنه تجاهل ذلك، فقد كان يعرف أنها مجرد أعراض عصبية. قال لنفسه، وهو يسير: «إن المطر على وشك أن ينهمر، ولا توجد طريقة لإشعال النار في الخارج!»، كرر ذلك على وقع أنفاسه حتى شعر بقليل من التحسن.

تساءل فولك عن عدد المرات التي سار فيها والده على هذه الطريق. واستنادًا إلى العلامات التي وُضعت على الخريطة ظن أنها مرتان على الأقل، بعيدًا عن المدينة التي كان يكرهها، ووحيدًا، لأن ابنه قد رفض الذهاب معه. على الرغم من أن فولك كان يشك بحق في أن والده ربما يستمتع بالعزلة، فإن هذه كانت هي الطريقة الوحيدة على الأقل التي تُثبت أنهما من صلب واحد.

سمع فولك حركة بعيدة في الأدغال، فقفز إثرها ضاحكًا قليلًا من ارتفاع ضربات قلبه. هل كان أبوه يخشى كل ما قيل عن تاريخ كوفاك؟ كان من

السهل الشعور بالانعزال هنا، كما أن السمعة السيئة التي طالت كوفاك كانت لا تزال في أوجها في الذاكرة الجمعية في ذلك الوقت، لكن فولك شك في أن ذلك كان من الممكن أن يُربك والده كثيرًا، فدائمًا ما كان أبوه رجلًا عمليًا، وكان يشعر براحة حول الأشجار والدروب، والمساحات الفارغة، أكثر مما كان يشعر بها والناس حوله.

شعر فولك أن عدة قطرات من المطر نزلت على وجهه، فأغلق سحابة سترته. وفي مكان ما على مسافة منه، كان بوسعه أن يسمع دويًا، لكنه لم يكن متأكدًا ما إذا كان الصوت يرجع إلى الرعد أم إلى الشلالات. عليه أن يعود أدراجه. لم يكن يعلم حتى ما الذي يفعله هنا في الخارج، وحيثًا في الظلام. لقد كانت تلك هي المرة الثانية له في هذه الطريق، ولم يخرج بأي شيء، لكن المنظر أمامه يبدو أنه يتغير ويتحول حين لا يكون المرء معتادًا عليه. كان بوسعه أن يذهب إلى أي مكان، لكنه استدار، وسار مرة أخرى في طريق النزل.

كان قد مشى خطوتين فقط، حين وقف، وهو يرتعد خوفًا. كان يسمع بوضوح، لكنه لم يسمع شيئًا غير الرياح، وأصوات وقع أقدام الحيوانات، إذ كانت الطريق خالية في الجهتين. كم يبعد هو عن أقرب شخص له؟ يعرف أنه لم يسر كثيرًا، لكنه شعر أنه الشخص الوحيد على بعد أميال من أي شخص آخر. وقف في كامل وعيه، يدور بعينه، ويصيخ السمع. ثم سمع الصوت نفسه مرة أخرى.

سمع وقع أقدام. كانت الخطى خفيفة إلا أن بدنه قشعر. دار حول نفسه محاولًا أن يعرف من أي اتجاه يأتي الصوت. لمح ضوءًا يخرج عبر صف الأشجار قبل أن يلتف الضوء حول منعطف، ومض مباشرة في عينيه. سمع شهيقًا، وصوت شيء يرتطم على الأرض. كان الظلام يحجب عنه الرؤية، فتحسس جيبه بحثًا عن مصباحه، أصابعه باردة وغليظة من أثر هذا التحول المفاجئ. أشعل المصباح، فألقى الشعاع بظلاله المشوهة. كانت الأدغال معلقة على كلا الجانبين كستارة سوداء، وفي منتصف الطريق، كان لقليل من الضوء أثره في أن يعرف فولك الشخص الذي أمامه.

قال فولك عندما اتضحت الرؤية له:

- شرطة.. (وأبرز بطاقته، ثم قال) هل أنتِ بخير، لم أقصد أن أخيفكِ!
لم تكن السيدة واثقة من محدثها، لكنه استطاع أن يعرفها من الصور..
إنها لورين. كانت ترتجف عندما انحنت لتلتقط المصباح عندما تقدم فولك
منها، كان بوسعه أن يرى القَطْع البغيض على جبهتها. لقد التأم الجرح
مؤقتًا، لكن مكانه لا يزال متورمًا، خاصةً مع بشرة لورين المتوهجة بفعل
الضوء. تطلعت لورين إلى البطاقة، وقالت له بصوتٍ حذر:

- هل أنت مع الشرطة؟

- نعم، أنا أساعد في البحث عن أليس راسل، أنتِ لورين شو، أليس كذلك؟
خُصتِ الرحلة مع مجموعة شركة بيلي تينانتس.

- نعم، لقد اعتقدتُ... (أخذت نفسًا عميقًا) للحظة أنني عندما رأيتُ
شخصًا على الطريق أنه يمكن أن يكون أليس، إنه غباء مني!

لقد ظن فولك لجزء من الثانية ما اعتقدته هي بالضبط:

- آسف لو أزعجتكِ، هل أنتِ بخير؟

- نعم..

لكنها كانت لا تزال تتنفس بصعوبة، وكتفاها النحيفتان لا تزالان ترتفعان،
وتهيطان تحت سُترتها. لقد صُدِمت! قال فولك:

- ما الذي تفعلينه هنا في الظلام؟

على الرغم من أنها كان يحق لها أن تسأله نفس السؤال، فإن لورين هزت
رأسها. من الواضح أنها في الخارج منذ فترة، لأن فولك كان يشعر بالبرد
يخرج من ملابسها.

- لا شيء محدد. لقد خرجت لرؤية الشلالات خلال اليوم، وأردتُ العودة
مبكرًا، لكن الظلام يُعْمُ مبكرًا هنا.

تذكّر فولك الظل الذي رآه يغادر المكان أمس:

- أين كنتِ ليلة أمس؟

أومأت:

- أعرف أن ما أقوله سيبدو سخيفًا، لكنني أعتقد أن أليس ربما يمكنها أن
تجد طريقها إلى بداية الطريق. لقد مررنا بالشلالات في اليوم الأول،

وباتت مَعْلَمًا واضحًا للجميع. وعندما عدتُ كنتُ أدور حول نفسي
 كالمجنونة حول النزل، لذا جلستُ في الخارج قليلًا.
 خبط فولك على قبعته الأرجوانية للمرة الأولى:
 - حسنًا، لقد رأيناك في الخارج أمس.
 - ربما..
 ثم سمعنا دوي الرعد، ونظرنا معًا إلى أعلى. قال:
 - هيا، نحن قريبان من النزل، سأرافكك إلى هناك.
 تحركا ببطء، وكانت أشعة أضواء المصابيح تهتز بسبب الأرض غير
 المستوية.

- منذ متى وأنتِ تعملين في الشركة؟
 - منذ سنتين، أنا المدير الاستراتيجي للتخطيط المستقبلي.
 - ماذا يعني هذا؟
 زفرت لورين زفرة ثقيلة:

- هذا يعني التعرف على الاحتياجات الاستراتيجية المستقبلية لشركتنا،
 ومحاولة ربط هذه الاحتياجات بخطط العمل... (ثم استدركت) عذراً،
 لكن يبدو أن هذا كله لا معنى له في ظل اختفاء أليس!
 - يبدو أنكِ مررتِ بأيام صعبة!
 لم تُجب لورين مباشرةً:

- أنا ورفيقاتي مررنا بأيام صعبة، ولم يكن ذلك خطأ أحدٍ منا، لكن حدث
 الأمر نتيجة تراكم العديد من المشكلات التي ظلت تتجمع حتى صار
 من المستحيل علاجها. كل ما أرجوه أن تكون أليس بخير.
 - هل عملتما كثيراً معًا؟

- لم نعمل معًا بشكل مباشر، لكنني كنتُ أعرفها بصفة غير منتظمة
 على مدى سنوات. كنا في المدرسة الثانوية معًا، ثم انتهى بنا المطاف،
 ونحن نعمل في نفس المجال، لذا تقاطعت طرقنا قليلًا. ثم إن ابنتينا
 في العمر نفسه، وتذهبان إلى كليتنا القديمة حاليًا. وعندما عرفتُ أليس

أنني تركتُ العمل في شركتي القديمة أوصت بي في شركتها، وعملتُ بها منذ ذلك الحين.

- سمعنا أنكِ تمكّنتِ من قيادة المجموعة للخروج من الأدغال، والعودة إلى هنا.

- ربما يببالغون في هذا الأمر، لكنني عرفتُ القليل عن الملاحة حين كنتُ في المدرسة، لكن كل ما فعلناه أننا سرنا في طريق مستقيمة، ورجونا الأفضل. (زفرت ثم تابعت حديثها) على كل حال، كانت فكرة أليس أن نسلك هذه الطريق، وعندما اكتشفنا أنها هربت، اعتقدتُ أننا سنكون وراءها بساعات، ولم أصدّق أنها لم تتمكن من الوصول في النهاية!

استدارا عند زاوية الطريق، فظهرت لهما الطريق العامة. لقد عادا. ارتجفت لورين، ولفّت ذراعيها حول نفسها؛ الجو بارد، وبدا أن عاصفة على وشك أن تهب، والنزل أمامهما بدا دافئًا ومغريًا.

مكتبة

t.me/soramnqraa

- هل يمكننا أن نتحدث في الداخل؟

لكن لورين ترددت:

- هل يمكننا البقاء في الخارج؟ أتمنع ذلك؟ ليس لديّ شيء ضد جيل، لكنني لا أملك الطاقة لمواجهة الليلة.

شعر فولك بانسلاال البرودة عبر حذائه، فلوّى أصابعه داخل جواربه:

- حسنًا، أخبريني عن المخيم الذي ذهبتما إليه أنتِ وأليس، حين كنتما في المدرسة.

- ماكليستر؟ لقد كان في مكانٍ ناءٍ، وكنا نوّدي بعض الأنشطة الأكاديمية، لكن التركيز الأكبر كان على الأنشطة الخارجية، كالمشي والتخييم، وأنشطة حل المشكلات، وهذا النوع من الأنشطة. وغير مسموح بالتلفاز، أو إجراء المكالمات، كان التواصل الوحيد بالمنزل في هذا الوقت عن طريق الخطابات المكتوبة. لا يزالون يفعلون الأمر بنفس الطريقة. ذهبت ابنتي من قبل، وذهبت ابنة أليس أيضًا، كما أن الكثير من الكليات الخاصة تنظّم مثل هذا النوع من الرحلات، وهو أمر ليس سهلاً.

حتى في عالم طفولة فولك، كان بوسعه أن يسمع نِتْفًا من قصص المخيمات التي تمتد لعام، والقصص الغريبة التي كانت تُحكى على مدار سنوات من زملاء تخرَّجوا في واحدٍ من أكثر المعاهد التعليمية فخامة. كانت هذه القصص عادةً ما تُحكى بتكثُّمٍ عن أن أحدهم قد نجا من هجوم دُبٍّ، أو أن آخر قد مر بجانب تحطُّم طائرة. وبشيء من الدهشة الممزوجة بالفخر، كان أصحاب هذه المغامرات يقولون: «لقد مررت بهذا!».

- لكن يبدو أن هذا قد نفعل بشيء على الأقل.

- ربما قليلًا، لكنني لطالما اعتقدتُ أن امتلاك مهارات ضعيفة أسوأ من عدم امتلاك مهارات على الإطلاق. إذا لم نكنُ مضيئينا إلى ذلك المخيم، ربما لم تُكنُ أليس قد وافته الفكرة الغبية بأنها يمكن أن تذهب بمفردها!

- ألا تعتقدين أنها مؤهلة لفعل ذلك وحدها؟

- لا أعتقد أن ذلك كان بإمكان أيِّ منا. كنتُ أريد ملازمة مكاني، وانتظار المساعدة. لا أعرف! أو ربما كان يجب علينا المضي معها في غيِّها، إذ كنا سنكون معًا، مجموعةً على الأقل، لكنني عرفت أنها ستذهب بمفردها حين كان الجميع ضدها، فقد كانت دائمًا...

توقفت، لكن فولك انتظر أن تتابع حديثها..

- دائمًا ما كانت أليس تبالغ في مهاراتها. كانت هي قائدة المجموعة أغلب الوقت عندما كنا في المخيم، لكن لم يُكن الاختيار يقع عليها، لأنها باهرة. أعني أنها كانت جيدة بالطبع، لكن لم تُكن على المستوى الذي تظنه.

- منافسة للشهرة؟

- بالضبط. لقد اختيرت قائدة للفريق، لأنها كانت مشهورة. كان الجميع يريدون أن يكونوا أصدقاء لها، ويريدون أن يكونوا في مجموعتها المقربة. أنا لا ألومها، لأنها كانت تحب ذلك. إذا كان جميع من حولك يخبرك على الدوام أنك رائع، فمن السهل أن تصدِّق ذلك.

نظرت لورين إلى الأشجار خلفها:

- لكنني أعتقد أنها قد قدّمت لنا معروفًا كبيرًا، إذ لو كنا بقينا في الكابينة، وانتظرنا المساعدة، لكننا في العراء ننتظر حتى الآن، ومن الواضح أنه لن نجدنا أحد.

- لا، هذا حقيقيّ.

نظرت لورين إليه:

- مما يمكنني أن أراه، أظن أنهم يبحثون بجِدِّ، لكن الكابينة كانت هي الشيء الوحيد الذي كانوا يريدون الحديث حوله.

- أعتقد أن ذلك بسبب أن هذا هو آخر مكان كانت توجد فيه أليس.

ثم تذكّر فولك ما كان يقوله العريق كينج: «لم نخبر السيدات بشأن سام كوفاك»، وتساءل فولك إذا ما كان هذا هو التحرك الأفضل في ظل الظروف التي يمر بها الجميع. ظلت لورين تتطلع إليه:

- ربما، لكنني على الرغم من ذلك أشعر أن اهتمامهم بهذه الكابينة له ما وراءه، إذ كان المكان فارغًا منذ مدة، لكن ليس منذ زمن بعيد. لقد أخبرت الشرطيين الآخرين بهذا الأمر. على الأقل عرف أحدهم بالأمر، لأنه كان في الخارج حينها.

- كيف تعرفين ذلك؟

- كانوا يدفنون كلبًا!

مرت فترة صمت سقطت فيها بعض الأوراق الميتة من الأشجار حول قدميهما.

- كلب!

مسكت لورين أظفارها. كانت يدها صغيرة للغاية، وعظام معصمها تظهر تحت الجلد:

- واحد على الأقل، لكن رجال الشرطة ظلوا يسألون إذا ما كنا قد رأينا أيّ شخص آخر عندما كنا في الخارج.

- وهل رأيتم؟

- لا، لم نرَ أحدًا بعد الليلة الأولى، عندما جاءت مجموعة الرجال إلى مخيمنا، لكن...

نظرت لورين إلى الأدغال، ثم إلى فولك مرة أخرى:

- كان الأمر غريبًا، إذ كنا نشعر في بعض الأحيان، وكأن أحدًا يراقبنا، لكن من الواضح أن ذلك لم يحدث، فليس هناك طريقة للتأكد من ذلك، وقد تُصاب بجنون الارتياب وأنت في الخارج، ويبدأ عقلك في التلاعب بك.

- ومن المؤكد أنك لم تري أيَّ شخص منذ ذلك الحين؟

- لا، كنا نتمنى لو أننا رأينا. كانت الطريقة الوحيدة للعثور علينا هي أن تتبعنا. (ثم هزت رأسها، وكأنها تطرد الفكرة قبل أن تستقر في رأسها) لا أفهم ما الذي حدث لأليس! أعرف أنها سارت طويلًا في هذه الطريق الشمالية. وقد تبعناها في تلك الطريق، وكنا على بُعد ساعتين منها على الأقصى. ولطالما كانت أليس قوية على المستوى الجسدي والذهني. لذلك، إذا كان بإمكاننا الخروج للطريق، فكان من المؤكد أن تجد كذلك، لكن يبدو وكأنها تبخرت! (رمشت لورين) لذا لا يمكنني فعل شيء الآن سوى الجلوس عند الشلالات، وأمل في أنها ستخرج من العدم غاضبة، وتشير بإصبعها تجاهي، وتهدد بأنها ستخذ إجراءً قانونيًا!

أشار فولك إلى الجرح الداكن على جبهتها، وقال:

- يبدو أنه سيء. كيف أُصِبتَ به؟

لمست لورين الجرح بأصابعها، وابتسمت ابتسامة مريرة:

- لقد فقدنا القِدَاحَة وأعمدة الخيام في النهر. كنتُ أحاول أن أعيد ما فقدناه، لكنني أُصِبتَ بذلك الجرح.

- ألم تُصابي به في العراك الذي نشب في الكابينة؟

حدّقت لورين إليه لفترة قبل أن تجيب:

- لا.

- أسأل فقط، لأن جيل بيلي قالت إنها أُصِبتَ بجرحٍ فكَّها في هذا العراك، وقالت إنها كانت تفصل بينكن.

- هل قالت ذلك؟

كان على فولك أن يقول ذلك، إلا أنها لم يكن لها ردُّ فعل.

- ألم يحدث ما قالته؟

بدت لورين، وكأنها تزن الأمور في رأسها:

- صحيح أن جيل أُصيبت بالجرح في العراك، لكن ادعاءها بأنها كانت تفصل في النقاش يظل موضع خلاف!
- إذن، هل كانت جيل طرفاً في هذا العراك؟
- جيل هي من بدأت. عندما أرادت أليس الرحيل، كانتا تتعاركان حول من يجب أن يحتفظ بالهاتف. العراك لم يستمر طويلاً، لكن هذا ما حدث. لماذا؟ ما الذي قالته جيل؟

هز فولك رأسه:

- لا يهم، ربما يكون هذا سوء فهم!
- نظرت لورين إلى أسفل:
- حسناً، أيّاً كان ما أخبرتك به، فقد كانت طرفاً في العراك. لستُ فخورة بما حدث، وأعتقد أن جميعنا كذلك، وأليس أيضاً، وهذا ما جعلني غير متفاجئة عندما رحلت.

شَقَّت السماء صاعقةً من البرق، وحوَّلت أشجار الصمغ إلى ظلال. وتبع ذلك سماعٌ دويّ الرعد، ولم يكن لديهما خيار سوى التحرك، فوضعا قطنسوتيهما على رأسيهما، وتوجها جرياً صوب النزل، فيما كان المطر ينهمر على سترتيهما. قال فولك، وهو يواصل خطواته، وكان عليه أن يرفع صوته بسبب أصوات الرعد:

- هل ستأتين إلى الداخل؟
- لا، سأذهب إلى غرفتي، يمكنك أن تعثر عليّ إذا احتجتني.
- لَوَّح فولك بيديه، ثم واصل الركض إلى مكتب الاستقبال، حيث كان المطر ينهمر على سقيفة السطح. ثم دخل إلى الردهة عندما رأى ظلالاً تتحرك بقرب المدخل.
- أهلاً..

ميّز فولك صوت بيت، إذ كانت تحتمي تحت السقيفة، وتدخن سيجارة، فيما كانت تنظر إلى المطر المنهمر. تساءل فولك إذا ما كانت قد رأته، وهو يتحدث إلى لورين، لكن خَطَرَ له إذا ما كان ذلك أمراً مهماً. كان تمسك بسيجارة في يده، وبشيءٍ لم يستطع رؤيته في اليد الأخرى، وترتسم على وجهها نظرة بريئة. قالت:

- قبل أن تقول أيّ شيء، أعرف أنه لا ينبغي لك فعل ذلك.

مسح فوك وجهه بأكمامه المبلّلة:

- لا ينبغي لي فعل ماذا؟

كانت بيث تحمل بيدها على استحياء زجاجة من البيرة التي تحتوي على نسبة قليلة من الكحول.

- ما زلتُ في فترة المراقبة، لكننا نمر بأيام صعبة. آسفة لذلك.

وبدت كما لو أنها تقصد ذلك فعلاً. لم يجد فوك في نفسه القدرة على الاهتمام بفتاة تشرب بيرة ذات نسبة قليلة من الكحول، إذ كان في مراهقته يعتبر هذا النوع من البيرة كالمياه، أو في درجة أعلى منها قليلاً!

- لا تشربي الكثير فقط.

وقد بدا ذلك كتسوية منطقية، لكن بيث رمشت وتفاجأت، ثم ابتسمت وقالت:

- ليس من المفترض أن أدخن هنا أيضاً، لكن بالله عليك، أنا في الخارج.

- هذا صحيح.

قال فوك ذلك، وهما يراقبان سقوط المطر.

- في كل مرة تمطر السماء تجعل من مهمة تعقب شخصٍ مفقودٍ أمراً صعباً. هذا ما أخبروني به على أيّ حال. (رشفت بيث رشفة من البيرة) ظلت تمطر لفترة طويلة.

- إنها كذلك.

نظر فوك إليها، ولاحظ على الرغم من الضوء الواهن أنها منهكة.

- لماذا لم تذكري العراك الذي نشب في الكابينة؟

نظرت بيث إلى زجاجتها، وقالت:

- نفس السبب الذي يمنعي من شرب البيرة فترة المراقبة، ولم يكن العراك كبيراً في الحقيقة، لكننا جميعاً كنا خائفات، وجميعنا كنا نبالغ في ردود فعلنا!

- لكنك تجادلتي مع أليس؟

- هل هذا ما سمعته؟ (كان من الصعب قراءة ما تشي به عيناها في

الظلام) كلنا كنا نتجادل مع أليس، وكاذبٌ من يقول غير ذلك!

كانت تبدو غاضبة، لكن فولك سمح بفترة من الصمت. وقال أخيراً:

- وكيف الحال؟

زفرت بيث:

- على ما يرام. ربما يسمحون لها بالخروج من المستشفى غداً، أو في اليوم الذي يليه.

أدرك فولك أنها تتحدث عن أختها.

- لكنني كنتُ أقصدك، هل أنتِ على ما يرام؟

رمشت بيث، وبدت مترددة في الإجابة:

- أوه! أظن أنني بخير، شكراً لك.

من خلال النافذة التي تطل على صالة الاستقبال، كان بوسع فولك أن يرى كارمن تجلس على مقعد باهت ذي ذراعين. كانت تقرأ شيئاً ما، وشعرها حُرٌّ ورطبٌ، وملتفٌ حول كتفيها. وحول الغرف، كان المفتشون الذين انتهوا من عملهم يجلسون للتسامر أو لعب الكوتشينة، أو جالسين مغمضي الأعين أمام النار المشتعلة. رفعت كارمن رأسها، وأومأت عندما رآته. قالت بيث:

- لا تدعني أتجنبك!

قبل أن يفتح فولك فمه ليجيبها؛ عاجلته السماء بدفعةٍ أخرى من البرق. اشتعلت السماء باللون الأبيض، ثم عاد كل شيء للظلام من جديد. سمع العديد من همهمات المفاجأة التي أتبعتها تأوهات ممتعضة آتيةً من صالة الاستقبال. كانت الكهرباء قد انقطعت.

رمش فولك محاولاً الرؤية. خلال زجاج النافذة، كان الضوء الواهن الخارج من صالة الاستقبال يُحوّل الوجوه إلى ظلال سوداء وبرتقالية. أما زوايا الصالة، فلم تكن مرئية، لكنه سمع حركة على الباب ظهرت بعدها كارمن من العدم. كانت تحمل شيئاً تحت ذراعها، وبدا كما لو أنه كتاب كبير.

- أهلاً..

أومأت كارمن لبيث، ثم استدارت نحو فولك، وعبست:

- أنتِ مُبتَلٌّ!

- لقد انهمر المطر عليّ، هل كل شيء على ما يرام؟

- نعم. (ثم هزت رأسها قليلاً) لا تتحدث هنا.

أبعدت بيت زجاجة البيرة عن الأنظار، وبدت وكأنها لا تحمل شيئاً في يدها. قال فولك:

- الظلام يُعمُّ المكان هنا، هل تريدان أن نصطحبكِ إلى غرفتك؟
هزت بيت رأسها:

- سأبقى هنا قليلاً، وأنا لا أنزعج من الظلام.
- حسناً، كوني حذرة.

وضعا هو وكارمن قطنسوتي سترتيهما على رأسيهما، وابتعدا عن السقيفة التي كانت تمثل ملجأً لهما من المطر. ضرب المطر وجهه، لكن الأنوار القليلة المضاءة حولهما، التي كانت تعمل إما بالسولار، وإما بمولد الطاقة، كانت كافية لمساعدتهما على أن يريا الطريق.

أشعل البرق السماء مرة أخرى، فتساقطت قطرات المطر مشكّلة ملاءةً شبيهةً، استطاع فولك من خلال الضوء أن يرى شخصاً يركض عبر موقف السيارات (إيان تشيس) مبللاً من مياه المطر في سترة الشركة المميزة الحمراء. كان من المستحيل أن يعرف من أين أتى، لكن بسبب شعره المبلل بالمياه، كان بوسعه أن يعرف أنه ظل في الخارج لفترة طويلة. عمّ الظلام السماء مرة أخرى، واختفى عن الأنظار.

جفف فولك وجهه، وركز على الطريق أمامه. كانت زليقة وملآنة بالمياه والطين، لكنهما شعرا بالارتياح عندما استدارا، وصارا تحت مظلة الغرف. وقفوا خارج غرفة كارمن، فأخرجت الكتاب الضخم الذي كانت تحمله داخل سترتها. أعطته لفولك، بينما راحت تبحث عن مفتاح غرفتها. كان بوسعه أن يرى ما تحمله الآن؛ كان دفتر قصاصات بغلاف بلاستيكي. كانت زوايا الكتاب مبللة قليلاً، وعلى الغلاف الأمامي وُضعت لاصقة مكتوب عليها: «من ممتلكات نزل جيرالانج. غير مسموح بأخذ الكتاب للخارج!». استدارت كارمن لتري فولك قد رفع حاجبيه وضحك.

- أقسمتُ عليك، أنا استعرتُه لخمسين متراً فقط، سأعيده مرة أخرى.
فتحت كارمن باب غرفتها، وسمحت له بالدخول، كانا منهكين من البرد والمطر.
- لكنّ هناك شيئاً عليك أن تراه أولاً...

اليوم الثاني: ليلة يوم الجمعة

ظللن في جدالهن حتى تأخر الوقت عن فعل أي شيء. وأخيراً، مع مغيب الشمس جهة الجنوب، هبطن مرة أخرى عن التّبّة باحثاتٍ عن ملجأ. وعندما عمّ الظلام، صنعن مخيمًا في المكان الذي وقفن فيه، بأفضل طريقة كان في وسعهن صناعته.

فضضن ما كان معهن في كومة على الأرض، ووقفن بشكل دائريّ، وقد نفذ منهن الضوء، بالكاد يلاحظن ظلهن. كان معهن ثلاث قطع من أقمشة الخيم محفوظات بشكل سليم، وأقل من لتر ماء واحد، مقسمًا بشكل غير متساوٍ بين خمس زجاجات، وستة ألواح جلوتين.

نظرت بيتث إلى الكومة الهزيلة، وشعرت بأول زقزقة لعصافير بطنها. كانت تشعر بالعطش أيضًا، وعلى الرغم من البرد والملابس المبلّلة، كان بوسعها أن تتحسس عرقها تحت ذراعها من أثر صعود التّبّة. كانت زجاجتها واحدة من أكثر الزجاجات الفارغة بينهن. ابتعلت ريقها، فوجدته ثخينًا في فمها. قالت لورين:

- ينبغي لنا جمع بعض ماء المطر الليلة.

بينما كانت تنظر إلى الزجاجات الفارغة بنظرة عصبية. قالت جيل بنبرة توسل:

- هل تعرفين كيف تفعلين ذلك؟

- بوسعي المحاولة.

قالت جيل:

- وأين بقية ألواح الجلوتين، ظننتُ أن لدينا المزيد منها.

شعرت بيتث أن عينيّ أختها مسلطتان عليها رغم أنها لم ترَ هذا، لكنها لم تنظر إليها..

- أحضري المؤن يا بري.

كان ضمير بيث قد استيقظ، ولو لمرة واحدة. تحوّل لون وجه جيل إلى لونٍ رماديٍّ غير صحيٍّ كلون وجه المريض على وقع ضوء المصباح، وظلت ترمش بعينيها:

- يجب أن يكون لدينا لوحان آخران على الأقل.

ولم تُكن بيث متأكّدة ما إذا كان ما يبدو على وجهها من العزيمة، أم لأنها لا تستوعب ما حولها.

- إذا كان أحد ما قد أكلهم، فليقل!

كانت بيث تشعر بثقل نظرات الجميع عليها، فأخفضت عينها للأسفل، ونظرت إلى الأرض:

- حسنًا.

هزت جيل رأسها، والتفتت إلى اليس:

- اذهبي لتري إن كان بإمكانك التقاط إشارة.

فذهبت أليس، ولم يُكن هناك ما يقال هذه المرة. تحوّلت حالتها من الصدمة إلى اتخاذ وضعٍ دفاعيٍّ، وتنقّلت بين الحالتين، منكبةً على الخريطة، وتنقر بأناملها على وجه البوصلة. كُنَّ يتجهن للغرب، كانت على يقين من ذلك. وغالبًا ما كانت احتجاجاتها تُقابل بصمت بالغ، إذ كان من الصعب أن تتجادل مع شمس تغرب. كانت المجموعة تراقبها، وهي تبتعد حاملّة هاتفها في يدها. فتحت جيل فمها، بدت كما لو أنها تريد أن تقول شيئًا، لكنها لم تستطع. ركلت حقائب الخيم بطرف قدمها، وقالت للورين:

- تفقّدي إن كان بإمكانك أن تتدبري أمرك بذلك.

ثم التفتت لتتبع أليس.

استمعت بيث لتوجيهات لورين، وهي ترشدها إلى عدة طرق، لاستخدام الحبال لتمديد قماش الخيم، وربطها بين الأشجار. حاولت لورين شرح ما تقصده، فسحبت الحبال بيد، وضغطت بالأخرى على اللاصقة الموضوعة على جبهتها، لكن كان عليها أن تستسلم في النهاية. تراجعت، وتشابك شعرها، وتلطخ بالدماء على وقع ضوء المصباح، وهي توجه بيث وبري لربط الحبال بين هذا الجذع وذاك. تيبست أصابع بيث من برودة الهواء. كانت مهمة صعبة للغاية عليهن حتى في وضح النهار، لكنها كانت سعيدة بالمصباح ذي الضوء

القويّ. انتهين في النهاية من مد الحبال بين الأشجار على الرغم من ارتخائها. لم ينهمر المطر بعد، لكن بيث استطاعت أن تستشعر بقدوم عاصفة. إنه اختبار، عليهن مواجهته.

في بعض البقع على طول الطريق المظلمة، كان بوسع بيث أن ترى أليس تظهر وتختفي. كانت أليس محاطة بهالة زرقاء من الضوء المصطنع الذي يتكون في دوائر واصلًا إلى السماء كرقصة يائسة. أخرجت بيث منامتها من حقيبتها، وزفرت عندما وجدت طرفها مبللًا بالمياه. حاولت العثور على أي بقعة مسقوفة، لكن بدا أن هذا بلا جدوى. كل الخيارات كانت سخيفة. وضعت منامتها تحت أقرب قماشة، ثم اعتدلت، ورأت الفوضى التي خلقتها أختها حولها، وتجادلت معها حول المكان الذي يجب أن تضع فيه حقيبتها. كان من الطبيعي أن ترغب بري في أن تكون في أقرب مكان لأليس. وفكرت بيث أن هذا مثير للاهتمام، إذ كيف يتبدل حال الناس سريعًا! على مقربة، كانت لورين تجلس على حقيبتها، تلعب في البوصلة. قالت بيث:

- هل انكسرت البوصلة؟

لم ترد لورين فورًا، لكنها زفرت، وقالت:

- لا أعتقد ذلك، لكن عليك أن تستخدمها باستمرار حتى تعمل، إذ من الطبيعي أن ينحرف المرء عن المسار إذا لم يتفقد دوريًا، وأنا أعلم أن أليس لم تكن تتفقد بما يكفي.

لفت بيث ذراعيها حول نفسها، وكانت تقفز على كعبيها لأعلى وأسفل، إذ كانت ترتجف:

- أيجب علينا أن نشعل نارًا؟ لقد نفدت قذاتي!

نظرت لورين إلى الظلام. كانت اللاصقة التي وضعتها للتو تنخلع عن جبهتها، ولم يكن يتبقى سوى واحدة فقط في حقيبة الإسعافات الأولية، وكانت بيث تعرف ذلك.

- ليس من المفترض أن نكون هنا!

- هل سيعرف أحد؟

- سيعرف إذا خرج الأمر عن السيطرة!

- في هذا الطقس؟

رأت بيت ظل لورين، وهي تهز كتفيها:

- بيت، ليس من صلاحياتي أن أذن لك بذلك، يمكنك أن تسألني جيل.
كان بوسع بيت أن ترى جيل بالكاد من وقع الضوء الساطع من شاشة هاتف أليس. وقد سارتا لمسافة بعيدة في محاولةٍ منهما لالتقاط إشارة، ويبدو أنهما لم تفلحا في ذلك.

وضعت السيجارة في فمها، وهي تبتعد من الملجأ الذي صنَّعه، فتصاعد خيط صغير من وهج شعلة القَدَاحة، فحجب عنها رؤيتها الليلية، لكنها لم تهتم. تسرَّب إلى فمها المذاق المألوف للسيجارة عندما استنشقت أول نفس، ولأول مرة منذ ساعات طويلة كان بوسعها أن تتنفس بصورة سليمة.

وقفت بيت، وهي تدخن سيجارتها، وتدفع رثتها، وقد بدأت عيناها وأذناها تتناغمان مع هدوء الليل وأصواته في الغابة. وخلف الجذوع الرمادية لأقرب أشجار الصمغ، كان الظلام دامساً، ولم يَكُن بوسعها أن ترى شيئاً، ثم شعرت بوخزة، وكأنها قد أدركت أن الحياة لن تعود كما كانت. كان وهج الدخان المتصاعد من سيجارتها يُرى بالكاد، والمصابيح تضيء المخيم خلفها، حيث يمكن لأيِّ شيء في الخارج أن يراها واضحة كالنهار. قفزت مرعوبة عندما سمعت صوت قرقرة تصدر من مسافة بعيدة في الظلام الدامس. لا تكوني غبية! إذ يمكن أن يكون وقع أقدام حيوان؛ حيوانٍ ليليٍّ، ومؤذٍ. قد يكون حيوان الأبسوم!

رغم ذلك، أنهت سيجارتها، وعادت إلى المخيم مرة أخرى. بينما تعود أدراجها، وجدت ثلاثة رؤوس تتطلع إليها؛ جيل وأليس ولورين، ولم يَكُن بوسعها أن ترى أيَّ إشارة لوجود بري. كان الثلاثة يجتمعن معاً، ويحملن شيئاً ما بينهن. للحظة ظننت بيت أنهن يحملن البوصلة، لكن عندما اقتربت أدركت أن الأمر لم يَكُن كذلك، بل كان شطيرة من الجبنة المغلفة بكيس بلاستيكيٍّ، وكانت جيل تحمل التفاحة في يدها. قالت بيت:

- أين وجدتن هذا الطعام؟ أهو متبقٍ من الغداء؟

وكان صوت زقزقة عصافير بطنها مسموعاً. قالت جيل:

- لقد وجدناه في حقائب الظهر.

نظرت بيت إلى الكومة:

- حقيبة ظهر مَنْ؟

كانت الحقائق موضوعة بطريقة فوضوية، والمتعلقات متناثرة. عندما رأَت وجوههن، أدركت أنهن على وشك أن يتهمنها بشيء.

- حسنًا، لم تكن أنا!

لم يرد أحد.

- هذا الطعام ليس لي، لقد أكلته في الغداء، وقد شاهدتني!
أليس:

- لم نرك، لقد كنتِ على أول الطريق تدخين سيجارة.
حدقت بيث إليها في الظلام:

- تعلمين أن إلقاء المسؤولية عليّ لن يبرئك، أليس كذلك؟
تدخلت جيل:

- توقفنا عن العراك! بيث، إذا لم تتناولي غداءك، فهو من الناحية العملية لا يزال غداءك، لكننا قلنا إننا سنجمع كل ما لدينا و...

- هذا الطعام ليس لي، أليس كلامي واضحًا؟!
- حسنًا، إذن.

وكان من الواضح أن جيل لم تصدّقها.

- كنت سأقول لو أنه لي. (كانت عينا بيث ساخنتين ومنهكتين، وانتظرت، لكنها لم تجد ردًا) ليس لي!

- الطعام لي. (التفتن جميعًا، فوجدن بري تقف خلفهن) عذرًا، كنت أقضي حاجتي في منطقة بعيدة. هذا الطعام لي، ولم أكن قد تناولته وقت الغداء.

هزت جيل كتفيها:

- ولماذا لم تقولي عندما كنا نفرغ حقائبنا؟!
- لقد نسيتُ، عذرًا.

حين كانت بيث أصغر من ذلك، كانت تؤمن بالتخاطر الذهني، إذ كانت تحدّق إلى عينيها بعمق، وتضع أصابعها على صدغيها بإحكام بالغ. «بماذا تفكرين؟»، كانت بري هي من توقفت عن اللعبة أولاً، إذ لم تكن يومًا ماهرة

فيها، الأمر الذي فسرتة بيث بأن أختها غير مهتمة بالأمر. وعندما بدأت بري تُبعد يد أختها، وترفض إجراء التواصل البصري، اعتادت بيث أن تراقبها عبر الغرفة، وتصيح السمع إلى نغماتها عندما تتحدث، وتتابع أدق تفاصيل حركاتها، لتبحث عن أي أدلة. «ما الذي تفكرين به يا بري؟»، وقد أدركت بيث بعد ذلك أن ذلك لم يكن تخاطبًا ذهنيًا، ولم يكن أكثر من إدراك الفوارق الدقيقة بينهما. والآن، عادت هذه العادة القديمة التي كانت بيث بارعة فيها يومًا لتهمس في أذنها: «بري لا تقول الحقيقة!». وبغض النظر عن السبب الذي جعلها تكتم مشاركة الأمر، فإنه غير قابل للنسيان. بدا صوت أليس محبطًا، وهي تقول:

- ليس عليك أن تتستري عليها!

- لا أتستر عليها!

وكان بوسع بيث أن تتبين التردد الصادر من صوت أختها.

- لا أحد يلومك، لكن لا تكذبي من أجلها!

- أعرف، وأنا لا أكذب!

- حقًا، لأنك لا تتصرفين مثل هذه التصرفات!

- أعرف ذلك، وأنا آسفة.

حتى بعد أن اعترفت، لم تفعل بري أي شيء خاطئ. كانت بيث على وشك أن تضحك.. كانت على وشك، لكن ليس تمامًا، لأنه كان بوسعها أن تسمع أختها على وشك أن تبكي في الظلام، فزفرت. حاولت بيث أن تبدو كمن يؤنبها ضميرها:

- اسمعني، حسنًا، كان الطعام لي.

- كنت أعرف ذلك.

- نعم يا أليس، أنتِ على حق، حسنًا، آسفة يا بري..

- لم يكن...

حاولت بري أن تتدخل.

- شكرًا على محاولتك للمساعدة، لكن الأمر على ما يرام بالنسبة إليّ. أنا

آسفة للجميع.

اعتقدت بيت أن هذا غريب، إذ كادت تشعر بارتياح جماعي واضح. بري مصنفة في جانب الحق، وبيت مصنفة في جانب الضلال. كان هذا ترتيباً طبيعياً حتى يستطيع الجميع الارتياح، ولم يكن هناك ما يفاجئ هنا. قالت جيل أخيراً:

- حسناً، لنضع حدًا لكل هذا، وننقاسم ما لدينا.

- حسناً.

أدارت بيت ظهرها قبل أن تنزلق في مناقشة حول العقوبات والإجراءات التأديبية:

- افعلن ما سئتن، سأنام!

كان يمكنها أن تلاحظ أنهم يراقبونها، وهي تخلع حذاءها، وتدخل بكامل ملابسها في منامتها. ثم دفست نفسها في المنامة، وسحبت قطنسوتها عن كامل رأسها. كان الجو بالداخل أدفاً من الخارج، وظلت أرضية الغابة توخر، وتلكز جسدها نظراً للطبيعة الرقيقة التي صنعت منها المنامة. كان بإمكانها أن تسمع أصواتاً مكتومة للمناقشات الدائرة، وهي تغلق عينيها. لم تكن مرتاحة لهذه المناقشات، وكانت على وشك أن تغفو، لكنها شعرت بلمسة يد رقيقة أعلى منامتها:

- شكراً لك. (كان الصوت همساً).

لم ترد بيت، وبعد لحظة شعرت بأن اليد قد انزاحت. ظلت عيناها مغلقتين، ومتجاهلة كل الأصوات الخافتة التي تتجادل؛ أولاً عن الطعام، وأخيراً عن النار. عندما فتحت عينيها لاحقاً شعرت بالدهشة. لم تعرف كم من الوقت غفت، لكن من الضروري أن المطر قد انهمر، لأن الأرض حولها كانت غارقة بالمياه، وأطرافها ثقيلة وباردة.

كانت بيت ترقد مرتجفة، وهي تصيح السمع. هل أيقظها شيء ما؟ رمشت، لكنها كانت كالضريرة وسط الظلام؛ لم يكن بوسعها أن تسمع شيئاً في أذنها، غير حفيف من صنع إحداهن، وهي تتنفس. كان هناك شيء ما عند موضع رقبتها أعلى منامتها، فجفلت، ولكزته بإصبعها، فوجدت قطعة من شطيرة الجبن، وشريحة من تفاح ملفوفتين بكيس بلاستيكي مبلل، ولم تكن

تعلم إن كان هذا نصيبها أم نصيب أختها، فقررت ألا تأكله، لكن صراخ جوعها كان أعلى من مبادئها.

لم تكُن بيث على يقين إن شعرت إحداهن بذلك، لكنها شعرت بتحركات أكثر قربًا في الجو. شيءٌ حيوانيٌّ، وبسيطٌ، وبدائيٌّ، حيث قطعة خبز عفنة، يمكن أن تمثل بالنسبة إليه جائزة تستحق العراك من أجلها. شعرت بحركة صاخبة خارج منامتها، فتصلبت، ولم تكُن تعلم إن كان من تسبب بهذه الحركة إحداهن، أم مخلوق من الحياة البرية. ظلت متصلبة في مكانها، ومع الوقت اختفى هذا الصوت، وكانت الكلمة التي تبحث عنها قد تشكلت على طرف لسانها، وكانت حقيقية للغاية لدرجة أنها كانت تشعر بأثرها في فمها.. «وحشية».

الفصل الثالث عشر

كانت غرفة كارمن حالكة السواد، فأعطاها فولك مصباحه، وسمعتها تسب بصوت خفيض، وهي تتجه لتفتح الستائر، فتسللت أضواء الطوارئ إلى الغرفة، وكانت كافية لتظهر ملامح الأثاث فقط. قالت:

- أحضر كرسيًا.

لم يكُن هناك كراسي، فجلس فولك على طرف السرير. كانت غرفة كارمن تشبه غرفته؛ صغيرة وقليلة الأثاث، لكن رائحة الهواء في غرفتها كانت مختلفة؛ رائحة خفيفة وغير ملحوظة، لكنها تُذكِّره على نحو غامض بشهور الصيف. وتساءل ما إذا كانت كارمن دائمًا ما تشعر بهذه الرائحة، أم أنها لم تلاحظ ذلك من قبل! قال:

- لقد صادفتُ لورين في صالة الاستقبال.

- حقًا؟

أعطته كارمن منشفة، وجلست أمامه، وأثنت قدميها تحتها، ولفَّت شعرها، ووضعت على كتفها، وراحت تجففه، بينما كان فولك يعطيها تفاصيل المحادثة. حكى لها ما تحدَّثا فيه حول الكابينة، وحول الجدل الذي خاضته السيدات، وحول أليس. بينما كان المطر في الخارج يضرب زجاج الغرفة. قالت كارمن عندما أنهى حديثه:

- أمل أن تكون لورين تقلُّ من شأن أليس، لقد قال لي أحد المفتشين إنه حتى هو سيصارع لو أنه وحده في الخارج في هذا الطقس. أعتقد أن أليس وصلت إلى مكان آمن.

خطر على بال فولك مرة أخرى رسالة البريد الصوتي:

- هل تفكرين في شيء آخر الآن؟

- لا أعرف.

سحبت كارمن كتاب القصاصات، ووضعتة بينهما، وراحت تقلب صفحاته التي كانت مملوءة بقصاصات الصحف، فيما كانت أطراف الكتاب متجعدة من أثر الصمغ الجاف:

- تصفحت هذا الكتاب حين كنت في انتظارك. ويمكن أن نقول عنه إنه يحوي تاريخ السائحين الذين مروا من هنا. وجدت الصفحة التي تريدها، وأدارت الكتاب حتى يرى.

- هاك، لقد تجاهلوا السنوات التي كان كوفاك ملء السمع والبصر فيها، وهذا أمر غير مفاجئ، لكنني أعتقد أنهم لم يستطيعوا تجاهلها كلياً.

نظر فولك إلى الكتاب، فوجد مقالة صحفية حول العقوبة التي فُرضت على مارتن كوفاك. وكان العنوان يشير إلى سجنه مدى الحياة. كان بوسع فولك أن يخمن لماذا ضموا هذه المقالة دوناً عن أيِّ مقالة أخرى، فهي تؤكد حقيقة لا نقاش فيها، كما أنها تطوي صفحة الموضوع بأكمله. كانت المقالة المعروضة مقالة رئيسية تلخص ما وصلت إليه التحقيقات وإجراءات المحاكمة. وبالقرب من أسفل الصفحة، عُرضت ثلاث صور لسيدات مقتولات مبتسمات؛ إليزا، وفيكتوريا، وجيل. والرابعة: سارة سوندنبيرج، التي كان مصيرها مجهولاً.

كان فولك قد رأى صوراً لضحايا كوفاك من قبل، لكنه لم يكن قد رأى صوراً حديثة لهم، ولا صوراً وهم مجتمعون هكذا من قبل. كان يجلس أمام كارمن في الغرفة المظلمة، لكن الضوء المتسلل من الخارج قد وقع على وجهه. شعر أشقر، وملامح أنيقة، ونحيل، وجذاب بكل تأكيد. كل ذلك في نفس الوقت، ورأى ما رآته كارمن.. إليزا، وفيكتوريا، وجيل، وسارة.

- أليس؟

نظر فولك في عيني كل ضحية من الضحايا، ثم هز رأسه:

- إنها كبيرة للغاية، لكن الأربع ضحايا كنّ في فترة مراهقتهن أو في عشرينياتهن.

- أليس في عمر متقدم الآن، لكن ماذا لو أنها خُطفت إذا كانت بمثل عمرهن؟ وماذا كان عمرها عندما حدث كل هذا؟ ألم تكن في أواخر فترة المراهقة؟

أملت كارمن الكتاب، كي ترى الصور بشكل أفضل، وكانت قصاصات الجرائد تتلون بلونٍ رماديٍّ على ضوء المصباح:

- سيكُنُّ في مثل عمرها لو أنهن عِشْنَ حتى الآن.

لم يقل فولك أيّ كلمة. وبجانب الصور الأربع للضحايا، عُرضت صورة كبيرة للمجرم مارتن كوفاك، التي كانت قد أُخذت قبل فترة قصيرة من اعتقاله. كانت صورة عادية، التقطها صديق أو جار له. ولقد تداولت هذه الصورة آلاف المرات عبر السنين، في الصحف والتلفزيون.

كان فولك يقف أمام مشواة، ويبدو كأنه رجل أستراليّ عاديّ؛ يرتدي قميصًا، وسروالًا قصيرًا، وينتعل حذاءً. يقف بقبضة اليد المعتادة، والابتسامة العريضة على وجهه. وفوق كل ذلك، كانت عيناه متقلصتين من أثر الشمس، وشعره المجعد في فوضى. كان يبدو نحيفًا، لكنّ ذو بنية قوية، وحتى في الصور كانت عضلات ذراعه مفتولة.

كان فولك يعرف هذه الصورة تمام المعرفة، لكن لأول مرة يلاحظ شيئًا آخر. في خلفية الصورة، وعلى حافة الصورة تنتهي بخلفية غير واضحة لدراجة طفل. لم يكن أمرًا مهمًّا. مجرد قَدَم طفل صغير ينتعل صندلاً، ويضع قدمه على دواسة الدراجة، وفي خلفية القميص المُخطَّط الذي كان يرتديه الطفل، تظهر شعرات سوداء. كان من المستحيل تحديد هوية الطفل، لكن حينما دقق فولك النظر فيه، شعر بوخزة في وجهه، فأبعد عينيه عن الطفل، وعن صورة مارتن كوفاك، وعن صور النساء الأربع اللاتي أطال النظر فيهن. قالت كارمن:

- لا أعرف، لقد التقطت الصورة منذ فترة طويلة، لكنها جذبتني.

- نعم، أعلم الآن سبب ذلك.

نظرت إلى الغابة في الخارج:

- بغض النظر عما حدث، أعتقد أن أليس في مكان ما هنا. صحيح أن المنطقة ضخمة، لكنها محدودة. يجب أن نجدها في النهاية.

- لكنهم لم يجدوا سارة سوندنبيرج!

- لا، لكن أليس يجب أن تكون في مكان ما، فلم تُعد إلى ملبورن.

ألحَّت أفكار المدينة على عقل فولك. وخارج النافذة، كان بوسعه أن يرى المكان الذي كانت تقف فيه سيارة دانيال بيلى حتى اليوم؛ سيارة «بي إم

دبليو» سوداء، وضخمة، وذات نوافذ مظلمة، وصندوق سيارة كبير. كان يتذكر السيارة ذات الدفع الرباعي، وكأنها واقفة الآن. قال:

- علينا أن نتحدث مع دانيال بيلى مرة أخرى، علينا أن نعود إلى ملبورن، ونعرف ما قاله لأليس في الليلة الأولى.

أومات كارمن، وقالت:

- سأتصل بالقسم لأبلغهم ذلك.

- هل تريدني مني أن...

- لا، سأكون على ما يرام، كما أنك تواصلت معهم أول مرة، سأفعل ذلك الليلة، وأرى ما سيقولونه.

واستطاعا أن يبتسما لبعضهما عندما قالت كارمن ذلك، إذ يعرف كلاهما ما سيقال بالضبط. «أحضرا العقود، هذا أمر مهم، يجب أن تفهما أنه من الضروري أن تُحضرا العقود!». وتلاشت الابتسامة من وجه فولك. لقد فهم المطلوب، لكنه لا يعرف كيف سينفذان ذلك!

وبينما كانت الرياح تهدر في الخارج، سمح فولك لنفسه أن يسأل نفسه السؤال الذي يشغله. إذا كانت أليس لا تزال في الخارج بسببهم، فهل يستحق الأمر ذلك؟ لقد تمنى لو أنهما يعلمان عن الصورة الأكبر للعملية، لكنه كان يعلم أيضًا أن التفاصيل لا تهم، فما دامت الصورة قد رُسمت، فإن الصورة الكبيرة دائمًا ما تُظهر الشيء نفسه. مجموعة من الناس أعلى الشجرة تقف على المستضعفين أسفلها. نظر إلى كارمن:

- لماذا انضمتِ إلى هذا القطاع؟

ابتسمت في الظلام:

- قطاع التحقيقات المالية؟ هذا سؤال لطالما سألته في حفل عيد الميلاد، ودائمًا ما كان يصدر من رفيق سكران بوجه ذي ملامح مشوشة. (ثم عدلت جلستها على السرير) لقد دُعيتُ للانضمام إلى قطاع حماية الأطفال، حيث كان هناك الكثير من البرمجة والخوارزميات. ولقد ثبتوني هناك، لكن... (كان صوتها ينخفض) لم أستطع أن أكون على الخطوط الأمامية طوال الوقت.

لم يسأل فولك عن التفاصيل، فقد عرف بعض الضباط الذين عملوا في هذا القطاع. ولقد كانوا جميعهم يتحدثون بنفس الصوت من وقت لآخر. تابعت كارمن: مكتبة .. سر من قرأ

- لقد واصلتُ العمل هناك، لكنني بدأتُ العمل بشكل أكبر في الجانب التقني، وكنت أطارد المجرمين عن طريق الصفقات التي يعقدونها. ولقد أديتُ عملاً جيداً في هذا الوقت، وانتهى بي الأمر إلى هنا. وهذا أفضل، فلم أكن أنام في آخر فترة عملت فيها هناك. (وصمتت ثم قالت) وماذا عنك؟

زفر فولك:

- لم يكن قد مر وقت طويل منذ وفاة أبي، كنت في قطاع المخدرات لعدة سنوات عندما بدأت عملي في الشرطة. وكان سبب ذلك -كما تعلمين- أنني متخرج حديثاً، ويجب أن أذهب إلى القطاع الممتلئ بالإثارة.

- هكذا أخبروني في حفل عيد الميلاد.

- على أي حال، كان علينا أن نُداهم ذلك المكان في شمال ملبورن، الذي كان يُستخدم مستودعاً للمخدرات.

تذكّر فولك المكان الذي كان بيتاً عائلياً من طابق واحد في شارع متهاك. كانت أعمال الدهان متقشرة، والعشب متقصفاً وغير مكتمل، وذا لون أصفر، لكن في آخر الممر كان هناك صندوق بريد مصنوع يدوياً على شكل قارب. كان هناك شخص يهتم بالعيش في هذا البيت، كي يصنع هذا الصندوق أو يشتريه، كان ذلك ما يفكر فيه فولك.

أحد زملائه كان يرابض على الباب، ثم اقتحمه عندما لم يجد إجابة، وسار الاقترام بطريقة سهلة. استطاع فولك أن يرى جزءاً من شخص في مرآة الصالة المتربة، كان كالظل المظلم في ملابسه الواقية، وفي الثانية التي كاد يقبض عليه، اكتشف أنه يرى نفسه، وانتشروا في أركان المنزل؛ يصيحون، ويرفعون أسلحتهم، غير واثقين مما سيجدونه. «ولم يكن مالك المنزل سوى رجل عجوز مصاب بالخرف!». كان بوسع فولك أن يتذكره حتى الآن، وهو يجلس متقلصاً على كرسيه، ومشوشاً أكثر منه، خائفاً، وملابسه القذرة معلقة على إحدى الشماعات.

«لم يكن هناك طعام في المنزل، وكانت الكهرباء منقطعة، خزائنه تُستخدَم في تخزين المخدرات. وكان ابن أخيه، أو رجل يعتقد أنه ابن أخيه، يتراًس واحدة من العصابات المحلية، فكان هو ورفاقه طلقاء في المنزل. كان المنزل كرية الرائحة، ويشوهُ الجرافيتي جدران البيت الوردية، وصناديق الكرتون العفنة ملقاة على السجاجيد. جلس فولك مع الرجل، وتحدثا عن الكريكت، فيما كان بقية الفريق يفتشون المنزل. ظن الرجل أن فولك حفيده. أما فولك، الذي كان دفن والده قبل ثلاثة أشهر فقط، لم يصحح له المعلومة. «الأمر أنهم استنفدوا رصيد حسابه في البنك حتى آخره، واستخرجوا بطاقات باسمه، واشتروا بها أغراضاً لم يشتريها قط. كان مجرد رجل مريض تركوه دون أي شيء. استنفدوه تماماً، ولم يشك أحد بحساباته البنكية، في انتظار أن يلاحظ أحدهما ذلك. كان كل ما حدث له يمكن أن يدرك قبل ذلك بأشهر، إذا كان أحدهما قد لاحظ أن هناك مشكلة في حساباته البنكية.»

قال فولك الكثير من التفاصيل في تقريره. وبعد عدة أسابيع، مر عليه أحد ضباط قطاع التحقيقات المالية ليُجري معه حديثاً ودياً. وبعد عدة أسابيع لاحقة، زار فولك الرجل العجوز في بيت رعاية المسنين. بدا بحال أفضل، وخاضا في المزيد من الحديث حول الكريكت. عندما عاد فولك إلى مكتبه قدّم طلب نقله.

كان قراره مثار تعجب القطاع بالكامل في ذلك الوقت، لكنه كان يعلم أن قراره كان مبعث خيبة الأمل، إذ كان القطاع الذي يعمل فيه مجرد مكان مؤقت بالنسبة إليه. وكان هو وزملاؤه يخرجون في مراهمة تلو الأخرى حتى أصاب الدمار عقله، لكنه أدرك أن المال هو ما يشغل عقل أغلب الناس، لذا قرر أن يقطع رأس الأفعى.

وعلى الأقل كان ذلك ما يعرفه عن نفسه، ففي كل مرة كان يلتقي فيها بشخص من ذوي الياقات البيضاء، يظن أن تعليمه الجامعي يجعله ذكياً بما فيه الكفاية، ليسرق ما يُتاح له، مثل دانيال، وجيل، وليو بيلي، الذين كانوا مؤمنين على الأرجح بأنهم لم يفعلوا أي شيء خاطئ، لكن عندما كان فولك ينظر إليهم، لم يكن يخطر في باله سوى الرفاق القدامى، والنساء التي تصارع مع الحياة، والأطفال المشردين الذين يجلسون خائفين وحدهم، في

ملا بسهم المتسخة، في مكان بعيد في نهاية الخط. وكان كل ما يأمله بطريقة ما أن يكون بوسعه إيقاف الفساد قبل أن يطاله. قالت كارمن:

- لا تقلق، سنندبر أمرنا، أعلم أن عائلة بيلي يعتقدون أنهم ماهرون في هذا النوع من الفساد بعد كل تلك السنين، لكنهم ليسوا أذكى منا!

- حقًا؟

- بالطبع.

وابتسمت. حتى وهي تجلس أمامه كان طولها يماثل طوله. ولم يكن هناك حاجة لتلتقي أعينهما حتى يتحدثا.

- السبب الأول، أننا نعرف تمامًا خبايا غسل الأموال.

لم يستطع فولك تمالك نفسه، فضحك:

- وكيف تعلمين ذلك؟

- الممتلكات الاستثمارية، أمر سهل، وأنت؟

أما فولك الذي كتب مرة دراسة معمقة حول الموضوع، فكان يعلم تمامًا كيف يكشف تلك الألاعيب، وذلك بخطتين احتياطيتين؛ الممتلكات الاستثمارية واحدة منهما.

- لا أعرف. ربما الكازينو.

- هراء! من المؤكد أنك تعرف شيئًا أكثر تعقيدًا.

ابتسم، وقال:

- لا تعبثي بمن يعرفون القواعد!

ابتسمت كارمن:

- ربما لا تكون بهذا الذكاء بعد كل شيء.

وللحق، كان هذا أحد الأسباب التي تفسر لماذا لم يكن الكازينو أحد الخيارات الثلاثة الأولى لفولك؛ إذ كان يحتاج إلى الكثير من المجهود، لكنه ابتسم، وقال:

- سألعب اللعبة الطويلة، وأؤسس نمطًا سلوكيًا، بوسعي أن أكون رجلًا صبورًا.

ابتسمت كارمن:

- أراهن أنك تستطيع فعل ذلك أيضًا.

ثم عدّلت وضعها، وفردت قدميها تحت الضوء الباهت. وكان كل شيء هادئًا، وهما ينظران إلى بعضهما بعضًا. صدرت أصوات وهمهمات في مكان ما في صالة الاستقبال، ودون إنذار عادت الكهرباء مرة أخرى. نظر فولك وكارمن إلى بعضهما، فتبخر الجو الاعترافي الذي ساد الدقائق السابقة مع انقشاع الظلام، وتحركا معًا في الوقت نفسه، فلمست قدمها ركبته، وهما ينهضان من السرير. وقف، ولوّح بيده.

- أعتقد أنه من الأفضل أن أتحرك قبل أن تنقطع الكهرباء مرة أخرى.

وبعد فترة صمت قصيرة، قالت كارمن:

- أعتقد ذلك أيضًا.

وقفت كارمن وتبعته إلى الباب. فتحه، فقابله الهواء البارد الذي ضرب وجهه لدرجة أن عينه دمعت، بينما كان يسير المسافة القصيرة إلى غرفته. استدار إليها، وقال:

- تصبحين على خير.

وبعد فترة تردد، قالت:

- وأنت من أهله.

عندما عاد إلى غرفته، لم يشعل فولك الأضواء، لكنه ذهب إلى النافذة، وترك سلاسل أفكاره تدور في عقله حتى تجد لها مستقرًا. توقف المطر أخيرًا، وكان بوسعه أن يشاهد مجموعة من النجوم عبر فجوات السماء. وقد مر وقت في حياته لم يكن ينظر خلاله إلى السماء قط، إذ كانت الأضواء في المدينة ساطعة طوال الوقت. أما الآن، فهو يحاول أن يسترق النظر إلى السماء. وتساءل ما الذي يمكن أن تراه أليس إذا كانت تنظر مثله الآن إلى السماء؟

كان نور القمر الأبيض ينثر خيوطه الفضية على السحب، فتتوهج. كان فولك يعرف أن صليب الشمال مخفي في مكان ما خلف تلك السحب، إذ رآه كثيرًا عندما كان طفلًا في القرية. وهي واحدة من الذكريات القديمة التي تُلح عليه دائمًا، فكان يحمل أبوه، ويشير إلى السماء المرصعة بالنجوم، ويده الحانية تلتف حوله، لتريه الشكل الذي دائمًا ما كان يدّعي وجوده في مكان ما في السماء. وكان فولك دائمًا ما يصدّق أباه، حتى لو لم يكن بوسعه دائمًا أن يرى.

اليوم الثالث: صباح يوم السبت

ظلت الرياح الباردة تضربهن، ولم تهدأ. وكُنَّ يمشين بتناقل واضح دون أن يتفوهن بكلمة، ورؤوسهن بين أيديهن. وأخيراً، وجدن طريقاً ضيقة، أو شيئاً يشبه الطريق، ربما كانت الحيوانات تستخدمه. وبتوافق مكتوم متبادل بينهن، لم يتفوه أحد عندما كانت الطريق تتلاشى تحت أقدامهن من وقت لآخر، بل كان كل ما يفعله هو أنهن يرفعن أقدامهن أعلى الشجيرات، ويدققن النظر في سيرهن، حتى تظهر الطريق مرة أخرى.

عندما استيقظت بري، لم تستطع أن تحدد المدة التي استغرقتها في النوم. بينما كانت جيل بالقرب منها، لا تزال مستغرقة، وتشخر، وخمّنت أن ربما نومها ثقيل، أو أن الرحلة أنهكتها للحد الذي لم تشعر فيه بالبرودة عندما تطاير الغطاء ليلاً. استلقت بري على الأرض، تحدّق إلى شمس الصباح الشاحبة، وشعرت بوجع في عظامها، وفمها قد تحجّر من العطش. لاحظت أن الزجاجات التي جمعت فيها لورين ماء المطر قد سقطت، لدرجة أنهن سيكُنّ محظوظات لو تجرعن شربة ماء واحدة. وحين بحثت عن الطعام التي تركته لها أختها، لم تجده، فشعرت بشعور يتأرجح بين الارتياح والإحباط.

لا تعرف بري لماذا لم تخبرهن عن سبب عدم تناولها وجبتها، فقد كانت ستقول لهن شيئاً بالفعل، لكنها توقفت، إذ أفزعها قليلاً أن تُرجع السبب إلى النجاة.. النجاة! يا لها من كلمة سخيفة! فقد كانت تثير ضحكها، عندما كانت تسمعها، وهي جالسة على مكتبها نهاية ليلة الجمعة، بينما تحتسي النبيذ. إذا قالت الكلمة كانت ستكون غريبة ومخيفة.

حاولت أن تتحدث مع أختها هذا الصباح، عندما كانتا تطويان منامتيهما المبتلّتين.

- شكراً لك.

لقد جاء دور بيت لتجاهلها:

- لا عليك، لكنني لا أفهم لماذا تخشين منهم هكذا؟!

- ممن؟

- جميعهم؛ أليس، وجيل، ودانيال، بخصوص هذا الشأن.

- لستُ خائفة، لكنني أحتاط لما يفكرون فيه. إنهم مديريّ يا بيت، كما أنهم مديروك أيضًا بالمناسبة!

- إذن، لماذا تفعلين ذلك؟ أنتِ أفضل منهم. (توقفت بيت عن طيّ منامتها، ونظرت إليها) في الحقيقة، إنني لم أكن لأتلق كثيرًا لأليس، لو كنت مكانك!

- ما الذي تتحدثين عنه؟

- لا يهم ما أتحدث عنه، لكن المهم أن تحذري منها. وأظن أنه من الأفضل أن تختاري شخصًا آخر لتتلققيه!

- بالله عليك، ما أفعله أنني أهتم كثيرًا بعملتي. عليك تجربة ذلك.

- وعليك أنت تجربة أن يكون لك وجهة نظر، إنها مجرد وظيفة لعينة! لم تُرد بري بأيّ شيء، لأنها تعلم أن أختها لن تفهم أبدًا. استغرقن عشرين دقيقة ليجمعن مخيمهن المؤقت، وساعة أخرى ليقررن ما الذي عليهن أن يفعلنه؛ أن يبقين، أم يتابعن طريقهن.

أرادت أليس أن تتابع طريقها.. أن تجد طريقًا للخروج. أما لورين، فقد جادلتهن بأنهن يجب أن يبقين على التبة العالية، لأن المكان أكثر أمانًا هنا، إلا أن الرياح كانت عصبية في الأعلى، وظلت تضرب وجوههن، وتوخزها.

عندما بدأ رذاذ المطر مرة أخرى، توقفت جيل عن الإيماء بصبر تعليقًا على كلام لورين، فرُحن يقفن تحت قماش الخيمة، وحاولن أن يجمعن مياه المطر في زجاجة، فيما راحت أليس تسير في المكان، ملوِّحةً بهاتفها في الهواء. وعندما وصلت بطارية هاتفها إلى 30% أمرتها جيل أن تغلقه. يجب أن يلازمن مكانهن، حاولت لورين اقتراح هذا مرة أخرى، لكن أليس فضت الخريطة، فتجمعن حولها، وأشارت إلى المعالم التي على الورقة، فيما كان الهواء يضرب الورقة، ويهدد بسقوطها. أخذود، ونهر، ومنحدر.. لا شيء مما وجدنه أمامهن يطابق ما على الخريطة. ومن ثم، لم يكن في وسعهن التوصل إلى أيّ هضبة هنا!

في أحد أطراف الخريطة طريق شاحنات، سيكون في وسعهن إيجادها إذا سرن عبر الأدغال. «علينا فعل ذلك»، قالت أليس. فيما كانت لورين على وشك أن تضحك، إذ كان ما تقترحه أليس خطيرًا للغاية، فردت أليس بأن انخفاض درجة حرارة الجسم أمر خطير كذلك، وظلت تنظر إليها حتى شاحت بوجهها بعيدًا. في النهاية، حسمت برودة الجو الجدل، فقد أعلنت جيل أنها ليس في وسعها أن تبقى بعد الآن.

سَلِّمَت الخريطة لأليس مترددة، فيما أعطت البوصلة للورين، وقالت:

- لنحاول العثور على الطريق. أعلم أنك لا توافقين على ذلك يا لورين، لكننا عالقون!

تقاسمن شربة المياه التي جمَعْنها، لكن بري شعرت بعد تناول نصيبها بعطش مضاعف. وقرَّرن البدء في السير، متجاهلاتٍ صراخ معداتهن، ووجع أطرافهن. كُنَّ قد سرن مدة ثلاث ساعات، عندما شعرت بري بخبطة خفيفة بجوار حذائها، فتوقفت، ورأت بيضة صغيرة للغاية، تهشمت للتو. نظرت بري إلى الأعلى، فوجدت الأعصان تهتز بفعل الرياح، وبينها يقف طائر بُنيّ صغير ينظر إلى الأسفل، ويرتعش. لم يكن في وسع بري أن تحدد ما إذا كان الطائر قد أدرك ما حدث؛ أنه فقد بيضته الصغيرة، أم أنه يرتعش من البرد؟

سمعت بري صوت أنفاس أختها من الخلف، إذ كانت رثتها قد تعبتا من التدخين. «عليك أنتِ تجربة أن يكون لكِ وجهة نظر، إنها مجرد وظيفة لعينة!». والحق أنها لم تكن يومًا إيجابية، فقد كانت بري في عمر الحادي والعشرين، وعلى وشك التخرج في الجامعة، عندما تأكدت أنها حامل. أما صديقها الذي عرفته لثمانية عشر شهرًا، التي عرفت أنه كان يبحث سرًّا على موقع تيفاني عن خاتم الزواج، فقد ظل صامتًا عندما أخبرته لعشر دقائق، فيما كان يسير في مطبخ شقة الطلبة. وهذه واحدة من الذكريات الجلية، إذ كانت تتمنى لو أنه يجلس، ويحاوطها بذراعيه.

قال: «لقد عملتِ جاهدة في كُليتك، ماذا عن فترة تدريبك؟». كانت فترة تدريبه في نيويورك على وشك أن تبدأ بعد أربعة أسابيع، وسيتبع ذلك فرصة عمل لطالب متخرج في كلية الحقوق. «كم متخرج يمكن لشركة بيلي تينانتس أن تقبل كل عام؟». واحد فقط. إن الشركة تقبل متخرجًا واحدًا سنويًا في

برنامجها للتطوير. كان يعرف ذلك. وهذا العام، كانت من ستقبله الشركة هي بري ماكينزي. «أنت متحمسة»، وكان ذلك صحيحًا. لقد كانت متحمسة لمثل تلك الفرصة. والحق أنها لا تزال متحمسة بكل تأكيد.

«رأسي يكاد ينفجر، أنا أحبك كثيرًا. الأمر أن.. (واغرورقت عيناه بالدموع) الأمر أن الحمل تم في توقيت سيئ!». رضخت له، وفي اليوم التالي كان قد ساعدها في حجز الموعد اللازم. قال: «إن أطفالنا سيكونون فخورين بنا في يوم من الأيام». لقد قال: «أطفالنا!» بالتأكيد. كانت تتذكر هذه الكلمة بوضوح. «الأمر الأكثر ضرورة الآن أن تحققى الكثير من النجاح في عملك. أنت تستحقين استغلال كل الفرص المتاحة لك».

لقد أخبرت نفسها مرارًا، في وقت لاحق، أنها قد ضحّت بحملها من أجل عملها، ومن أجل كل الفرص العظيمة التي كانت متاحة لها، ولم تفعل ذلك من أجله بالتأكيد، لكنها على أي حال كانت محظوظة، فلم يتواصل معها مرة واحدة بعد أن غادر إلى نيويورك.

نظرت بري إلى الأسفل، إلى البيضة المهشمة، ثم إلى الأعلى مرة أخرى، فلم تجد الطائر، ولم تجد ما تفعله سوى أن توارى البيضة المهشمة ببعض ورق الأشجار الجاف.

- لنتوقف هنا. (كان صوت جيل، وهي تجر حقيبتها) لنسترح دقيقة.

- هنا؟

ردت أليس بتعجب. كانت الأشجار لا تزال تُضيق عليهن الطريق. ودون كلمة، توجهت جيل صوب بركة كوَّنتها مياه الأمطار في وعاء في جذع شجرة. جيل، التي رأتها بري ذات يوم ترفض شرب شاي أعشاب، لأن الأعشاب كانت منقوعة لوقت طويل، غرست يدها فجأة في الوعاء، وشربت منه بتلذذ. توقفت لتُخرج من فمها شيئاً لونه أسود، ثم غرست يدها مرة أخرى، وشربت ثانية.

ابتلعت بري لعابها، فلسانها كان قد جف وتورم، فاتجهت صوب وعاء الماء، وغرست يدها، لكن الشربة الأولى سقطت كلها على معصمها، بعد ارتطام ذراعها بجيل، فغرست يدها ثانية، محاولة أن تكون راحة يدها ملتصقة بشفتيها، وأكثر استقامة هذه المرة. كان مذاق المياه رديئاً وشنيعاً، لكنها لم تتوقف. الآن صار هناك أربعة أزواج من الأيدي تتصارع على الماء.

دفعت إحداهن يدها لتأخذ مكانها، فعادت بري مرة أخرى متجاهلة ألم إحدى أصابع يدها، التي انثنت للخلف. وغرزت يدها مرة أخرى في محاولة منها للحصول على نصيب أكبر، وبدأت أصوات الهمهمات والتهايم المياه تتعالى في آذانهن. وقبل أن تدرك ذلك، كانت المياه قد نفذت، وأظفارها تخدش القاع الطحلي للوعاء.

تراجعت بسرعة، ووجدت فمها قد صار خشناً، وشعرت بعدم التوازن، كما لو أنها تجاوزت خطاً لم يكن من المفترض أن تتجاوزه. ظنت أنها ليست الوحيدة التي فعلت ذلك، فرأت المفاجأة على وجوههن. كانت المياه تتمخض في معدتها الفارغة، فعضت شفتيها حتى لا تتقيأ. وبدأت يتراجعن عن الوعاء واحدة تلو الأخرى، متحاشين النظر بعضهن إلى بعض. جلست بري على حقيبتها، وهي تراقب جيل، وقد خلعت حذاءها وجوربها المدمى. كان كعب قدمها مدمى ومكشوطاً. وبالقرب منها، كانت لورين تتفقد البوصلة للمرة الألف. وأمّلت بري أن تخبرها بشيء هذه المرة. ثم سمعت صوت تكة القذّاحة، ولمحة ضعيفة من دخان سيجارة. قالت أليس:

- أتمرحين، هل من اللازم أن تفعلني ذلك الآن؟!

- نعم، لهذا يسمونه إدماناً!

لم ترفع بيت عينيها تجاه أليس، لكن بري شعرت أن ثمة أصداء غير مريحة تنتشر عبر المجموعة.

- إنه أمر مقزز! هذا ما يجب أن يسمى، أطفئي سيجارتك!

كان بوسع بري أن تستنشق دخان السيجارة بالكاد. قالت أليس مرة أخرى:

- أطفئي السيجارة!

نظرت بيت إلى أعلى هذه المرة، ونثرت سحابة كبيرة من الدخان، فعلق الدخان في الهواء، وكأنه يسخر من أليس. وفي حركة مفاجئة وسريعة، مسكت أليس علبة السجائر، وبأقصى ما لديها، طوّحتها في الهواء.

وقفت بيت:

- أنتِ..!

وقفت أليس هي الأخرى:

- انتهت الاستراحة، لنواصل طريقنا.
- تجاهلتها بيت، ودون أيّ كلمة، استدارت واتجهت إلى حيث أُلقت أليس
علبة السجائر، واختفت بين الأشجار. صاحت أليس:
- لن ننتظرك!
- ولم تجد ردًّا إلا من قطرات المياه التي تتساقط على أوراق الشجر، فالمطر
قد بدأ في السقوط مرة أخرى.
- بالله عليك، لنواصل طريقنا، سنتبعنا.
- شعرت بري ببادرة غضب تظهر على وجه جيل، وهي تهز رأسها. أخذ
صوت جيل نبرة لم تسمعها بري من قبل:
- لن يغادر أحد يا أليس، ومن الأفضل لك أن تعثري عليها، وتعذري لها
إن لزم الأمر!
- أتمزحين؟!
- بالطبع لا!
- لكن..
- عندها سمعن صيحة عالية من وراء الستائر الصلبة للأدغال. جاء صوت
بيت مكتومًا، وبدا بعيدًا للغاية:
- أنتِ، لا يوجد شيء هنا!

الفصل الرابع عشر

كانت الشمس غائمة عندما طرقت فولك باب غرفة كارمن. كانت قد حزمت حقيبتها وتنتظره. حملا حقائبهما متجهين إلى موقف السيارات، محاولين أن يجدا لنفسيهما موطن قدم، فقد جعل المطر الذي انهمر طوال الليل الطريق زلقة. عندما وصل فولك إلى السيارة، راح يزيل بعض أوراق الشجر الجافة، التي سقطت أسفل المساحات، قائلاً:

- ماذا كانت نتيجة الاتصال؟

لم تكن كارمن في حاجة إلى قول: «كالمعتاد». ومن ناحيته، كان فولك يعرف أن مكالمتها ستكون تكرارًا للمكالمة التي أجراها في الليلة السابقة؛ «أحضرا العقود.. أحضرا العقود». دفعت كارمن حقيبتها في صندوق السيارة، وقالت:

- هل أخبرت كينج أننا سنغادر؟

أوماً فولك بالإيجاب. فبعدما ترك كارمن في الليلة السابقة، أرسل رسالة للرقيب كينج، فعاود الضابط الاتصال به بعد ساعة، وأطلعها بعضهما على المستجدات، لكن للأسف كانت مكالمة قصيرة ومخيبة للأمال من الجهتين. ويبدو أن عدم تحقيق أي تقدم كان السبب في ذلك. قال فولك:

- هل فقدت الأمل؟

كينج:

- ليس تمامًا، لكننا نشعر كلما طال الوقت أننا نبحث عن إبرة في كومة قش.

- إلى متى ستواصلون البحث؟

- حتى يصير البحث دون جدوى. (لكنه لم يقل بالضبط ما يعنيه) لكننا سنضطر إلى تقليص حجم البحث إذا لم نجد أي شيء قريباً، وأرجو أن تحفظ هذا السر.

كان بوسع فولك أن يرى التوتر على وجوه مجموعة المفتشين، وهم ينتظرون في السيارة، فدفع حقيبته بجوار حقيبة كارمن، واتجها إلى صالة الاستقبال. كان هناك موظف يجلس خلف المكتب، ويعطي تعليمات للمرأة التي تجلس أمام حاسب قديم مخصص للزوار.

- حاولي الدخول مرة أخرى.

- لقد حاولت مرتين.. إنه لا يسمح لي بالدخول!

أدرك فولك أنها لورين، إلا أن صوتها كان قريباً من البكاء، فنظرت إلى أعلى عندما سمعت أنهما يسلمان مفاتيحهما إلى موظف الاستقبال.

- هل ستغادران الفندق؟ هل ستعودان مرة أخرى إلى ملبورن؟ (كانت قد وقفت عند هذه النقطة) هل يمكنكما أن تصطحباني؟ أرجوكم أريد أن أعود إلى البيت. كنت أحاول أن أجد أي وسيلة للعودة منذ الصباح.

كانت عيناها حمراوين ومتغضنتين في نور الصباح القوي، ولم يكن فولك على بينة؛ أكان ذلك بسبب افتقارها للنوم، أم لأنها كانت تبكي. ربما كان الاثنين!

- هل أعطاك الرقيب كينج تصريحاً بالعودة؟

قالت وقد وصلت عند الباب بالفعل:

- نعم، لقد قال إنه مسموح لي بالعودة. لا تغادرا دوني من فضلكما. سأحضر حقيبتي. أمهلاني خمس دقائق فقط.

اختلفت قبل أن يتمكننا من قول أي شيء. وعلى مكتب الاستقبال، لاحظ فولك كومة من المنشورات المطبوعة حديثاً. كانت كلمة «مفقودة» مكتوبة بأحرف عريضة فوق صورة مستنسخة لأليس راسل، وهي تبتسم في العمل، مرفقة بالتفاصيل الرئيسية والوصف. وفي الأسفل وضعت آخر صورة التقطها إيان تشيس عند بداية طريق شلالات ميورور.

نظر إليها فولك، إذ كانت جيل بيلي واقفة في المنتصف، وأليس ولورين على يسارها. فيما كانت بري على يمينها، وبيث متراجعة خطوة إلى الوراء،

ومنفصلة عن بقية المجموعة. وكان من السهل أن تتبين بدقة تفاصيل الصورة على المنشور من هاتف تشيس. كانت الوجوه كلها تبتسم، إلا أنه مع التدقيق، وجد فولك أن كل ابتسامة تبدو قسرية. زفر، ثم طوى المنشور، ووضعه في جيب سترته.

استخدمت كارمن لاسكي موظف الاستقبال، لتتأكد مما قالته لورين بشأن سماح الرقيب كينج لها بالعودة، وفي هذا الوقت عادت لورين مرة أخرى، كانت تقف عند المدخل، ممسكةً بحقيبتها. كانت الحقيبة قذرة، وقد أدرك فولك بدهشة أنها نفس الحقيبة التي بدأت بها لورين الرحلة.

قالت لورين، وهي تتبعهما إلى موقف السيارات:

- شكرًا جزيلاً لكما.

ثم صعدت إلى المقعد الخلفي للسيارة. سحبت حزام الأمان، وجلست مستقيمة، يدها متكئة على فخذيها، ثم أدرك فولك محبطاً أن عليه المغادرة. فقال، وهو يدير المحرك:

- هل كل شيء على ما يرام في المنزل؟

تغضن وجه لورين:

- لا أعرف، هل لدى أحد منكما أبناء؟

هز فولك وكارمن رأسيهما.

- لا، حسناً، إذ في كل مرة تديران فيها ظهركما، ستجدان أن الأبناء قد تسببوا في شيء!

وعلى الرغم من أن الكلام يفسر بعضه بعضاً، فإن فولك انتظرها أن توضح أكثر، لكنها لم تقل شيئاً إضافياً. تجاوزوا الشارة التي تحدد الحدود الرسمية للمتنزه، وهم يتجهون إلى المدينة الصغيرة. كان فولك يرى وجهها مألوفاً في محطة البنزين، فتحقق من مؤشر البنزين، ثم دخل إلى المحطة. لقد كان هو نفسه موظف الاستقبال الذي يجلس خلف المكتب. قال عندما رأى فولك الذي لم يكن يسأل:

- لم يجدوها بعد.

- ليس بعد...

نظر فولك إلى الرجل مدققًا للمرة الأولى، إذ كانت القبعة التي يعتمرها تخفي شعره، إلا أن حاجبيه ولحيته حالكو السواد. سأل الرجل:

- ألم تجدوا أيًا من متعلقاتها؛ ملجأ، حقيبة؟

فهز فولك رأسه بالسلب. فتابع الرجل:

- من المحتمل أن يكون هذا فأل حسن. إذا وُجد أيُّ من متعلقاتها أو ملجأ كانت مختبئة فيه، دائمًا ما تكون الخطوة التالية هي العثور على الجثة، إذ لا تستطيع النجاة دون معدات. أظن أن الإشارات تقول إنهم لن يعثروا عليها في الوقت الحالي. ذلك إذا لم يكن هناك بادرة أمل حتى الآن.

- حسنًا، لنأمل أن تكون مخطئًا!

نظر الرجل إلى الخارج، وقال:

- أنا لست مخطئًا!

فيما خرجت كارمن ولورين من السيارة، ووضعتا أيديهما على صدرَيهما، وتمتعا بالجو البديع.

- أتخطط للعودة مرة أخرى؟

- لا أعرف، ربما سأعود إذا وجدوها.

- في هذه الحالة، أتمنى أن أراك قريبًا يا رفيق.

وقد اكتست الكلمات الأخيرة بطابعٍ عزائيٍّ. عاد فولك إلى السيارة مرة أخرى، وصعد إلى مقعد السائق. كانت المدينة والنزل على بعد عشرة كيلومترات، قبل أن يدرك فولك أنه تجاوز السرعة المقررة، لكن لم تكن كارمن ولا لورين قد اعترضتا على ذلك، إذ عندما اختفى الأفق من المرآة الخلفية التي ينظر فيها فولك، كانت لورين قد بدّلت مقعدها في الخلف. قالت:

- على ما يبدو أنهم يعتقدون أن الكوخ الذي استخدمناه يعود إلى مارتن كوفاك، هل تعرفان ذلك؟

نظر فولك في المرآة فيما كانت تنظر إلى النافذة، وتقضم أظفارها.

- من أخبرك بذلك؟

- جيل، لقد أخبرها أحد المفتشين.

- أعتقد أنه مجرد شك حتى هذه اللحظة، لكنه لم يتأكد.

جفلت لورين، وأزالت أظفارها من فمها؛ كانت إصبعها تنزف. وفي تلك اللحظة، شكّل ظل القمر تجويف الهلال على الأريكة، فنظرت لورين إليه، وبدأت تبكي. التفتت كارمن لتعطيها منديلاً، وقالت:

- هل تريدان أن نتوقف لنستنشق بعض الهواء؟

توقف فولك في حارة الطوارئ، وكانت الطريق فارغة على الجهتين، وأفسحت مناطق الغابات المساحة للأراضي الزراعية، أما فولك، فقد دُكر بأن يخرج من تلك المنطقة قبل يومين فقط، لكن بدا أن هذا قبل وقت طويل للغاية، ففي الغد سوف يمر أسبوع منذ إعلان اختفاء أليس. «حتى يصير البحث دون جدوى!».

عاد فولك إلى الخلف، وأحضر زجاجة مياه من صندوق السيارة للورين. كان ثلاثتهم واقفين بجانب الطريق، بينما كانت لورين تشرب. لعقت لورين شفيتها، إذ كانتا شاحبتين وجافتين:

- اعذراني، أشعر بالحزن، لأنني غادرت، وأليس لا تزال مفقودة!

- كانوا سيخبرونك لو كان هناك أي شيء يمكنك فعله.

ابتسمت ابتسامة خفيفة:

- أعرف، وأعرف أيضاً أن أليس كانت ستفعل ما أفعله لو كانت مكاني، لكن ذلك لا يجعل الوضع أسهل عليّ. (ثم رشفت رشفة أخرى من الزجاجة، وكانت يدها أكثر ثباتاً) إن زوجي اتصل بي، ومدرسة ابنتي تتواصل مع الآباء. وقد تسربت بعض الصور لطالبة عبر الإنترنت، ويبدو أنها صور فاضحة!

قالت كارمن:

- أليست صوراً لابنتك؟

- نعم، ليست لربيكا؛ إنها لا تجرؤ على فعل شيء مثل هذا، لكن.. أسفة، شكراً لك.. (نظرت لورين إلى المنديل الذي قدّمته لها كارمن، ومسحت عينيها) لكنها وقعت في مشكلات من هذا النوع في العام السابق، مشكلات لا تخص الصور الفاضحة -والحمد لله-، لكن مشكلات تتعلق بالتنمر، إذ كانت بعض الفتيات الأخريات يلتقطن لها الصور، وهي تبدل ملابسها

بعد ممارسة الرياضة، أو تتناول غداءها، ومثل هذه الأشياء الغيبية، لكنهن كُنَّ يشاركن هذه الصور على هواتفهن، وعلى مواقع التواصل الاجتماعي بتشجيع من بعض الطلاب الأولاد، وقد تركنا الموضوع للمدرسة. أما ريببكا.. (توقفت لورين) كانت تمر بوقت عصيب.

- أنا آسفة لسماع ذلك!

- حسنًا، ونحن أيضًا، إنها قصة لا تُصدَّق، خاصةً عندما أفكر في المال الذي أنفقته لإرسالها لهذه المدرسة، لكنهم كتبوا لنا أنهم سيؤدّبون الفتاتين المسؤولتين عما وقع لريببكا. (ثم مسحت لورين عينيها مرة أخرى) آسفة، عندما أسمع طرفًا من الموضوع، أتذكر كل شيء عنه!

- الفتيات يَكُنَّ وقحات حقًّا في هذه المرحلة من العمر! أتذكر ذلك رغم أن مدرستنا كانت شاقة للغاية حتى دون إنترنت!

- ما نراه الآن عالم مختلف تمامًا، لا أعرف ما المفترض أن أفعله. أأحذف كل حساباتها على مواقع التواصل الاجتماعي، أم أسحب منها هاتفها؟ لكنني من الممكن أن أطلب منها أن تقطع يدها نظرًا للطريقة التي ستنظر لي بها. (أنهت شرب المياه، ثم مسحت عينيها مرة أخرى، ثم ابتسمت ابتسامة دامعة، وقالت) عذرًا، لكنني أعتقد حقًّا أنني يجب أن أكون في المنزل.

صعدوا إلى السيارة، وأمالت لورين رأسها إلى الزجاج حين أدار فولك المحرك، ولاحظ من صوت أنفاسها أنها غطَّت في النوم، وهي متكومة كذلك، ظن فولك أنها كقشرة الثمار، كما لو أن الأدغال قد سحبت روحها.

تبادل هو وكارمن القيادة والغفوات. وقد ازداد تساقط حبات المطر على زجاج السيارة الأمامي كلما تقدموا في المسافة، ونظرًا لأنهم تجاوزوا منطقة الغابات وطقسها كذلك، بدأ راديو السيارة يُصدِر قرقرعات ناعمة عندما عادت المحطات للعمل واحدة تلو الأخرى. قالت كارمن عندما طنَّ هاتفها:

- هلولويا.. لقد عادت الإشارة.

هبطت في مقعدها، وتفقّدت الرسائل. قال فولك:

- أيتحرَّق جيمي لعودتك إلى المنزل؟

ثم سأل نفسه لماذا سألها هذا السؤال!

- نعم، حسنًا، هو يريد ذلك، لكنه في الخارج لحضور دورة ليومين.
ودون وعي لمست خاتم خطوبتها، ووجد فولك نفسه يفكر في الليلة
الماضية. تنهد، ونظر إلى المرأة، فوجد لورين لا تزال نائمة، ولا يزال عبوسها
باديًا على وجهها.

- يبدو أنها سعيدة بالعودة على أي حال.

نظرت كارمن إلى المقعد الخلفي:

- نعم، أعرف أنها كذلك بعد كل ما مرت به.

- هل ذهبت من قبل إلى مثل تلك الرحلات التي تحدث على العمل الجماعي؟

- لا، والحمد لله. وأنت؟

هز فولك رأسه:

- أظن أنها أشياء تحدث في الأماكن الخاصة.

- لقد خاض جيمي رحلتين من قبل.

- مع الشركة التي تصنع المشروبات الرياضية؟

ابتسمت كارمن:

- إنه نمط حياة متكامل خاص بالعلامة التجارية للشركة، لكن، نعم، إن

الشركة تخطط لمثل هذا النوع من الرحلات.

- وهل خاض رحلات المشي لمسافات طويلة؟

- لا أعتقد، فغالبًا ما ترتبط الرحلات برياضات المغامرة. رغم أنه كان قد

اضطر إلى مرة واحدة مع مجموعة أن يببّلطوا حَمَامًا في بيت غير مسكون.

ضحك فولك:

- حقًا؟ وهل كان يعرف شيئًا عن التبليط؟

- لا أعتقد، بل إنهم كانوا على يقين من أنهم سيهدمون الحَمَام في اليوم

التالي على مغادرة هذه المجموعة، لذا، فقد سار الأمر كما تتخيل

بالفعل، وحتى هذا اليوم، لا يتحدث مع رفاقه عن هذا الأمر.

ابتسم فولك فيما نصب عينيه على الطريق:

- هل استعددتما لحفل الزواج؟

- إلى حد كبير. على الرغم من أن موعد الزفاف قد جاء بسرعة، فإننا قد

استطعنا إحضار قسيس ليتم إجراءات الزواج، وجيمي يعرف متى

وأين سيظهر، لذا، فإن الأمور بخير. (ثم ألقت نظرة عاجلة إلى فولك)
عليك أن تأتي إلى الحفل.

- ماذا؟ لا، أنا لا أهوى صيد الأسماك!

وقد كان بالفعل لا يهوى تلك الهواية، كما أنه لم يكن بوسعه تذكر المرة
الأخيرة التي ذهب فيها إلى حفل زواج.

- أعرف ذلك، لكن عليك أن تأتي، سيكون حفلاً جيداً. وسيكون ذلك جيداً
لك على أي حال. كما أنني لديّ العديد من الصديقات العازبات.

- هل سيكون الحفل في سيدني؟

- إنها على بُعد ساعة واحدة بالطائرة.

- والحفل سيكون بعد ثلاثة أسابيع، ألم يفت الأوان على حجز مقاعد
الحفل، وكل ما يلزم ذلك؟

- لقد قابلت خطيبي. يجب عليّ أن أضع كلمة «لا دخول بالجينز!»، على
دعوات الزفاف، ثم هل يبدو لك الحفل مثل هذا النوع من الحفلات التي
تفرض قيوداً على المقاعد؟ (ثم تتأبّت كارمن) على أي حال، سأرسل
إليك التفاصيل، ففكر في الأمر.

صدرت حركة من المقعد الخلفي، فنظر فولك إلى المرأة. كانت لورين قد
استيقظت، وتنظر حولها بعينين متسعيتين، وتبدو كشخص نسي أين كان.
بدت لورين مذهولة بإشارات علامات المرور، ولم يلمها فولك، فبعد قضائه
يومين في الغابات، شعر بالذهول نفسه. تبادل هو وكارمن المقاعد، وكل
منهما قد جلس على كرسيه غارقاً في أفكاره، بينما تأخذ المدينة في الاقتراب،
فيما كان الراديو في الخلفية، والأخبار تُذاع على رأس الساعة. رفع فولك
الصوت، ثم ندم على ذلك. وقد ذاع الراديو الخبر الذي كانت القصة الرئيسية
فيه أن الشرطة تحقق في وجود خيط محتمل بين المجرم سيئ السمعة، وبين
الكوخ الذي شوهدت فيه السيدة أليس راسل من ملبورن لآخر مرة.

لم يكن فولك متفاجئاً أن تلك التفاصيل قد تسربت، فمع وجود هذا العدد
من المفتشين، فإن تسريب خبر كهذا مسألة وقت فقط، لكنه التفت إلى
الخلف، فجاءت عينه في عين لورين، وبدت مذعورة.

- أتريد أن أطفى الراديو؟

هزت رأسها بالسلب، فراح فولك يستمع إلى الراديو الذي كان يرف تفاصيل كان قد واراها الزمن لعقدين؛ خبر الفتيات الثلاث الضحايا، ورابعة لم يُعثر عليها قط. وصوت الرقيب كينج يملأ السيارة، ويؤكد على الطبيعة التاريخية للأحداث التي ترتبط بمارتن كوفاك. مع التأكيد على أن جهود البحث جارية، ورجاء من أي شخص كان في هذه المنطقة أن يذلي بأي معلومات من شأنها أن تفيد الشرطة، ثم انتهت النشرة الإخبارية.

نظر فولك إلى كارمن. لم يكن هناك أي إشارة لابن كوفاك، ويبدو أن كينج فضل أن يبقى هذه المعلومة سرًا في الوقت الراهن. قادتهما لورين إلى بيت في ضاحية من تلك الضواحي المليئة بالأشجار؛ هذا النوع من البيوت الذي يدعي وكلاء العقارات أنه ملكهم. توقفت كارمن عند بيت يبدو أنه مُعتنى به، لكنه عانى في آن بعض الإهمال مؤخرًا. العشب أمام البيت كان متضخمًا، ولم يكلف أحد نفسه بإزالة الرسومات الموجودة على السياج. أزال لورين حزام الأمان، وبدا على وجهها بعض الارتياح:

- شكرًا لكما مرة أخرى، سيطلعي أحدكما على أي أخبار جديدة فورًا، أليس كذلك؟ عن أليس؟

فولك:

- بالطبع، أتمنى أن يكون كل شيء على ما يرام فيما يتعلق بابنتك.
- أتمنى ذلك أيضًا.

لكنها لم تبد واثقة من ذلك تمام الثقة، وشاهدا لورين، وهي تأخذ حقيبتها، وتختفي داخل البيت. التفتت كارمن إلى فولك، وقالت:

- ماذا الآن؟ أيجب علينا أن نخبر دانيال بيلى أننا في طريقنا إليه أم نفاجه؟
فكر فولك في الأمر:

- لنخبره، سيحب أن يراه الناس يساعد في مجهودات عمليات البحث، كما أن هذا سيجعلنا نأمن جانبه.

أخرجت كارمن هاتفها، واتصلت بشركة دانيال بيلى. ثوان، وأغلقت الخط عابسة.
- ليس في المكتب.

- حقًا؟!

- إن سكرتيرته كانت مُصرّة على أنه غادر لعدة أيام، وعلى ما يبدو لأسباب شخصية.

- كل هذا وموظفته مفقودة؟

- أعتقد أن جيل أيضًا قد قالت إنه عاد لشأنٍ عائليّ!

- أعرف ذلك، لكنني لا أصدقها، يمكننا محاولة الذهاب إلى بيته.

أدارت كارمن محرك السيارة مع نظرة عميقة على وجهها.

- أتعرف، إن بيت أليس ليس بعيدًا جدًّا عن هنا، وربما نكون محظوظين

إن وجدنا جازًا لها يساعدنا على دخول بيتها بمفتاحٍ احتياطيّ.

نظر إليها فولك:

- ومن ثم سنجد المستندات التي نحتاج إليها مطبوعة ومتروكة على

طاولة المطبخ؟

- نعم، سيكون هذا أفضل سيناريو.

«أحضرا العقود.. أحضرا العقود». تلاشت ضحكة فولك:

- حسنًا، دعينا نر ما يمكننا فعله.

بعد عشرين دقيقة، استدارت كارمن بالسيارة، واتجهت إلى شارع ممتلئ

بأوراق الأشجار، وأبطأت. لم يزورا أليس راسل في بيتها من قبل، لذا كان

فولك ينظر حوله باهتمام. كان الحي هادئًا للغاية. الرصيف والسياح كانا

نظيفين، والسيارات القليلة التي كانت تقف على الطريق تلمع في الضوء.

وظن فولك أن معظم السيارات موجودة تحت حماية جراجات مغلقة. أما

الأشجار التي تصطف على جانبي الرصيف، فكانت تبدو كنماذج بلاستيكية،

مقارنةً بالخضرة الفطرية التي كانوا ينعمون فيها في الأيام الثلاثة الماضية.

تسللت كارمن، وهي تحدّق إلى صناديق الرسائل البراقة.

- يا إلهي! لماذا لا يضع هؤلاء القوم أرقامًا على بيوتهم؟

- لا أدري! ربما ليبعدوا حثالة القوم.

ثم لاحظ حركة أمامه لفتت نظره، وقال لكارمن:

- انظري!

كان يشير إلى بيت باللون الأبيض الكريمي في نهاية الطريق. تابعت كارمن نظره، فازداد اتساع عينيها من المفاجأة، عندما رأت شخصاً يخرج من الممر الخاص بالسيارات، وهو مطأطأ الرأس. ضغط على شيء في يده، فصدر عن السيارة «البي إم دبليو» الواقفة على الطريق طنين طفيف، في إشارة إلى أن قفل الباب قد انفتح. كان هذا الشخص هو دانيال ببلي. قالت كارمن:

- أتمازحني؟!

كان دانيال يرتدي سروالاً من الجينز، وقميصاً غير مكوي، ثم مرر يده المضطربة على شعره الداكن، وهو يفتح باب مقعد السائق. صعد إلى السيارة، وأدار المحرك، وابتعد عن الرصيف. استدارت السيارة حول ركن، وغابت عن النظر في الوقت الذي وصلا فيه إلى البيت. تابعت كارمن السيارة حتى ابتعدت، وابتلعته الطريق الرئيسية. قالت:

- لن أكون سعيدة إذا طاردناه.

وهز فولك رأسه:

- لا، لن نفعل ذلك. لا أعرف ما كان يفعل، لكن لا يبدو لي، وكأنه يهرب من شيء!

استدارت كارمن بالسيارة، ووقفت أمام البيت ذي اللون الأبيض الكريمي:
- أعتقد أننا وجدنا بيت أليس على أي حال.

أطفأت محرك السيارة، وخرجا منها. ولاحظ فولك أن جو المدينة قد أضيف إليه طبقة رقيقة يشعربها في رثنيه مع كل نفس يتنفسه. وقف على الرصيف، وشعر بأن الخرسانة تحت حذائه قاسية جداً، وراح يتطلع إلى البيت المكوّن من طابقين. كانت حديقته كبيرة، وأعشابها تُقص بدقة واستمرار، وزجاج الباب الأمامي من اللون الأزرق الداكن. وعلى باب البيت توضع سجادة صغيرة ترحب بالزائرين.

كان بوسع فولك أن يستنشق رائحة الورد الشتوية في الجو، ويسمع أبواق السيارات البعيدة. وفي الطابق الثاني من بيت أليس راسل، وعبر نافذة لامعة تطل على الطريق، كان بوسعه أيضاً أن يرى خمس أصابع مديبة تضغط على اللوح الزجاج، وطرفاً من شعر أشقر، يعلو وجهها ذا فم مفتوح، وينظر إلى الخارج...

اليوم الثالث: ظهيرة يوم الثلاثاء

- هناك شيء ما بالخلف.
- كان صوت بيت مكتومًا. وبعد لحظة مصحوبة بأصوات الخشخشة والطققة ظهرت مرة أخرى، محاولة إيجاد موطئ لقدميها، فيما تتكاثر الشجيرات من حولها بشكل عال وهائج على جانبي الطريق.
- من هنا، لقد وجدت ملجأً.
- نظرت إلى الجهة التي أشارت إليها بيت، لكن الأشجار كانت كثيفة، وتحجب النظر، فلم تستطع أن ترى شيئاً.
- أي شكل من الملاجئ؟
- مطت جيل عنقها، وأخذت خطوة إلى الأمام، فصرخ كعب قدمها المكشوط في احتجاج:
- الملجأ مزود بسقيفة أو شيء يشبهها، تعالي لتنظري.
- اختفت بيت مرة أخرى. وحولهن، كان انهمار المطر يتزايد بإصرار. ودون إنذار عبّرت بري عبر العشب الطويل، ودخلت خلف أختها.
- انتظرا..
- كادت جيل تصرخ، لكن ذلك كان متأخرًا للغاية، إذ كانتا خارج النظر، فالتفتت إلى أليس ولورين، وقالت:
- تعاليا، لا أريدنا أن ننفصل.
- خرجت جيل عن الطريق، ودخلت إلى الغابة قبل أن تعترض إحدهما. كانت ملابسها تتشابك في أغصان الشجر، وكان عليها أن ترفع قدميها دومًا حتى تتجنب التعثر. استطاعت أن تتبين ألوان سترتي الأختين تظهر وتختفي. وفي النهاية، توقفنا عن الحركة، فلحقتهما جيل، وهي تتنفس بصعوبة.
- يربض الكوخ صغيرًا وجائئًا في مساحة صغيرة في الخلاء، خطوطه الصلبة تتعارض مع المنحنيات المتلوية للأدغال. به نافذتان تبدوان وكأنهما

صُنِعَتَا عِنُودَ عِبرِ الخَشْبِ المَتَعَفَنِ، وَمَفصَلَاتِ البَابِ فَاسِدَةً، فَتَسبَبَتْ فِي انْهِيَارِهِ. نَظَرْتُ جَيْلَ إِلَى الأَعْلَى. قَدْ تَكُونُ الجِدْرَانِ مَنحَنِيةً، لَكِنْ يَبْدُو أَنَّ سَقْفَ المَكَانِ لَا بِأَسَ بِهِ.

سَارَتْ بَيْثَ إِلَى الكُوخِ، وَوَضَعْتُ وَجْهَهَا عَلَى النَافِذَةِ، فَانزَلْتُ مُؤخَّرَةً رَأْسَهَا بِسَبَبِ المَطَرِ. صَاحَتْ بَيْثَ:

- إِنَّهُ فَارِغٌ مِنَ الدَاخِلِ، سَأَدْخُلُ.

دَفَعْتُ بَابَ الكُوخِ المَتَهَالِكِ، فَتَفَاجَأْتُ بِسَوَادِ الجِزءِ الدَاخِلِيِّ. وَقَبْلَ أَنْ يَكُونَ بَوسَعِ جَيْلٍ أَنْ تَقُولَ أَيَّ شَيْءٍ، تَبَعْتُ بَرِي أختَهَا إِلَى الدَاخِلِ. كَانَتْ جَيْلٌ وَحِيدَةً، وَصَوْتُ أَنفَاسِهَا يَتَصَاعَدُ فِي أذُنِهَا. وَفَجْأَةً ظَهَرَ وَجْهَ بَيْثَ فِي النَافِذَةِ:

- الكُوخُ جَافٌ فِي الدَاخِلِ، تَعَالَى لِتَنظُرِي.

كَانَتْ جَيْلٌ تَتَعَثَّرُ فِي العِشْبِ الطَوِيلِ، وَهِيَ فِي طَرِيقِهَا إِلَى الكُوخِ. وَعَلَى البَابِ، شَعَرْتُ بِوِخْزٍ مِنْ عَدَمِ الِارْتِيَاكِ، إِذْ كَانَ يَجْتَاكِهَا شَعُورٌ حَادٌ بِأَنَّ تَسْتَدِيرُ وَتَعُودُ مِنْ حَيْثُ أَتَيْتِ، لَكِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مَا يَمَكِّنُ أَنْ تَعُودَ إِلَيْهِ. لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ سِوَى الغَابَاتِ وَمَزِيدٍ مِنَ الغَابَاتِ، لَكِنَّهَا أَخَذَتْ نَفْسًا وَدَخَلَتْ.

كَانَ الجِزءُ الدَاخِلِيُّ مِنَ الكُوخِ قَاتِمًا، فَاسْتَغْرَقَ مِنْ جَيْلٍ دَقِيقَةً حَتَّى تَعْتَادَهُ عَيْنَاهَا. كَانَتْ تَسْمَعُ أَصْوَاتَ طَقْطَقَةِ خَفِيفَةٍ فَوْقَ رَأْسِهَا، لَكِنْ السَقْفُ كَانَ لَا بِأَسَ بِهِ عَلَى الأَقْلِ، فَخَطَّتْ خَطْوَةً أُخْرَى إِلَى الدَاخِلِ، وَهِيَ تَسْمَعُ أَصْوَاتَ طَقْطَقَةِ تَصَدُّرٍ عَنِ الأَلْوَاكِ الأَرْضِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيْهَا. بَعْدَ قَلِيلٍ، ظَهَرَتْ لُورِينَ عِنْدَ البَابِ، وَهِيَ تَنْفُضُ المَطَرِ عَنْهَا. وَأَلَيْسَ تَقِفُ وَرَاءَهَا، تَرَاقِبٌ، وَلَا تَقُولُ شَيْئًا.

طَالَعْتُ جَيْلَ الكُوخِ بِعَيْنَيْهَا. كَانَ غَرِيبَ الشَّكْلِ وَفَارِغًا إِلَّا مِنْ طَاوِلَةٍ وَاهِنَةٍ مَوْجِهَةٌ تَجَاهَ الحَائِطِ. وَخِيُوطُ العِنَاكِبِ مَغزُولَةٌ بِكثَافَةٍ، بِلَوْنِهَا الأَبْيَضِ فِي زَوَايَا الغُرْفَةِ، وَثَمَّةٌ طَيْرٍ شَدِيدٌ عَشَّةً مِنَ الأَغصَانِ وَأُورَاقِ الشَّجَرِ فِي فَتْحَةٍ صَغِيرَةٍ مِنَ الأَلْوَاكِ الأَرْضِيَّةِ. وَعَلَى الجِهَةِ الأُخْرَى، عَلَى الطَاوِلَةِ، وَضِعَ كُوبٌ مَعْدِنِيٌّ وَاحِدٌ. وَعَلَى سَبِيلِ التَّجْرِبَةِ، التَّقَطَّتْ جَيْلَ الكُوبِ المَعْدِنِيِّ، فَلاحَظْتُ خَاتِمًا مَتَقَنَّ الصَّنْعِ، مَتْرُوكًا فِي الرَّمَادِ والأُوسَاخِ.

وَقَدْ جُمِعَتْ بَعْضُ أَلْوَاكِ خَشْبِ الأَبْلِكَاشِ، وَثَبَّتَتْ مَعًا بِمَسَامِيرٍ فِي مَحَاوِلَةٍ لِإِنشَاءِ غُرْفَةٍ ثَانِيَّةٍ. كَانَتْ الأَخْتَانِ فِي الغُرْفَةِ بِالفِعْلِ، تَنْظُرَانِ إِلَى شَيْءٍ مَا. تَبِعْتَهُمَا جَيْلٌ، وَتَمَنَّتْ عَلَى الفُورِ لَوْ أَنَّهَا لَمْ تَفْعَلْ. كَانَتْ هُنَاكَ مَرْتَبَةً مَسنُودَةً

على حائط. قماشها متعفن ومرقّط باللون الأخضر، عدا منطقة المنتصف، إذ كان القالب الورديّ محجوبًا بالكامل خلف بقعة كبيرة حالكة السواد، وكان من الصعب معرفة اللون الذي كان عليه في الأصل. قالت أليس فجأةً، وهي تقف خلف جيل:

- لست مرتاحة.. علينا مواصلة السير.

مما جعل جيل تقفز من الخوف، إذ كانت تنظر إلى المرتبة من خلفها. استدارت الأختان، وكان من الصعب قراءة وجهيهما، لكن جيل كان بوسعها أن ترى أنهما ترتجفان، وأحسّت أنها ترتجف أيضًا. وبمجرد أن أدركت ذلك، لم تستطع التوقف. لفّت بيث ذراعيها حول نفسها:

- انتظرن، علينا التفكير في ذلك على الأقل، المكان جاف، به قليل من الدفء، وسيكون أكثر أمانًا من التجول في الخارج طوال الليل.
نظرت أليس بحدة إلى المرتبة:

- حقًا؟

- بالطبع، الناس تموت عند التعرض للبرد الشديد، ليس لدينا خيم، أو طعام، ونحن في حاجة إلى ملجأ. لا ترفضي المكان، لأنني من اكتشفته.
- أنا أرفض هذا المكان، لأنه مريع!

ونظرت كلتاهما إلى جيل التي شعرت بموجة من الإنهاك تداهما. قالت أليس:

- جيل، بالله عليك، نحن لا نعرف أيّ شيء عن هذا المكان. قد يُستخدَم هذا المكان لفعل أشياء شنيعة، ليس لدينا أيّ فكرة عما يُعرَف عن هذا المكان...

شعرت جيل بالغبار بين أصابعها. قالت بينما تحاول دومًا تجنّب النظر إلى المرتبة:

- لا يبدو أنها تُستخدَم في عمل جيد.

أليس:

- لكن لا أحد يعرف بوجودنا هنا، علينا أن نعود إلى أدراجنا.

- كيف؟

- أن نسير إلى الشمال، ونجد الطريق كما هي. لا يمكننا البقاء هنا إلى الأبد.

- لن نبقى هنا إلى الأبد، فقط حتى..

- حتى متى؟ قد تمر أسابيع قبل أن نجدنا أحدهم هنا. يجب علينا أن نحاول العودة على الأقل!

كانت كتفا جيل توخرانها، حيث كانتا تحتكان بأشرطة حقيبتها غاضبتين، وكل طبقة من طبقات ملابسها مبللة. كان كعبها يصرخ من الألم. وسمعت صوت قطرات المطر تنهمر على سقف الكوخ، وأدركت ببساطة أنها لن تستطيع أن تخطو خطوة واحدة خارج الكوخ، فقالت:

- بيت على حق، علينا أن نبقى.

قالت أليس متفاجئة:

- حقاً؟

لم تكلف بيت نفسها عناء إخفاء فرحة انتصارها على وجهها:

- لقد سمعتها.

- لم يكن أحد يتحدث إليك. (ثم التفتت أليس للورين، وقالت) ادعمني، أنت تعرفين أن بوسعنا الخروج من هنا.

لمست لورين جبهتها، فوجدت أن اللاصقة الطبية تفسد مرة أخرى:

- أظن أنه يجب علينا البقاء لهذه الليلة على الأقل.

التفتت أليس لبري دون أن تتكلم، وبعد تردد، أومأت بري، ثم نظرت بعينيها بحزم إلى الأسفل، فاندحشت أليس لذلك. هزت رأسها ثم قالت:

- يا إلهي! حسناً، سابقى.

أنزلت جيل حقيبتها، وقالت:

- جيد.

- لكن حتى يتوقف المطر فقط، ثم سأغادر.

على الرغم من البرد، كانت جيل تشعر باندفاع حار من الألم الذي يبدأ من كتفها، ويصل حتى كعب قدمها المكشوط:

- بالله عليك. لماذا يجب أن تكوني صعبة المراس هكذا؟ جميعنا في نفس القارب، ولن يغادر أحد وحده. ستبقيين حتى نتفق جميعًا على المغادرة في مجموعة يا أليس.

نظرت أليس إلى باب الكوخ، وهو مفتوح على مصراعيه ومتهاك، ويلقي من خلال الفراغ المستطيل بضوء الشتاء على وجهها. أخذت أليس نفسًا لتقول شيئًا، لكنها توقفت، وأغلقت فمها بخفة، لكن طرف لسانها الوردي كان ظاهرًا بين أسنانها البيضاء الأمامية.

- أنتفق على ذلك؟

كان رأسها يدق إيذانًا ببدء دورة جديدة من الصداق. هزت أليس كتفيها، ولم تقل شيئًا، لكنها لم تكن في حاجة إلى قول شيء، إذ كان المعنى واضحًا: لا يمكنك منعي!

نظرت جيل إلى أليس، وإلى الباب المفتوح والغابة بالخارج، وتساءلت ما إذا كان ما تمر به حقيقياً أم لا؟!

الفصل الخامس عشر

كان فولك يدق على باب أليس راسل الأمامي، ذي اللون الأزرق الداكن، ويستمتع إلى رجع الصوت الذي يتردد داخل البيت. وانتظرا.. كان السكون هو رجع الصوت الذي يتردد، إلا أن البيت لم يكن يتسم بالفراغ الأجوف الذي يسم البيوت المهجورة. ثم أدرك فولك أنه يحبس أنفاسه. اختفى الوجه من النافذة العلوية عندما رأى فولك. نكز كارمن لترى، لكن بينما كانت تنظر إلى الأعلى، لم تجد إلا الفراغ. فسّر فولك لها أنه رأى وجهًا ما.. وجه امرأة. دقًا جرس الباب مرة أخرى، وأطرقت كارمن، وهمست:

- هل سمعت هذا؟ أعتقد أنك على حق، ثمة أحد هنا. سأبقى هنا، وانظر أنت إن كان بوسعك الذهاب إلى فناء البيت من الخلف.
- حسنًا.

سار فولك بجانب سور البيت الجانبي حتى وصل إلى بوابة خلفية عالية، فوجدها مغلقة، لكن بجانبها كانت هناك حاوية قمامة ذات عجلات، ولحسن حظه كان يرتدي ملابسه غير الرسمية، فقفز وهبط إلى الجانب الآخر. كان بوسعه سماع كارمن، وهي تدق الباب، إذ كان هناك طريق ممهدة تصل الباحة الأمامية بالحديقة الخلفية. كانت هذه الطريق مجهزة بأرضية من الخشب، ومسبح مملوء بمياه زرقاء، نادرًا ما نجدها في الطبيعة، فيما كان اللبلاّب الذي يتسلق الجدران يُضفي على المكان شعورًا بالعزلة.

كانت مؤخرة المنزل كلها تقريبًا مشغولة بمنافذ كبيرة تطل على مطبخ فسيح، مطلية بزجاج عاكس للرؤية تمامًا، بحيث لم يستطع فولك أن يرى المرأة الشقراء الواقفة بالداخل. كانت واقفة عند مدخل الباب بصالة الاستقبال ساكنة سكونًا تامًا، وظهرها إليه. سمع فولك كارمن، وهي تدق على الباب، فقفزت

السيدة بالداخل على الفور. وشعر فولك أنها قد شعرت بحركته من الخلف، لأنها التفتت إليه، باكيةً عندما رآته في الحديقة، ووجهها مندهش من الصدمة.
- أليس!

لجزء من الثانية، شعر فولك بالنشوة الطائشة تسري في دمه، إذ اندفع الأدرينالين بداخله بشكل سريع، وبنفس السرعة انخفضت نسبة الأدرينالين في الدم مسببًا له بعض الألم. ورمش بعينه للخلط الذي وقع فيه عندما رأى المرأة أمامه. كان وجه المرأة مألوفًا، لكنه لم يكن وجهًا يعرفه. وظن أن حتى كلمة «امرأة» لم تكن هي الكلمة الصحيحة لوصف ما يشاهده. كانت مجرد فتاة تحدق إليه، والخوف في عينيها. لم تكن أليس. تقريبًا لم تكن هي، لكن ليس تمامًا.

أخرج فولك بطاقته أمام ابنة أليس قبل أن تصرخ بوجهه مجددًا. كان يحمل البطاقة أمامها. وصاح عبر النافذة:

- شرطة، لا تخافي! (وحاول أن يتذكر اسم البنت) مارجوت؟ نحن نساعد في العثور على أمك.

خطت مارجوت راسل نصف خطوة اتجاه النافذة. وقد بدت عيناها مصابتين بالكدمات من أثر البكاء، وهي تحدق إلى البطاقة.
- ماذا تريد؟

كان صوتها مهزوزًا، كما أنه كان مربكًا للغاية. ورأى فولك أنها تشبه أمها كثيرًا. قال:

- أيمكنني التحدث إليك؟ إن زميلتي تقف أمام الباب الأمامي، لماذا لم تفتحي لها الباب أولًا؟

ترددت مارجوت، ونظرت إلى البطاقة مرة أخرى، ثم أومأت واختفت من أمام ناظره. وانتظر فولك. عندما عادت، كانت كارمن تسير في أثرها. فتحت مارجوت الباب الخلفي، وسمحت له بالدخول. عندما دخل فولك كان بوسعه أن يراها جيدًا. ظن أنها تشبه أليس، ولقد كانت جميلة، لكن بنفس الحدة في الملامح التي كانت لأليس التي جعلتها جذابة. كان يعرف أنها في السادسة عشرة من عمرها، لكن بسرورها الجينز، ووجهها الخالي من التعبيرات، بدت أصغر بكثير. قال:

- لقد ظننت أنك تمكثين مع أبيك؟

هزت مارجوت كتفها هزة خفيفة، ونظرت إلى الأسفل:

- أردت أن أعود إلى البيت.
- وكانت تحمل هاتفها، وتقلِّبه في يديها، كما لو كانت تقلِّب سبحة.
- منذ متى وأنت هنا؟
- منذ صباح اليوم.
- لا يمكنك أن تبقي هنا وحدك، هل والدك على علم بذلك؟
- تجمعت الدموع في عينيها، لكنها لم تنهمر:
- هو في العمل، هل وجدتم أمي؟
- ليس بعد، لكنهم يبحثون عنها.
- إذن، ابحثوا بطريقة أكثر جدية.
- اهتز صوتها، فقادتها كارمن للجلوس على المقعد:
- اجلسي. أين تضعين نظارتك؟ سوف أحضر لك بعض الماء.
- أشارت مارجوت إلى خزانتها، وكانت لا تزال تقلِّب هاتفها بين يديها.
- سحب فولك كرسيًا، وجلس أمامها.
- مارجوت، هل تعرفين الرجل الذي جاء هنا قبلنا؛ الرجل الذي كان يطرق الباب؟
- شاب صوتها نغمة منزعجة:
- دانيال؟ نعم، بالطبع، هو والد جول.
- من جول؟
- حبيبي السابق. (وقد أكدت على كلمة «السابق»).
- هل تحدثتِ إلى دانيال في تلك اللحظة؟ هل قال لماذا أتى؟
- لا، لم أكن في حاجة لأن أعرف لماذا أتى، لأنني أعلم بالفعل.
- وما سبب مجيئه؟
- كان يبحث عن جول.
- هل أنتِ على يقين من ذلك؟ ألم يكن مجيئه بسبب أمك؟
- أمي؟ (نظرت إليه مارجوت، كما لو أنه مخبول) أمي ليست هنا، إنها مفقودة!
- أعرف، لكن لماذا أنتِ على يقين من سبب مجيء دانيال؟
- لماذا أنا على يقين؟! (ابتسمت مارجوت ابتسامة ساخرة) بسبب ما فعله جول. لقد انتشر ذلك عبر الإنترنت!

أمسكت هاتفها بارتباك، فتحوّلت بشرتها إلى اللون الأبيض. ثم أخذت نفسًا، وحملت الهاتف بحيث يمكن لفولك أن يرى.

- أظن أن بإمكانك أنتَ أيضًا أن ترى، فقد شاهد الجميع ذلك.

بدأت مارجوت التي كانت في الصورة أكبر عُمرًا. في كامل زينتها، وشعرها طليق ولامع، بدون سروال. كانت الصور واضحة على نحو مدهش، على عكس طبيعة الإضاءة الخافتة التي التقطت فيها. وظن فولك أن المدرسة كانت على حق، إذ كانت الصور فاضحة بالفعل. نظرت مارجوت إلى الأسفل إلى شاشة الموبايل، وجهها مبقع، وعيناها حمراوان. قال فولك:

- كم مر على انتشار هذه الصور؟

- أعتقد منذ عصر يوم أمس. كما أن هناك مقطعي فيديو آخرين، ولقد شوهدا آلاف المرات.

وضعت كارمن كوبًا من الماء أمام مارجوت:

- وأنت تعتقدين أن جول بيلى هو من وضع هذه الصور؟

- كان الوحيد الذي يمتلك هذه الصور!

- وهل هو من معك في الصور؟

- كان يعتقد أن الصور مضحكة، وقد وعدني بإزالتها، فأجبرته أن يريني هاتفه ليُثبِت ذلك، لكن لا أعرف، لا بد أنه حفظهم في مكان آخر!

بدأت مارجوت تهذي الآن، إذ كانت الكلمات تخرج منها على غير هدى.

- لقد التقطناها في العام الماضي، قبل أن ننفصل. وكان من المفترض أن تكون للمرح فقط، ولم نلتق منذ انفصالنا، لكنه راسلني الأسبوع الماضي، وطلب أن أرسل إليه المزيد من الصور.

كارمن:

- وهل أخبرت أحدًا بهذا، هل أخبرت أمك؟

قالت في شك:

- لا، وقد أخبرت جول أنني لو فعلت ذلك لن أكون راضية عن نفسي، لكنه واصل مراسلتي. وقال إن عليَّ إرسال صور جديدة، أو إنه سيعرض الصور القديمة على أصدقائه، فأخبرته أنه سخيّف. (ثم هزت رأسها) فقد وعدني بإزالة هذه الصور.

وضعت يدًا على وجهها، وانهارت في البكاء أخيرًا، ولما ثقل البكاء عليها، انهارت كتفاهما، وسقطت على الأرض، ولم تستطع الحديث لفترة. كان من الصعب سماعها:

- لكنه كذب، وانتشرت الصور، وبوسع الجميع الآن أن يراها.

غطت وجهها، وبكت مرة أخرى عندما ربتت كارمن على ظهرها. أما فولك، فقد ترك ملاحظة للموقع الذي انتشرت عليه الصور، وأرسل إيميلًا بالتفاصيل إلى قسم الإنترنت في المدرسة: «لقد رُفعت هذه الصور دون موافقة، لفتاة تبلغ من العمر 16 عامًا، أرجو أن تبذلوا أقصى ما في وسعكم لحذف هذه الصور». لم يعلّق أمالًا كثيرة على ذلك، فمن الممكن أن تُحذف الصور من الموقع الأصلي، لكن ذلك لن ينفذ كثيرًا، لأنها انتشرت في مواقع أخرى، وتذكّر مثلًا شعبيًا قديمًا عن محاولة الإمساك بالرماد المتناثر في الريح. مسحت مارجوت أنفها وعينيها، وقالت بصوت خفيض:

- أنا في حاجة إلى أن أتحدث مع أمي.

فولك:

- أعرف، وهم يبحثون عنها الآن، لكن لا يمكن أن تمكثي هنا بمفردك. علينا أن نتصل بأبيك ليأخذك إلى منزله.

هزت مارجوت رأسها:

- أرجوكما.. لا تتصلا بأبي.

- علينا ذلك..

- أرجوكما.. لا تتصلا به، لا أريد أن أراه، لا أستطيع المكوث معه الليلة.

- مارجوت..

- لا.

- لمَ لا؟

مدت الفتاة يدها، واندesh فولك عندما مسكت بمعصمه، كانت أصابعها

ترتعث، ونظرت في عينيه، وتحدثت بحزم:

- اسمعني، لا يمكنني الذهاب إلى أبي، لأنني لا أستطيع مواجهته. هل

تفهمني؟

كان الصوت الوحيد الذي يمكن للجميع سماعه هو صوت دقات ثواني الساعة. بوسع الجميع الآن أن يراها. أوماً:
- أفهمك.

ووعداها أنهما سيجدان مكاناً آخر لتمكث فيه، قبل أن تقبل بتجهيز حقيبة، للبقاء لليلة واحدة خارج منزلها. سألت:
- أين أستطيع أن أذهب؟

وقد كان سؤالاً جيداً، لكنها هزت رأسها عندما سألتها عن اسم قريب أو صديق ترغب في البقاء عنده لليلة، قائلة: «لا أريد أن أرى أحداً».

قال فولك في لهجة ضابط الشرطة، بينما كانوا واقفين في الرواق:
- إننا يمكن أن نرتب لك البقاء لليلة واحدة في أحد بيوت رعاية الأطفال. فوافقت مارجوت أخيراً، وذهبت لتجمع بعض حاجياتها، وصوت بكائها يصل من غرفتها إلى صالة الاستقبال بالدور الأرضي.

- لن أكون مرتاحة لو سلّمتها لغريب، خاصةً في الحالة التي عليها الآن! أمسكت كارمن هاتفها، وحاولت أن تتصل بوالد مارجوت، وقالت فجأةً:
- ماذا لو بقيت في بيت لورين؟ على الأقل لورين تعرف مشكلة الصور.
- نعم، ربما يكون هذا جيداً.

- حسناً. (قالت كارمن، وصعدت السلالم) حاول أن تتصل بلورين، فيما سأحاول الحديث إلى مارجوت بشأن أيّ مكان يمكن أن تكون أمها قد وضعت فيه ملفات سرية.

- الآن؟

- نعم، قد تكون تلك هي الفرصة الوحيدة لدينا.

«أحضِرا العقود... أحضِرا العقود».

- نعم، حسناً.

صعدت كارمن، واختفت، وأخرج فولك هاتفه، وتجوّل عائداً إلى المطبخ، فيما كان يطلب الرقم. خارج النوافذ الكبيرة كانت الظهيرة قد تحوّلت إلى ظلام، وانعكس شكل السحب على السطح الهادئ لمسبح البيت.

انحنى فولك على طاولة المطبخ، وحقّق إلى لوحة الملاحظات المعلّقة على الحائط، وهو يضع الهاتف على أذنه. على لوحة الملاحظات وجد رقم عامل

توصيل، إلى جانب وصفة كيفية عمل كرات الكينوا لشحذ الطاقة، مكتوبةً بخط يد أليس. كما كان هناك دعوة من مدرسة إنديفور للفتيات، لحضور حفل توزيع الجوائز التي مضت يوم الأحد الماضي، وهو اليوم الذي أُبلغ فيه بفقدان أليس، وفاتورة حذاء، ومنشور الرحلة التي خرجت فيها أليس موجود أعلى اللوحة.

انحنى فولك بشكل أكبر. وعلى غلاف المنشور، كان بوسعه أن يتبين إيان تشيس في مؤخرة صف مجموعة عمل الشركة التي تتولى الرحلة، إلا أنه كان مبتعدًا عن الكاميرا قليلاً، لأن الزميل الذي على يمينه كان يحجبه.

كان الجرس لا يزال يدق في أذنه عندما صادفت عيناه عددًا من إطارات الصور الموضوعة على جدران المطبخ. كانت جميع الصور تعود لأليس وابنتها، مجتمعتين أو منفردتين. والعديد من الصور تعود لأليس وابنتها عندما كانت طفلة، في أول أيام المدرسة، وفي دروس الرقص، وهما متمدتان على المسبح في البيكيني.

توقف الجرس في أذن فولك، وأفضى في النهاية إلى صوت لورين تطلب منه ترك رسالة صوتية، فسبَّ في سره، وترك رسالة يطلب منها فيها أن تعيد مهاافته في أسرع وقت. عندما أغلق هاتفه اعتدل، واقترب أكثر من أقرب صورة له. وقد لفت نظره صورة باهتة قليلاً. كانت صورة في الخارج ذكَّرته قليلاً بضاحية جيرالانج، إذ كانت أليس في الصورة ترتدي «شورت، وتي شيرت»، عليهما شعار مدرسة إنديفور، وتقف بجوار نهر هائج، ورأسها مرفوع، وفي يدها مجداف قارب كايك، وابتسامة تعلو وجهها. خلفها، كانت هناك مجموعة من الفتيات ذوات الشعر الجاف، والوجنات الوردية، يجلسن بجانب قارب. نظر فولك إلى الفتاة في آخر الصف، وتفاجأ قليلاً عندما أدرك أنها لورين. النظرة الباهتة التي تتميز بها الآن كانت مدفونة تحت طبقة من وجنتيها السمينتين، لكنها كانت كأليس يمكن التعرف عليها، خاصةً إذا نظرت حول عينيها. وخمَّن فولك أنه من الممكن أن تكون هذه الصورة قد التقطت قبل ثلاثين عامًا، وكان من المثير مقدار التغيير الذي أصابهما.

دق جرس الهاتف في يده عاليًا، ففزع؛ نظر إلى الشاشة، فوجدها لورين، وأجبر نفسه على العودة إلى الحاضر. سألت لورين:

- هل كل شيء على ما يرام؟ أوجدتم أليس؟

- لا، اللعنة! أنا آسف، لا أحدثك بخصوص أليس، لكننا واقعون في مشكلة مع ابنتها. إنها في حاجة إلى مكان تبقى فيه الليلة.

ثم شرح لها قضية الصور. ثم مرت فترة من الصمت، لدرجة أن فولك شكَّ في أن الاتصال قد انقطع. كانت الأعيب النساء شيئاً ملغوزاً بالنسبة إليه، لكنه تساءل عندما امتدت فترة الصمت؛ كيف أن أمهات المدرسة قد استطعن إبعاد بناتهن عن مارجوت في لمح البصر. قالت: «إنها لا تستطيع التعامل مع الأمر، خاصةً مع ما تمر به أمها». فترة صمت أخرى، لكنها كانت قصيرة هذه المرة. زفرت لورين:

- من الأفضل أن تحضرها في الحال. يا إلهي! أقسم إن تلك الفتيات سيؤذنين نفسها.

- شكرًا.

قال فولك، وأغلق الخط، وتوجه للأعلى. كان هناك باب مفتوح، ووجد كارمن جالسة إلى مكتب، وتحَدِّق إلى شاشة كمبيوتر. دخل فولك، وأغلق الباب خلفه، فقالت له كارمن بصوت خفيض:

- لقد أعطتني مارجوت كلمة السر.

- هل عثرتِ على أيِّ شيء؟

هزت كارمن رأسها:

- لا يمكنني العثور على شيء في هذا الوقت القليل، أنا أبحث بطريقة عشوائية. وحتى لو كانت أليس قد تركت هنا أيَّ شيء مفيدًا، فقد تسمى الملف بأيِّ اسم، كما أنها يمكن أن تضعه في أيِّ مكان. سنكون في حاجة لاستخراج التصاريح اللازمة لأخذ الجهاز، والبحث عما نريد بحذر. (ثم زفرت ونظرت إلى الأعلى) ماذا قالت لورين؟

- أخيرًا وافقت، لكنها لم تكُن متحمسة على الرغم من ذلك.

- لماذا، بسبب مسألة الصور؟

- لا أعرف. ربما يرجع ذلك جزئيًّا إلى مسألة الصور. وربما لا، لكن بدا أن لديها ما يكفيها من المشكلات مع ابنتها.

- نعم هذا صحيح، ولن تكون الأولى أو الأخيرة التي تحكم فيها على مارجوت بسبب هذه الصور التي رأيتها. (نظرت كارمن إلى الباب، ثم أخفضت صوتها قليلًا، وقالت) أرجوك، لا تخبر مارجوت أنني قلت هذا.

هز فولك رأسه:

- سأذهب، وأخبرها بالخطة.

كان باب مارجوت مفتوحًا، وكان بوسعه أن يراها جالسة على سجادة وردية اللون، وأمامها حقيبة صغيرة مفتوحة، لكنها فارغة تمامًا. كانت مارجوت تحدّق إلى هاتفها، فقفزت من الفزع، عندما دق فوك الباب.

- لقد رتبنا لك البقاء هذه الليلة عند لورين شو.

نظرت مارجوت إلى الأعلى في دهشة:

- حقًا؟

- لليلة فقط، فهي تعرف ما جرى.

- هل ستكون ربييكا هناك؟

- ابنتها؟ من المحتمل بالطبع أن تكون هناك؟ هل هذا مناسب؟

قبضت مارجوت على حقيبتها:

- لا، لم أرهما منذ فترة. وهل ربييكا تعرف ما حدث؟

- أعتقد أن أمها ستروي لها ما حدث.

بدت مارجوت، وكأنها تريد أن تقول شيئًا، لكنها هزت رأسها، وقالت:

- أعتقد أن ذلك أمر منطقيّ.

كان هناك شيء في الطريقة التي قالت بها ذلك، إذ إنها قالتها بصوت أمها، فرمش

فوك، وشعر مرة أخرى بشعور غريب أثار حفيظته. أشار إلى الحقيبة الفارغة:

- حسنًا، إنها ليلة واحدة فقط، احزمي أشياء قليلة تحتاجينها، وسوف

أقلّك إلى هناك.

مشتتة، أحضرت مارجوت صدريتين من الدانتيل ذي الألوان الصارخة من

كومة على الأرض. وحملتها في يدها، ثم نظرت إليه، وهو يراقبها. وتغيرت

ملامح وجهها، فقد كانت تختبر قوة تحمّله. ظلت عيناه معلّقتين بها، ووجهه

بلا أدنى تعبيرات.

- سننتظرك في الأسفل.

وشعر بموجة من الراحة، وهو يغلق باب الغرفة ذات اللون الورديّ. منذ

متى كانت المراهقات يدركن الحياة الجنسية؟ هل كُنَّ كذلك على الدوام

في عمره؟ ظنّ أنهن ربما كُنَّ كذلك، لكنه كان في ذلك الوقت يحب الفتيات

جميعهن. في هذه السن كانت تبدو كل الأشياء الممتعة لا ضرر فيها!

اليوم الثالث: ظهيرة يوم السبت

لأول مرة، كانت بيت آسفة لتوقف انهمار المطر. كان من الصعب عليهن أن يتحدثن عندما كان المطر ينهمر على سقف الكوخ، فتفرقت النسوة الخمس في أنحاء الكوخ، وقسمن أنفسهن على الغرفتين، وبقيين على هذه الحال حتى ضربتهن عاصفة الظهيرة، ودخلت من خلال النوافذ المحطمة. لم يكن الكوخ أكثر دفئاً من الخارج في الواقع، اعترفت بيت بذلك سرّاً، لكنه كان أكثر جفافاً. ولقد كانت سعيدة بالبقاء فيه. وعندما توقف المطر أخيراً، كان حضور الصمت ثقيلاً عليهن في الكوخ. اعتدلت بيت، وشعرت بالاختناق من المكان، فكان بوسعها أن ترى حافة الكوخ من الغرفة، وقالت:

- سأخرج لإلقاء نظرة.

بري:

- سأتي معك، أريد قضاء حاجتي.

ثم قالت لورين فوراً:

- وأنا أيضاً.

في الخارج، كان الجو منعشاً ورطباً. وفيما كانت بيت تغلق باب الكوخ وراءها، سمعت أليس تقول شيئاً لجيل بصوت غير مسموع. وبغض النظر عما قالت، لم تردّ جيل عليها. أشارت بري عبر الخلاء، وقالت:

- يا إلهي! أهذا هو المرحاض الخارجي؟

يقف المبنى الخشبي الصغير على مسافة، وتظهر سقيفته فاسدة، وجانب من جوانبه مفتوح على الهواء الطلق. قالت لورين:

- لا تتشاءمي، ستجدين حفرة كبيرة في الداخل.

راقبت بيت أختها، وهي تسير في طريقها عبر الأعشاب الطويلة إلى أن وصلت إلى الكوخ الخشبي القذر. خطت بري إلى الداخل، فجفلت سريعاً،

وهي تصرخ. ضحكت الأختان، والتقت أعينهما ببعضهما بعضًا، فيما خِيلَ إلى بيت، وكأنه شيء يحدث لأول مرة منذ أيام، وربما منذ سنوات. صاحت بري: - يا إلهي! لن أدخل إلى هناك ثانية.

- هل المكان قدر؟

- ومليء بخيوط العنكبوت، لا تدخل إلى هناك بنفسك. بعض الأشياء لا يمكن رؤيتها. سأقضي حاجتي في الغابة.

استدارت، واختفت بين الأشجار. وابتسمت لورين ابتسامة، وتوجهت إلى الجهة المقابلة، تاركة بيت وحدها. فيما كان ضوء النهار يبهت، وتحوّل سحب السماء إلى أن تكون أكثر غيومًا. إنهن محظوظات، لأنهن وجدن الكوخ من الأصل، وأدركت بيت أن المطر قد توقف الآن. وهناك فجوتان أو ثلاث بين الأشجار، كان يمكن أن تكون مداخل لطرق، لكن لم يكن هناك شيء يشجع الزوار على اكتشاف الخلاء. شعرت بيت بالتوتر فجأة، وهي تبحث عن رفيقتيها، ولم تكونا على مرمى البصر. الطيور تنتحب لبعضها بعضًا فوق رأسها بنبرة عالية ومُلحّة، لكنها عندما نظرت إلى الأعلى كانت قد اختفت عن ناظريها.

عندما توصلت بيت إلى علبة سجائرها، كانت قد وجدت العلبة غرقت في بركة، بعدما ألقت بها أليس، فتلفت السجائر عندما غمرت بالمياه القدرة، لكنها لم تكن لتعطي أليس فرصة للانتصار عليها. كانت أصابعها تتحسس حافات العلبة، فكانت الزوايا الحادة لها مشبعة بالمياه، وشعرت بحاجة مُلحّة إلى النيكوتين. فتحت العلبة، وتفقدت السجائر. أثارها رائحة السجائر فجأة، وحفزت فيها شيئًا لا يمكن احتمالها، فكانت تشعر بأنها تريد أن تلقي بالعلبة أو تستنشق رائحة السجائر. شعرت، وكأنها تريد أن تبكي، إذ لم تكن تريد أن تصبح مدمنة على السجائر بالطبع، أو على أي شيء آخر.

لم تكن بيت تعرف أنها حامل عندما أجهضت، إذ كانت تجلس في غرفة التعقيم في عيادة من المستشفى الجامعي، فيما راح الطبيب يشرح لها أنه شيء غير اعتيادي في الأسابيع الاثني عشر الأولى. وقد كانت تقترب من هذه الفترة، ولم يكن هناك الكثير الذي يمكن لها أن تفعله حتى تتجنب ذلك. في بعض الأحيان تحدث الأشياء رغماً عنا.

أومات بيت. الأمر هو، كما شرحته في صوت خفيض، أنها كانت تشرب في معظم عطلات نهاية الأسبوع، وفي بعض أيام الأسبوع أيضًا. وكانت الفتاة الوحيدة التي تدرس علوم الحاسب في صف مملوء بالشباب المرحين. كانوا كلهم شبابًا وأذكاء، ويخططون لأن يبتدعوا الشيء الذي تتحدث عنه البشرية، ويصبحوا من أصحاب الملايين، ويتقاعدوا بحلول سن الثلاثين، لكن حتى يحدث ذلك، كانوا يحبون الشراب والرقص، وتناول المخدرات الخفيفة، والبقاء في الخارج لمغازلة فتاة في العشرين، ولا تزال تلفت النظر مثل أختها التوأم. وكانت بيت تستمتع بهذه الأشياء أيضًا، وربما أدركت بعد فوات الأوان أنها تستمتع بها كثيرًا.

لقد اعترفت بكل رذائلها في غرفة التعقيم تحت الضوء الساطع، لكن الطبيب هز رأسه، وقال: «إن ذلك لن يشكل فارقًا. ربما يشكل هذا فارقًا، لكنه ليس بالضرورة أن يشكل فارقًا!». قال ذلك، وأعطاهما كتيب المعلومات. كان ذلك لمصلحتها على أي حال. فكرت في ذلك، وهي خارجة من المستشفى، وتحمل كتيب المعلومات. ألقته في أقرب حاوية قمامة مرت بجانبها. وعقدت العزم على ألا تفكر في ذلك مجددًا، ولم يكن هناك فائدة من إخبار أي شخص بأي شيء. على الأقل بري الآن، فهي لن تتفهم على أي حال. لقد كان الأمر على ما يرام، فلم تضطر إلى أن تفقد شيئًا كانت تعرف أنه موجود أصلاً.

خطت أن تذهب إلى البيت مباشرة، لكن خطر في بالها أنها ستكون وحيدة قليلًا في غرفة سكن الطلاب، لذا ركبت الحافلة، وتوجهت إلى البار للالتقاء بالأولاد، ولتشرب شرابًا واحدًا، ثم كرّ هذا الشراب أكوابًا كثيرة بعده، لأنها لم يكن لديها سبب لتجنب الكحول، أو لتناول أي نوع من المخدرات. كان أوان ذلك قد فات الآن، أليس كذلك؟ وحين استيقظت في اليوم التالي، كان رأسها يؤلمها، وفمها جافًا، ولم يكن ذلك ليشعرها بالضيق، إذ كان ذلك إحدى مزايا الثمالة؛ أنها لا تترك مساحة كبيرة للشعور بأي شيء آخر.

والآن، نظرت بيت إلى محيطها الذي يغطيه الغابات، وعصرت علبة السجائر الجافة بيدها، وأدركت أن المجموعة في مأزق. كلهن يعرفن أن المجموعة في مأزق، لكن التدخين كان الشيء الوحيد الذي يربطها بالحضارة. والآن، أفسدت أليس هذه المتعة عليها. وبدافع من الغضب، أغمضت بيت عينيها،

وألقت بالعلبة بعيدًا اتجاه الأعشاب. وعندما فتحتها كانت العلبة قد اختفت، ولم يكن بوسعها أن تعرف أين وقعت حتى.

هبّت عاصفة جعلت بيت تترجف. كانت الأوراق والعيان من حولها جافة، ولم يكن من السهل أن تشعل نارًا. وعادت بالذاكرة إلى الليلة الأولى، عندما كانت لورين تتفقد ما حولها لتحضر شيئاً تشعل به نارًا. تحسست بيت راحة يدها، فوجدتها فارغة بعدما ألقت علبة السجائر، فنظرت إلى الكوخ. كان الكوخ يميل مع السقيفة التي تغطي أحد الجوانب أكثر من الجانب الآخر؛ ما تسبب في أن تكون الأرض أسفلها غير جافة، فكان هذا أفضل ما يمكنها رؤيته. وبينما تعود بيت إلى الكوخ، سمعت أصواتًا تأتي من الداخل...

- لقد قررت ذلك سابقًا! (كانت جيل تضغط على كل كلمة تخرج منها).

- أنا لا أطلب إذنك!

- أنتِ، عليك أن تتذكري حجمك!

- لا يا جيل، أنتِ من عليك أن تفتحي عينيك، وتلقي نظرة على من حولك،

نحن لسنا في مكان العمل!

بعد تردد:

- أنا في العمل دائمًا!

خطت بيت خطوة لتكون أقرب، لكن فجأة شعرت أنها تتعثر، عندما ابتلعت الأرض من تحت قدمها، سقطت بشدة على يدها، وانثنى كاحلها تحتها. نظرت إلى الأسفل، فتحوّل أنين صدرها المكتوم إلى صراخ عندما رأت ما وقعت عليه. اخترق صوتها الجو، فأخرس زقزقة العصافير. ومن داخل الكوخ سكن الجميع من صدمة الصوت، ثم ظهر وجهان من النافذة، وسمعت بيت وقع أقدام تأتي من خلفها، فارتطم كاحلها المنثنى على الأرض احتجاجًا.

- هل أنت بخير؟

كانت لورين أول من وصلت إليها مع بري التي جاءت تركض خلفها. تلاشى الوجهان من النافذة، وبعد ثوانٍ كانت جيل وأليس في الخارج. حاولت بيت أن تنهض على قدميها، إلا أن سقوطها قد بعثر كومة من الأوراق الميتة، وبقايا ركام الغابة، كاشفًا عن حفرة سطحية، وإن كانت واضحة على الأرض.

- ثمة شيء هنا. (سمعت بيت اختناق صوتها).

أليس:

- مثل ماذا؟

- لا أعلم!

بنفاد صبر، تقدّمت أليس، ومرّرت حذاءها على الحفرة، مُزيحة أوراق الشجر جانبًا. وبشكل جماعيّ، تقدّمت النسوة قليلاً، ثم عُدنَ كلهن فورًا. فقط أليس هي من بقيت في مكانها، تحدّق إلى الأسفل. شيء صغير ذو لون أصفر مغطى جزئيًا بالطين، حتى العين غير الخبيرة لا يمكن أن تخطئ ما ترى. لقد كان ما يرينه جميعًا هيكلًا عظيمًا! همست بري:

- ما هذا؟! أرجوكن أن تُخبرنني أن ذلك لا يعود إلى طفل!

مدت بيث يدها لتقبض على يد أختها، وقد بدا الأمر غير مألوف، لكنها شعرت بالارتياح عندما لم تسحب بري يدها. مرّرت أليس قدمها على الحفرة مرة أخرى مُزيحة مزيدًا من ورق الشجر، لكنها كانت مترددة، وقد لاحظت بيث ذلك، إلا أن إصبع أليس اصطدمت بشيء صلب جعلها على وشك أن تسقط. ارتعشت كتفا أليس بوضوح، ثم ببطاء، مالت أليس، والتقطت هذا الجسم. تجمّد وجهها، ثم صدر عنها صوت خفيض ينمُّ عن الارتياح:

- يا إلهي! لا تفزعن، إنه مجرد كلب!

وجدت أليس بجانب الكلب صليبيًا صغيرًا باليًا، صُمّم بطريقة عشوائية، من قطعتين غير ملائمتين من الخشب، جُمعتا معًا. وفي منتصف الصليب، حُفرت بحروف صارت غير واضحة: «بوتش».

- كيف تعرفين أنها عظام كلب؟ (لم يَكُن الصوت الخارج من فم بيث هو صوتها).

نظرت أليس إلى بيث:

- هل تُسمّين طفلك بوتش؟ بالطبع يمكنك أن تفعلي ذلك. على كل حال، هذا الهيكل ليس لإنسان.

أشارت بإصبع قدمها إلى الجمجمة التي انكشفت جزئيًا، فنظرت بيث، شعرت أنها تبدو كجمجمة كلب. وأرادت أن تسأل كيف مات هذا الكلب، لكنها لم تفعل. لكنها سألت بدلًا من ذلك:

- لماذا لم يُدفن بطريقة مناسبة؟

قالت أليس، وهي تجلس بجانب الحفرة:

- التربة تأكلت على الأرجح، إذ تبدو ضحلة.

كانت بيت تتحرق لسيجارة. مرت عيناها على صف الأشجار، فوجدته كما كان منذ دقائق، ولا يزال جلدها يوخزها مسبباً لها شعوراً بعدم الأمان، وكأن شخصاً يراقبها، فنظرت بعيداً عن الأشجار، وحاولت أن تركز على شيء آخر، على حركة أوراق الشجر المتطايرة، أو على الكوخ، أو على الخلاء..

- ما هذا؟

أشارت بيت إلى خلف الحفرة الضحلة التي كانت تبتلع الكلب، فتبعت الأخريات إشارتها فيما كانت أليس تقف ببطء. كان المنخفض يهبط إلى الأسفل بجانب حائط الكوخ بانحناء غير ظاهر. التجويف كان ناعماً جداً، بحيث يظهر بأنه غير موجود على الإطلاق. العشب الذي يغطي المنخفض كان جافاً ومكشوفاً للرياح على عكس العشب المتناثر على الجهة الأخرى. كان الاختلاف واضحاً، وشعرت بيت بإلحاح فوري لتقول إن هذا الجزء من الأرض قد حُفر من قبل، إلا أنه لم يكن هناك صليب هذه المرة. بدت بري، وكأنها على استعداد للبقاء:

- هذه حفرة كبيرة.. لماذا هي كبيرة لهذا الحد؟

- ليست كبيرة، لا يوجد شيء.

كانت أفكار بيت تتصارع لتحديد عن موقفها، فلم يكن ما تراه سوى حفرة عميقة عادية، وعلى الأرجح كان انجرافاً أو تحولاً للتربة، أو شيئاً يتعلق بعلم الطبيعة، فما الذي تعرفه عن نمو الأعشاب؟ لا شيء بالطبع. كانت أليس لا تزال تحمل الصليب الخشبي، وارتسم على وجهها مظهر غريب. قالت:

- لا أحاول أن أثير مشكلة، هل تعرفن اسم كلب مارتن كوفاك؟

حبست بيت أنفاسها:

- لا تمزحي..!

- أنا لا أمزح يا بيت، هل تتذكرين قبل سنوات عندما كانت تقع مثل هذه

الحوادث، كان لديه كلب يستخدمه لإغواء الناس..

جاء صوت جيل حازماً:

- اصمتي، هذا يكفي!

التفتت أليس للورين:

- لكن أنت تتذكرين، أليس كذلك؟ لقد ظهر في الأخبار عندما كنا في المدرسة. ما اسم الكلب؟ هل كان بوتش؟

كانت لورين تنظر إلى أليس، وكأنها تراها للمرة الأولى:

- لا أتذكر. قد يكون لديه كلب. الكثير من الناس لديهم كلب، لكني لا أتذكر.

لكن وجه لورين كان قد استحال أبيض.

بيث التي كانت لا تزال تقبض على يد أختها، شعرت بدمعة دافئة تسقط على وجنتيها، فالتفتت لأليس، وشعرت بسريان موجة من العاطفة. شعرت بالحنق، وليس الخوف.

- أنت مجرد عاهرة تتلاعب بنا! كيف تجرئين؟ أنت تخيفين الجميع، لأن كلامك لم ينفذ لمرة واحدة في حياتك اللعينة! عليك أن تخجلي من نفسك!

- أنا لا أفعل ذلك، أنا..

- أنت تفعلين ذلك!

تردد صدى الكلمات الزاعقة في الخلاء. جاء صوت أليس خفيصًا:

- لقد كان لديه كلب، لا يجب علينا الوجود هنا.

التقطت بيث أنفاسها، وصدرها يموج بالغضب، ثم أجبرت نفسها على أن تلتقط نفسًا آخر قبل أن تتكلم:

- هراء! لقد حدث هذا منذ عشرين عامًا، ولن نبقى إلا ليلة تمر سريعًا.

جيل.. لقد اتخذت قرارك بالفعل؛ إن التجول في هذا الخلاء المظلم سيجعلنا نلقى حتفنا جميعًا!

قالت لورين:

- بيث على حق.

فالتفتت إليها أليس:

- لم يطلب أحد رأيك يا لورين! كان بإمكانك أن تساعدنا، لكنك لم تجرئي على ذلك، عليك أن تظلي خارج الموضوع!

- أليس، توقفي!

كانت جيل تنقل عينيها بين عظام الكلب وبين الأشجار، ثم عادت لتتظر في وجه أليس مجدداً. يمكن لبيت أن تلاحظ تردد جيل، لكن جيل قالت أخيراً:

- حسناً، أنا لست حريصة على البقاء هنا أيضاً، وقصص الأشباح هذه لن تسبب لنا الضرر، إنما بقاؤنا في العراء!

هزت أليس رأسها:

- حقاً؟ ستمكثين هنا؟

- نعم. (وكان وجه جيل قد ازداد احمراراً، وشعرها الجاف قد التصق برأسها، كاشفاً عن فرق رماديّ مزعج) وأنا أعلم أنك لن توافقي على

هذا يا أليس، احتفظي برأيك السخيف لنفسك. لقد سئمت الحديث معك!

وقفت المرأتان مقابل بعضهما بعضاً، مغتاظتين، وجسداهما يرتعشان،

لكن فجأةً تحرك شيء غير مرئيٍّ بين الشجيرات، فقفزتا معاً، واندفعت جيل للوراء.

- هذا يكفي. بالله عليكم، فلتشعل إحداكن ناراً!!

صدر عن أشجار الصمغ حفيف، وراحت تراقبهن، بينما كُنَّ يبحثن عن

شيء يشعلن به ناراً، وتصيخ السمع لكل ما يصدر عنهن، حتى حل الظلام،

فلم يَكُنْ بوسع أحد أن يرى. أما أليس، فلم تدرِ ماذا تفعل.

الفصل السادس عشر

لم تتحدث مارجوت راسل كثيرًا في السيارة. كانت تجلس في الخلف، وتحَدِّقُ إلى شاشة هاتفها، بينما كان فولك وكارمن يقصدان بيت لورين للمرة الثانية لهذا اليوم. شاهدت مقاطع الفيديو عدة مرات، تقَرَّبَ شاشة الهاتف من وجهها، ويصدر عنه صوت خفيض يحذِّرُ من محتوى جنسيٍّ، لكن الصوت يتسلل إلى مقدمة السيارة. تبادل فولك وكارمن نظرة سريعة، وبعدما سمعا الصوت نفسه للمرة الثانية، اقترحت كارمن بلطف على رفيقتهما أن تركز على شيء آخر، إلا أن مارجوت ببساطة أخفضت صوت الهاتف، وواصلت المشاهدة. قالت كارمن:

- سنحرص على أن يعلم الضباط الذين يتولون البحث عن أمك أين تقيمين هذه الليلة، في حال وردت أيُّ معلومات جديدة.

بصوت خفيض:

- شكرًا جزيلاً.

- كما أظن أن المدرسة ستود أن تحادثك، لكنني أعتقد أن لديهم كل التفاصيل الخاصة بلورين. ربما يمكن لابنتها أن تجمع لك ما تحتاجينه من خزانة المدرسة إذا لم تريدي الذهاب.

نظرت مارجوت إلى الأعلى، عندما قالت كارمن ذلك، وبدت متفاجئة:

- لكن ربييكا لم تُعد تترتاد المدرسة بعد.

نظر فولك إلى المرأة العاكسة:

- ألا تذهب؟

- لا. لقد توقفت عن حضور الفصول الدراسية منذ ستة أشهر.

- توقفت تمامًا؟!

- نعم، بالتأكيد، هل رأيتها؟

- لا.

- أوه! حسناً، لم تُعد تذهب منذ فترة، إذ كان أحدهم يسخر منها قليلاً، لكن لم يكن هناك شيء جدّي، فقط بعض الصور السخيفة، لكنني أعتقد أنها كانت تشعر...

ثم قطعت كلامها، ونظرت إلى شاشة هاتفها. كانت لورين تنتظرهم، عندما كانوا يتوقفون بالسيارة أمام بيتها.

- تعالي.

قالت لورين لمارجوت عند توجيههم للباب الأمامي. وعند رؤية وجه مارجوت المنتفخ بالدموع، مدت لورين يدها لتلمس وجنتها، لكنها أوقفت نفسها في اللحظة الأخيرة.

- آسفة، لقد نسيت كم كنت...

لكنها توقفت، إلا أن فولك أدرك على الفور ما كانت على وشك أن تقوله: «كم تشبهين أمك!». ثم تنهدت لورين، وقالت:

- كيف تواجهين ذلك وحدك يا مارجوت؟ آسفة للغاية على ما حدث لك. شكرًا.

ثم حدّقت مارجوت إلى الجرح الطويل في جبهتها حتى مرّرت لورين يدها عليه.

- تعالي، أعطيني حقيبتك، وسأريك مكان غرفتك.

ثم نظرت لورين إلى فولك وكارمن، وقالت:

- إن غرفة المعيشة في آخر هذا الممر، سأكون معكما خلال دقيقة.

سمع فولك مارجوت، وهي تقول للورين بينما تقودها لغرفتها:

- هل ربييكا بالمنزل؟

- أعتقد أنها تأخذ قيلولتها.

أفضى الممر إلى غرفة المعيشة، التي كانت للمفاجأة تمتلئ بالفوضى؛ إذ تتناثر على الطاوات الجانبية، وبجانب الأريكة أكواب القهوة، التي لم تُشرب عن آخرها، فيما أُلقيت المجلات مفتوحة ومهملة. كانت هناك سجادة طويلة

شعثاء على الأرض، وصور مؤطرة على كل سطح. وفي لمحة، كان بوسع فولك أن يدرك أن معظم الصور للورين، وفتاة لم يبذل الكثير من الجهد ليعرف أنها ابنتها. كما تشير إحدى الصور لما بدا أنه حفل زواج عائلي صغير، وظهور رجل في بعض الصور. وخمن فولك أن هذا الرجل زوج جديد.

ولقد تفاجأ عندما رأى وجه لورين السمين منذ أيام المدرسة يأتي ويذهب على مر السنين، وجسدها ينتفخ، وينكمش مع تغير الفصول. أما التوتر حول العينين، فثابت طوال الوقت. كانت تبتسم في كل الصور، وتبدو سعيدة حقاً لأتفه الأسباب. ولم يكن يوجد أيُّ صور للابنة في سنين مراهقتها الأولى، إذ بدت الصورة الأخيرة لها في زي المدرسة، وطُرِّز بكلمة «السنة التاسعة». كانت جميلة بشكل متحفظ، مع بسمه خجولة على شفيتها، ووجنتين مستديرتين ناعمتين، وشعر بني لامع.

- أتمنى لو أزلت أمي تلك الصور!

جاء الصوت من خلفهما، فاستدار فولك مجبراً نفسه على ألا يصدر منه أيُّ ردة فعل. ولقد فهم الآن ما عنته مارجوت، وهم في السيارة «هل رأيتها؟». كانت عينا الفتاة ضخمتين وغائرتين، ولا يبدو على وجهها إلا لون وحيد يخرج عن الدوائر الأرجوانية الهابطة من أسفل عينيها، مُشكِّلة شبكة رقيقة من العروق الزرقاء التي تلمع تحت بشرتها الأكثر رقة. وحتى من هذه المسافة، كان بوسع فولك أن يرى عظام وجهها وعنقها. لقد كان ما رآه صادمًا. ظن فولك على الفور أنها مصابة بالسرطان، إذ كان لوالده المظهر الفظيع نفسه قبل أن يستسلم للمرض تمامًا، لكنه استعبد الفكرة بنفس السرعة التي جاءته بها، إذ ما بدا عليها شيء آخر غير ما ظنه فولك؛ شيء من صنْع الذات. قال:

- أهلاً ريببكا، نحن من الشرطة.

- أوجدتم أم مارجوت؟

- ليس بعد.

كانت الفتاة حساسة للغاية..

- أوه! يبدو هذا سيئًا، لقد ضللت الطريق في الغابة مرة من قبل، ولم يكن

الأمر ممتعًا!

كارمن:

- هل كان ذلك في ماكليستر؟

فبدت ربيكا متفاجئة:

- نعم، هل سمعتِ عن ذلك المكان؟ لقد كان ما مررتُ به مختلفًا عما مرت به والدة مارجوت، إذ فقدتُ المجموعة التي كنت أسير معها لساعتين. (ثم توقفت لتلتقط أنفاسها) أو هم من فقدوني عملياً، وعادوا مرة أخرى عندما ملؤا من لعبتهم.

كانت تعبت بشيء في يدها، إذ كانت أصابعها لا تتوقف عن الحركة، لكنها نظرت إلى الردهة الفارقة، وقالت:

- كيف لمارجوت أن تقبل المكوث هنا؟

كارمن:

- لقد اقترحنا عليها ذلك، إذ كانت عازفة عن الذهاب إلى بيت أبيها.

- أوه! أظن أن ذلك بسبب انتشار تلك الصور. لقد مررت ببعض المشكلات بسبب صور مثل هذه أيضاً. (وأضافت سريعاً) لكنها لم تكن صوراً جنسية، بل صوراً عن الأكل وأشياء من هذا القبيل.

لكن لهجتها، وهي تقول ذلك بدت خجولة، فعبثت بأصابعها بشكل أسرع. وكان بوسع فولك أن يرى أنها كانت تصنع شيئاً؛ تجدل الخيوط الفضية والحمراء معاً. نظرت ربيكا إلى الباب، وقالت بصوت خفيض:

- رأيت صور مارجوت؟

- أرادت مارجوت أن تُرينا بعض الصور، وهل رأيتها أنت؟

- لقد رآها الجميع!

لكنها لم تبد أيَّ شماتة في الأمر، بل كانت تقرأ حقيقة واقعة فقط. وواصلت أصابعها العمل. قال فولك:

- ما الذي تصنعيه؟

ابتسمت ربيكا ابتسامة خجولة:

- أوه! لا شيء، إنه عمل تافه!

كانت تحمل في يدها سواراً منسوجاً من الألوان الحمراء والفضية التي تشكلت في شكل معقد. قالت كارمن:

- أهذا سوار من أجل الصداقة؟

صدر عن ريببكا تعبير مضحك:

- لا، لن أمنح هذا السوار لأيِّ شخص، فالهدف من صنعه هو تنشيط الذهن، إذ نصحتني طبيبتي النفسية بنسجه كلما شعرت بالضيق، أو انخرطت في سلوك لتدمير ذاتي.

قالت كارمن، وهي تنحني لتطلع على السوار:

- لكنه جميل للغاية بالفعل!

ربطت ريببكا باقي الخيوط الفضفاضة، وسلّمتها لكارمن:

- احتفظي به، لديّ الكثير منه.

أشارت ريببكا إلى صندوق على طاولة القهوة، ورأى فولك فوضى من الخيوط الحمراء والفضية، لكنه لم يستطع عد الأساور الموجودة داخله، فهي بالعشرات، وكان مزعجًا له أن يتخيل الوقت الذي أمضته ريببكا في صنع هذه الأساور؛ إذ كانت أصابعها النحيلة تغزل هذه الأساور لتشتتها عن الأفكار المظلمة التي تخطر ببالها. قالت كارمن:

- شكرًا. (ووضعتها في جيبها) لقد أحببت الشكل الذي صنعته.

بدت ريببكا مسرورة، وغرقت وجنتاها أكثر عندما ابتسمت ابتسامة خجولة:

- لقد صمّمتها بنفسِي.

- إنه جميل حقًا.

- ما الجميل؟

ظهرت لورين على مدخل الباب. وبالمقارنة مع مظهر ابنتها الهزيل، بدت هيئتها الصغيرة ضخمة.

- كنا نتحدث عن الشكل الجديد الذي صمّمتُه للأساور. لقد أخذت أُمي سوارًا من هذا الشكل أيضًا.

نظرت ريببكا إلى معصمَي لورين. كانت ترتدي ساعة في معصمها الأيسر، لكن معصمها الأيمن كان عاريًا؛ ليس به غير أثر لعلامة حمراء مستديرة على بشرتها، فتصلب وجهها. نظرت لورين إلى الأسفل مذعورة:

- حبيبتي، أنا آسفة جدًا. لقد أضعته في الرحلة. كنت أنوي إخبارك بذلك.

- لا بأس.
- لا، لقد أحببته حقًا.
- لا عليك.
- أنا آسفة.
- أمي، انسي الأمر، لا بأس. أشعر كما لو أنني ليس لدي الآلاف غيره!
- نظرت لورين إلى الصندوق المفتوح على الطاولة، فعرف فولك على الفور أنها لا تحب المحتويات الموجودة بداخله. ثم نظرت إلى الأعلى بارتياح، عندما ظهرت مارجوت على مدخل الباب.
- أهلاً مارجوت.
- بدأت محرجة قليلاً، وبحركة تلقائية أغلقت صندوق الأساور. ثم مرت فترة من الصمت.
- هل رأيت الصور؟
- لم تكن مارجوت في حال يسمح لها بأن تلتقي عيناها بعين ربييكا، إذ كانت عيناها تدوران حول الغرفة. قالت ربييكا بإصرار:
- لا.
- ابتسمت مارجوت:
- حسنًا. أنتِ الوحيدة التي لم تريها!
- صفقت لورين:
- حسنًا، اذهبا إلى المطبخ، وقرّرا ماذا تريدان أن تأكلا على الغداء.
- ربييكا، من فضلك اذهبي معها.
- لست جائعة!
- لست في مزاج للمجادلة يا ربييكا، بعد إنك، ليس الليلة...!
- لكن...
- ربييكا، بالله عليك! (ارتفع صوت لورين أكثر مما نوت، فقصرت الكلام، والتقطت أنفاسها، وقالت) آسفة، من فضلك، اذهبي معها.
- بنظرة متمردة، استدارت ربييكا، وغادرت الغرفة، وتبعتها مارجوت.
- انتظرت لورين حتى اختفى وقع أقدامهما في الردهة.

- سأحاول أن تكون مارجوت بخير، وسأبعدها عن الإنترنت إذا أمكنني ذلك.

قالت كارمن، وهما يتوجهان إلى الباب الأمامي:

- شكرًا لك. لقد تواصلت ضابط التنسيق مع والد مارجوت، وسيأخذها غدًا عندما تهدأ.

- لا بأس. هذا أقل شيء يمكن أن أقدمه لأليس.

ثم تبعتهما لورين حتى السيارة. وعندما نظرت إلى البيت لم يكن هناك أي ضجيج أو صوت يصدر من المطبخ:

- لم يكن ما مررت به سهلاً، لكنني في بيتي على الأقل!

مكتبة

t.me/soramnqraa

اليوم الثالث: مساء يوم الثلاثاء

كانت النار الشيء الوحيد الذي يستأنسن به. توهجت النار في المساحة الصغيرة أمام باب الكوخ، لكن لهيبها لم يمنحهن دفئاً حقيقياً. وقفت لورين بجانب شعلة النار، وشعرت بأنها أفضل قليلاً مما كانت تشعر به في اليومين الماضيين.

استغرقن أكثر من ساعة لإشعال النار. أدارت لورين ظهرها للرياح، عندما تخدرت يدها من طول فترة بقائها، وهي تحمل قَدَاحَة بيث أسفل كومة من الحطب الجاف. وبعد عشرين دقيقة، قررت أليس أن تساعدتها. كانت تشعر بالبرد أكثر مما تشعر بالغضب. ثم عادت جيل والتوءمان ليحتمين بالكوخ مرة أخرى. ثم تنحنت أليس. بدا من الصعب سمع صوتها:

- آسفة على ما حدث سابقاً.

إلا أن اعتذار أليس - هذا إذا اعتذرت من الأصل - دائماً ما تشعر، وكأنها تضن به عليك!

- لا بأس، لقد كنا جميعاً مرهقات.

واستعدت لورين لتخوض معها جداراً آخر، لكن أليس واصلت العبث في شعلة النار. بدت مشتتة، وهي تضع الأعواد في الكومة الصغيرة، ثم تكسرهما مرة أخرى لتعيد بناءها تحت الشعلة.

- لورين، كيف حال ربييكا؟

لقد فاجأ لورين السؤال:

- عذراً؟

- أتساءل فقط كيف تعاملت بعد انتشار الصور العام الماضي؟

تعمدت لورين أن تظهر ما حدث على أنه شيء تافه:

- إنها بخير حال.

كانت أليس فضولية:

- حقًا؟ هل ستعود للمدرسة مرة أخرى؟

التقطت لورين القَدَاحَة:

- لا أعرف.

كانت لورين تركز اهتمامها على المهمة التي في يدها، ولم ترد أن تتحدث عن طفلتها مع أليس، خاصةً وأنها تحظى بابنة على قدر وافر من الصحة، وحصلت على الكثير من الجوائز، ويتنبأ لها الجميع بمستقبل باهر. تذكرت لورين المرة الأولى التي رأت فيها مارجوت راسل، كان ذلك منذ ستة عشر عامًا في عيادة التطعيم في المركز الصحي. وكانت تلك هي المرة الثانية التي ترى فيها أليس، بعدما تقطعت بهما السبل بعد المدرسة الثانوية، لكنها عرفتھا على الفور. لقد شاهدت أليس، وهي تنقل كومة وردية في عربة أطفال باهظة الثمن، وتضعها على مكتب الممرضة. وكان شعر أليس يبدو كما لو أنه قد غُسل لتوه. لم تكن طفلتها تبكي. وكانت أليس تبتسم إلى الممرضة، وتبدو مرتاحة ومعتزة بنفسها وسعيدة. تسلمت لورين عبر الردهة، واختفت في الحمام، ثم حدّقت إلى إعلان منع الحمل المصق على الباب، بينما تصرخ ريببكا فيها. لم تكن تريد أن تقارن ابنتها ببنت أليس في ذلك الوقت، ومن المؤكد أنها لا تريد أن تقارن بينهما الآن. ضغطت لورين بشدة على القَدَاحَة:

- لماذا تسألين؟

- كان يجب أن أسأل منذ فترة.

فكرت لورين في صمت: «نعم، كان يجب عليك أن تسألني!». لكنها لم تقل شيئًا، وضغطت على القَدَاحَة مجددًا.

- أعتقد أن..

كانت أليس ستتحدث إلا أنها توقفت فجأة. كانت لا تزال تعبت بالحطب، وعيناها مكتئبتان.

- مارجوت..

- أنت.. ها نحن أولاء.

تنفست لورين الصُعداء عندما اشتعلت أول شرارة، زاهية وساطعة. وضمت يديها لتحفظها، وتغذي اللهب الصغير، حتى تحوّل إلى نيران في وقت الغروب بالضبط. خرجت جيل والتوءمان من الكوخ، وظهرت الراحة

على وجوههن، فوقفن جميعهن على شكل دائرة حول النار. نظرت لورين إلى أليس، لكن مهما يكن ما كانت تنوي أن تقوله، فقد تاه في هذه اللحظة. حدّقن إلى النار لفترة، ثم تسربت واحدة بعد الأخرى ليفردن المشمع المقاوم للمياه على الأرض، ويجلسن.

شعرت لورين بأن الرطوبة بدأت تغادر ملابسها قليلاً. وذكّرها انعكاس صورة اللهب البرتقالية على وجوههن بأول ليلة لهن في المخيم، عندما التقين بالرجال، وتناولن الشراب، وأكلن الطعام. بدا هذا اليوم بعيداً جداً. كانت تتذكره، كما لو أنه قد حدث لشخص آخر. اخترق صوت بري الصمت:

- في اعتقادكن، كم سيستغرق منهم الوقت ليدركوا أننا مفقودات؟

كانت جيل تنظر إلى النار دون أن يظهر على وجهها أيّ تعبير:

- ليس كثيراً كما أمل.

- من الوارد أنهم قد بدؤوا البحث بالفعل، من المحتمل أنهم فعلوا ذلك عندما لم نصل إلى المخيم الثاني.

أليس:

- إنهم لا يعرفون ذلك أصلاً. (ثم أشارت إلى الأعلى) لم نسمع بعد صوت المروحية، لذا، لا يبحث عنا أحد!

وكان صوت طقطقة النيران هو الرد الوحيد. تمنّت لورين لو كانت أليس على خطأ، لكنها لم يكن لديها الطاقة للجدال. أرادت أن تجلس حيثما كانت، وتشاهد لهب النار حتى يخرج شخص ما من بين الأشجار. ثم عدلت أفكارها حتى يخرج من بين الأشجار المفتشون الذين يبحثون عنهن، لكن كان الوقت متأخراً للغاية على ذلك، إذ زرع الخاطر الذي جاءها بذرة فاسدة في عقلها، فتوترت.

كان أقرب الأشجار تتوهج باللون الأحمر، إذ كانت نار المخيم التي ترمي بظلالها على الأشجار توهم بأنها تتحرك. وغير هذا، كان الأمر كالتحديق عبر الفراغ. هزت رأسها، وكانت مثيرة للسخرية، لكنها لم تنظر إلى اتجاه الانحدار المرعب في الأرض، الذي لم يكن مخيفاً حينما اعتقدت أنه ربما مجرد تآكل للتربة. كان صوت يهمس في رأسها، ورغم ذلك، كانت أليس على حق، لم يكن هناك صوت مروحية.

التقطت لورين أنفاسها لبضع مرات، وأجبرت نفسها على النظر بعيدًا عن الغابة، فنظرت إلى السماء بدلًا من ذلك. وبدت متفاجئة عندما تكيفت عينها على لون السماء، فرمشت مجددًا لتستوعب المنظر. كانت السحب صافية للمرة الأولى، والنجوم تملأ السماء في ليلة كالحة السواد، في شكل لم تره منذ سنوات.

- لينظر الجميع إلى السماء.

تراجع الجميع إلى الخلف ليحمين أعينهن من لهب النار. تساءلت لورين:

- هل كانت السماء على هذه الشاكلة في الليالي الأخيرة؟

كانت كل ما تتذكره هو الغيوم الكثيفة التي تغطي السماء، لكن ربما لم تكُن قد كلفت نفسها عناء الملاحظة. كانت أليس تميل للخلف على مرفقيها، وتتنظر إلى الأعلى:

- هل يعرف أحدكن أيّ معلومات عن التجمعات النجمية؟

أشارت بري:

- إن صليب الجنوب واضح وضوح الشمس، ويمكننا في بعض الأحيان أن نرى واحدة من النجوم الرئيسية في برج العذراء، في هذا الوقت من السنة. أما نجوم برج القوس، فهي منخفضة جدًا في الأفق، فلن يكون في وسعنا رؤيتها من هنا. (لاحظت أن الجميع ينظر إليها، فتجاهلت الأمر، وقالت) يحب الرجال أن يروا النجوم، يعتقدون أنه أمر رومانسي، وهو كذلك بالفعل.

شعرت لورين أنها تريد أن تضحك. قالت جيل:

- إنه أمر مذهل! يمكنك أن تعرفن الآن لماذا آمن الإنسان أن مصيره مكتوب وفقًا لهذه الأبراج!

ابتسمت أليس ابتسامة صغيرة:

- بعض الناس لا يزالون يؤمنون بذلك!

- لا أظن أنك تؤمنين بهذا!

- لا، أو من بأننا نصنع خياراتنا.

- أعتقد ذلك أيضًا. أقول أحيانًا لنفسني إنني ولدت من أجل الشركة، وإنني عملت مع أبي كما أمرني، ومع أخي كما توقع مني أن أفعل. (ثم زفرت

وتابعت كلامها) في كل يوم، أفعل ما يتطلبه الأمر من أجل العمل، ومن أجل ميراث العائلة، فذلك ما عليّ فعله.

بدا صوت أليس، وكأن لورين تسمعه لأول مرة:

- لكن لا يزال الخيار بيدك يا جيل. نحن جميعًا كذلك.

- أعرف، لكن في بعض الأحيان أشعر أن يدي... (رمت جيل بشيء ما على النار، فتوهجت وهسهست) أشعر أن يدي مغلولة!

لم تكن لورين متأكدة -وقد عمّ الظلام- ما إذا كانت عينا جيل تمتلئان بالدموع أم لا، فلم يحدث من قبل أن فكرت أن جيل لم تكن سعيدة مع واجباتها الكثيرة في الشركة، لكن جيل لاحظت أنها تحدّق إليها، فنظرت بعيدًا. تحدثت لورين، لأنها شعرت بأن من واجبها أن تتحدث:

- أفهم ما تعنيه.. يحب الجميع الشعور بالتحكم، لكن ربما... (ثم تذكرت ربيبيكا، إذ كانت تتحكم فيها تحكّمًا كاملًا، لكنها لم تتحكم في المرض الذي يدمرها، وهو مرض لم يشفع معه عدد مرات جلسات الطبيب النفسي، أو العناق أو التهديدات، أو نسج الأساور التي بدت أنها لطيفة. ثم مرّرت لورين يدها على معصمها وتابعت) لا أعرف، ربما لم يكن بمقدورنا أن نختار لأنفسنا. ربما وُلدنا للسير في مسار محدد، ولا خيار لنا في ذلك!

تحدثت بيث للمرة الأولى:

- الناس يمكنهم تغيير مصائرهم رغم ذلك. لقد غيرت مصيري من قبل، للأسوأ وللأحسن. (كانت منحنية على اللهب لتشعل قشة طويلة من العشب) ولقد وُلدت بيني وبين أختي ثلاث دقائق فقط. وهذا يمكنه أن يفسر كل ما تُردن معرفته عن المصير المكتوب على أبراج النجوم. خرجت ضحكة لطيفة منهن، عندما قالت بيث ذلك. لاحقًا ستتذكر لورين هذه الضحكة بأنها آخر ضحكاتهن معًا. ثم غرقن في الصمت، وهن ينظرن إلى السماء أو إلى النار. في أثناء ذلك زقزقت معدة إحداهن، فتجاهل الجميع الصوت، فلم يكن هناك فائدة من أيّ كلام. لقد تمكّن من ملء الزجاجات بمياه الأمطار، لكن لم يكن لديهن أيّ طعام. ثم هلّت نسمة هواء باردة، لتنتثر ألهبه

النيران حولهن، في الظلام، فاهتزت الأشجار، وخشخش، وتأوهت في جوقة
جماعية. جاء صوت بري خفيصًا:

- ما الذي سيحدث لنا هنا في اعتقادكن؟

انتظرت لورين صوت إحداهن لتقول:

- سنكون بخير.

لكن لم يقل أحد شيئًا!

قالت بري مجددًا:

- هل سنكون بخير؟

أجابت بيث هذه المرة:

- بالطبع سنكون بخير، سيبحثون عنا غدًا عند الظهر.

- وماذا إذا لم يتمكنوا من إيجادنا؟

- سيجدوننا.

- لكن ماذا إذا لم يتمكنوا من ذلك؟ (واتسعت عينا بري) أتحدث بجدية؟

ماذا إذا كانت أليس على حق؟ لا أتحدث عن أن الإنسان يختار مصيره،

فكل هذا هراء، أنا أشعر أن لا خيار لدي في أي شيء، ماذا لو لم نكن

نتحكم في مصائرنا، وسيكون قدرنا أن نضيع في العراء، ولا نجدنا

أحد؟!

لم تُجب واحدة منهن. وكانت النجوم تنظر إلى الأسفل، وضوؤها البارد

والبعيد يعمُّ الأرض. ثم قالت أليس بضحكة خافتة:

- بري، إن البقاء هنا ليس قدرنا المحتوم، إلا إذا اقتربت إحدانا ذنبًا لا

يُغتفر!

كان ذلك مضحكًا. ورأت لورين أنه حتى في الخصوصية النسبية التي

منحها لهن الضوء الخافت، كان الذنب مرسومًا على الوجوه.

الفصل السابع عشر

كارمن:

- لم يكن ذلك مريحًا.

- أيُّ جزء؟

- كل ما حدث بالداخل.

كانا يجلسان على مقعدَي السيارة خارج منزل لورين. وقد حل الليل، بينما كانا جالسين في الداخل ومضت أنوار الشارع، وأسقطت أنوارها على زجاج السيارة.

- لم أكن أعرف ماذا أقول لمارجوت عندما كانت في منزلها، أعني أنها على

حق. ما الذي يجب عليها فعله عندما تكون الصور منتشرة عبر الإنترنت بهذا

الشكل؟ ويبدو أنها لن تقدر على استعادتها مرة أخرى. ثم هل رأيت ريببكا؟

لقد كان المنظر صادمًا! لا عجب إذن أن تكون لورين متوترة طوال الوقت!

فكر فولك في المراهقة النحيلة، وفي أسوارها المنسوجة، وفي مقدار

القلق والضغوط المرتبطة بهذه الخيوط. ثم هز رأسه:

- وماذا الآن؟

تطلَّع إلى ساعته، وقد شعر أن الوقت متأخر عما كان بالفعل. تفقَّدت

كارمن هاتفها، وقالت:

- لقد أبدى الديوان موافقته على زيارة دانيال ببلي في منزله، على

افتراض أنه هناك بالفعل، لكنه قال إن علينا أن نأخذ حذرنا.

- نصيحة عظيمة!

وهل أفادونا بأيُّ شيء آخر؟! نظرت كارمن إلى جانبيها بابتسامة، وقالت:

- كالمعتاد! «أحضِرنا العقود». أتساءل ما إذا كان ابن دانيال قد عاد للبيت

أم لا؟

- ربما.

لكن فولك شك بالأمر. لقد رأى النظرة على وجه دانيال بيلي، وهو يهرع من منزل أليس. ولم يكن فولك مضطراً إلى معرفة جول بيلي ليعرف أنه يكذب كذباً وضيعاً بكل تأكيد. كان منزل عائلة بيلي مختبئاً خلف بوابة حديدية متقنة الصنع، وأسيجة كثيفة، لدرجة أنه كان من المستحيل رؤيتها من الطريق. قال فولك على سماعه نظام الاتصال الداخلي:

- بشأن أليس راسل.

فومضت الكاميرا عدة ومضات حمراء، ثم انفتحت البوابة بسلاسة لتكشف عن طريق طويلة. وكانت أشجار الكرز الياباني على جانبي الطريق تبدو كأنها دمي مشذبة. فتح بيلي الباب بنفسه، وتطلع إلى فولك وكارمن بدهشة، ثم عبس وجهه، محاولاً أن يصنفهما:

- هل التقينا من قبل؟

كان ذلك سؤالاً، ولم يكن جملة خبرية.

- أمس في موقف السيارات، مع إيان تيشيس.

- نعم، هذا صحيح.

كانت عينا بيلي محتقنتين بالدم. وبدا أكبر سنّاً مما كان عليه في اليوم السابق.

- هل وجدتم أليس؟ لقد قالوا إنهم سيتواصلون معنا إذا وجدوها.

- لم يجدوها بعد، لا، لكننا نريد أن نتحدث معك على أيّ حال.

- مجددًا؟ عن أيّ شيء؟

- بدايةً، عن السبب الذي جعلك تقف أمام باب بيت أليس راسل منذ عدة ساعات.

- هل ذهبت إلى بيتها؟

قالت كارمن:

- إنها لا تزال مفقودة، وأعتقد أنك تريدنا ألا ندخر جهداً للعثور عليها.

قال بيلي:

- بالطبع. (ثم توقف. ثم مرّر يداً على عينيه، وفتح الباب بشكل أكثر

اتساعاً، وتنحى قليلاً) آسف، تفضلاً بالدخول.

تبعاه في ردهة شديدة النظافة، تفضي إلى حجرة واسعة، مليئة بالأرضيات الخشبية المصقولة تحت الأرائك الجلدية، بينما كانت أسنة اللهب

الخفيضة تُضفي على الفرقة دفناً لطيفاً. كانت صالة عرض نظيفة لدرجة أن فولك حارب الرغبة في خلع حذائه.

كانت هناك صورة عائلية صورها مصور محترف، موضوعة على رف الموقد، تُظهر بيلي، وهو مبتسم، بجانبه امرأة جذابة ذات شعر أسود حالك. ويده مستقرة على كتف فتى في عمر المراهقة بكامل أسنانه البيضاء، وقميصه المكوّى بدقة شديدة. ظن فولك أنه جول بيلي، لكنه لم يشبه الصورة التي أرته إياها مارجوت على شاشة هاتفها. تابع بيلي نظرتَه إلى الإطار:

- لقد ذهبت إلى بيت أليس لأرى إن كان ابني هناك، لكنه لم يكن هناك، أو على الأقل لم أظن أنه هناك، فغادرت المكان.
كارمن:

- هل حاولت أن تتحدث إلى مارجوت؟
- لقد كانت هناك. أليس كذلك؟ أعتقد أنها يمكن أن تكون في البيت، لكنها لم تُجِب على الباب. (ثم نظر إلى الأعلى) هل تحدثتما إليها؟ هل تعرف أين جول؟

كان فولك على وشك أن يتحدث عندما صدرت حركة عند مدخل الباب.
قال صوت:

- هل ذلك عن جول؟ هل وجدتموه؟
كانت المرأة ذات الشعر الأسود الحالك الموجودة في الصورة في الإطار واقفة تنظر إليهما. وكزوجها؛ لن يكون بمقدورك أن تحدد عمرها، لكنها كانت تحرص على الأناقة في ملابسها، مع بعض المجوهرات التي تزين عنقها وأذنها، لكنّ عينيها كانتا مبقعتين بالدموع. قال بيلي:

- زوجتي، ميشيل، لقد كنت أقول إنني ذهبت إلى بيت أليس لأبحث عن جول فقط.

تصلب فم ميشيل غير مصدّقة:

- لماذا؟ سيكون من الصعب عليه أن يكون برفقتها. لا يريد أن يكون برفقتها بعد الآن!

بيلي:

- لم يكن هناك على أيّ حال. سيكون مختبئاً في بيت أحد أصدقائه.

- وهل أخبرت مارجوت على الأقل أن تتركه وشأنه؟ لأنها إذا صدر عنها أيُّ صور أو فيديوهات مثل هذه مرة أخرى، فإنني سأبلغ الشرطة بنفسني!
تنحني فوذك:

- لا أعتقد أن هناك أيُّ خطورة على مارجوت من إرسال أيِّ من هذه الصور بعد الآن، بل إنها غاضبة للغاية، لأن هذه الصور انتهى بها الأمر منشورة على الإنترنت!

- ومن أدراك أن جول ليس غاضبًا؟! بل إنه أكثر غضبًا من أيِّ شخص آخر. إنه محرج للغاية حتى من أن يواجهنا. ولم يتورط في أيِّ من ذلك بمحض إرادته!
كارمن:

- لكنه طلب منها هذه الصور حسبما تزعم مارجوت!
- لا، لم يطلب أيُّ صور منها. (بدت كلماتها قليلة وحادة) ابني لم يكن ليفعل شيئًا مثل هذا! هل تفهمانني؟
كان بيبي على وشك أن يقول شيئًا ما، لكن زوجته أسكتته.

- حتى إذا كان يقع عليه بعض الخطأ، وحتى لو كان يسري بينهما إعجاب من نوع ما، إذا أردنا أن نقول ذلك، وقال شيئًا أخذته مارجوت على محمل خاطئ، فلماذا ترسل له صورًا مثل تلك؟! أليس لديها أدنى حد من احترام الذات؟ إذا لم تكن تريد أن ينتهي الأمر بالصور المنتشرة عبر الإنترنت، فربما كان يجب عليها أن تفكر في ذلك قبل أن تتصرف كالعاهرة الصغيرة!
كانت الكلمات قد خرجت منها بالفعل عندما قفز بيبي من مقعده، وأخرجها من المكان. لقد غادر لدقائق، إلا أن فوذك كان بوسعه أن يسمع بعض الأصوات المكتومة، وبعض الصرخ الحاد الخفيض، والردود المحمومة عالية النبرة. وعندما عاد بدا أكثر توترًا.

- آسف لما حدث، لكنها متوترة للغاية. لقد كانت هي من اكتشفت الصور والفيديوهات، إذ أحضرنا تابلت جديدًا في غرفتنا يعمل بالتزامن مع هاتف جول. وبالصدفة عندما كان جول يُحمّل هذه الصور على هاتفه، ظهرت في التابلت، فرأت كل شيء. واتصلت بي ميشيل عندما كنت في طريقي بالفعل لأستقل حافلة الرحلة، فكان عليّ أن أعود أدراجي مرة أخرى. كان جول هنا مع اثنين من أصدقائه، لكنني عندما وصلت

جعلتهما يغادران المنزل، وأجبرتهما على إزالة الصور، وبالطبع أعطيته محاضرة عن مثل هذه الأشياء.

- لهذا تأخرت عن الرحلة؟

فأوماً بيلى:

- لم أكن أريد الذهاب على الإطلاق، لكن كان الوقت قد أزف لإلغاء الرحلة. وأنت تعرف أن المدير سيظهر بمظهر غير لائق إذا تخلف عن مثل هذه الرحلات. بجانب.. (لكنه تردد لثانية) أعتقد أنني ربما يجب عليّ أن أحذر أليس.

تعجب فولك وكارمن، ورفعوا حاجبيهما. قالت كارمن:

- حتى على الرغم من أنك أزلت الصور كافة؟

- شعرت أنه من المهم فعل ذلك. (وبدت نبرة للتضحية بالذات في صوته).

- وهل تمكنت من فعل ذلك؛ من تحذيرها؟

- نعم.. في الليلة الأولى من الرحلة، عندما ذهبنا إلى مخيم النساء. لقد

حاولت أن أهاثها قبل أن أصل، لكنني لم أتمكن. وحينما وصلت إلى

مكان بدء الرحلة كانت مجموعة النساء قد غادرت بالفعل.

فكر فولك في الهواتف، لكن إشارات الهاتف كانت تتضاءل كلما أوغلوا في

الرحلة. فقال:

- لكن لم العجلة؟ لقد قلت إنك أزلت الصور، فلماذا لا تخبرها بعد انتهاء

الرحلة؟ ذلك إذا كان من المهم إخبارها في الأساس؟

- نعم، انظر، بشكلٍ شخصيٍّ كنت سأبقى في غاية السعادة، لو أن

الموضوع قد انتهى عند إزالة الصور، لكن.. (ثم نظر إلى مدخل الباب

الذي كانت زوجته تقف عنده منذ دقائق) ميشيل كانت مستاءة للغاية،

وكانت تعرف رقم مارجوت راسل. عندما وصلت، بدأت أقلق من أن

ميشيل قد تُدلي بدلوها في الموضوع، ولم أريد أن تغادر أليس الرحلة

بعد ثلاثة أيام لترى رسائل من مارجوت، وهي تشكو من زوجتي، وأليس

لا تعرف شيئاً عن هذا. وبصراحة سيكون الحق إلى جانبها إن لأمّنتني.

نظر فولك وكارمن إليه. وقال فولك:

- إذن، ما الذي أخبرت أليس به؟

- ظننت أنها لا تريد أن يعرف أحد بالأمر، لذا فإني انتحيت بها جانبًا. (ثم لاح على وجهه شبح ابتسامة، وتابع حديثه) لأكون صريحًا، لم أكن أريد أن يعرف الجميع، لذا أخبرتها أن جول كان لديه بعض الصور التي تخص مارجوت، لكنها أُزيلت تمامًا.

- وكيف كان رد فعل أليس؟

- في البداية لم تصدقني بخصوص الصور، أو لم ترد أن تصدقني. (ثم نظر إلى مدخل الباب، حيث كانت تقف زوجته) لكن كان ذلك متوقعًا على الأرجح، إذ أصرت أن مارجوت لن تفعل مثل هذه الأشياء، لكن عندما أخبرتها أنني رأيت الصور بنفسني تغير رد فعلها، وبدأت تأخذ الأمور على محمل الجد، وسألت إن كنت قد أريت الصور لأي شخص آخر، فقلت: «بالطبع لا». وأظن أنها لا تزال تحاول استيعاب الأمور، لكنني لا ألومها حقًا. لقد مررتُ بالكثير من المشكلات من هذا النوع. (ثم نظر إلى يده). وفكر فولك في كلمة جيل عندما قالت له: «إنه أمر يخص العائلة».

- وهل أخبرتك بما حدث؟

- في الرحلة؟ (هز ببلي رأسه) ليس كل ما حدث، بل أخبرتها أنني تأخرت، لأننا اكتشفنا صورًا لجول في بعض الأوضاع المخلة. ولم أشر إلى أن مارجوت متورطة في الأمر. اعتقدت أنه قرار أليس وحدها بصفتها أمها، لكنني اضطررت إلى أن أخبر جيل في نهاية الرحلة عندما لم توضح أليس الأمور.

- وكيف كان رد فعلها؟

- كانت غاضبة، وقالت إنه كان من المفترض أن أخبرها القصة كاملة في الليلة الأولى في المخيم، وهو أمر ربما كان عليّ أن أفعله.

استلقت كارمن على مقعدها:

- إذن، كيف انتشرت الصور عبر الإنترنت؟ مارجوت تدّعي أنها منتشرة منذ أمس.

- بصراحة، لا أعرف. لقد عدت إلى البيت أمس بمجرد أن سمعت من ميشيل عن الأمر. ولقد سمعت هي عن الأمر من إحدى الأمهات. (ثم هز رأسه) إن كان لكلامي قيمة، فأنا لا أعتقد أن جول هو من نشرهم. لقد تحدثت معه لوقت طويل عن احترام الخصوصية، وقد بدا أنه مقتنع بكلامي حقًا. ظن فولك عند ذلك أن دانيال ببلي يكرر كلام زوجته في تلك اللحظة.

- كان جول برفقة عدة أصدقاء عندما اكتشفت ميشيل الصور. أعتقد أنه في خضم الفوضى التي حدثت، كان أحد منهم قد نسخ الصور. (وقلب هاتفه في يده) ما أريده فقط هو أن يجيب جول عن هاتفه اللعين حتى نصل إلى تسوية لهذا الأمر.

للحظة، كان الصوت الوحيد في المكان هو صوت طقطقة النار. قال فولك:

- ولماذا لم تذكر هذا عندما تحدثنا إليك من قبل؟

- كنتُ أحاول احترام خصوصية الأولاد، لا أن أجعل الأمور أسوأ بالنسبة إليهم.

نظر فولك إليه. ولأول مرة لم تلتق أعينهما، لكن كان هناك شيء آخر. فكر فولك في مارجوت التي تقف كما الطفلة وحدها في مطبخ أمها.

- وكم عمر مارجوت في هذه الصور؟

نظر بيلى إلى فولك، فعرف فولك على الفور أنه مستوعب الأمر.

- إذا نظر أحد إلى التواريخ التي التُقِطت فيها هذه الصور، سيكتشف أنها كانت في عمر الخامسة عشرة فقط.

هز بيلى رأسه:

- لا أعرف.

وبدا فولك واثقًا مما يفعل:

- وكم عمر ابنك الآن؟

بعد فترة صمت:

- في الثامنة عشرة، لكنه كان مجرد فتى في السابعة عشرة من عمره، عندما كانا يريان بعضهما بعضًا.

أرادت كارمن توضيح الأمور:

- لكنه لم يُعد كذلك! هو الآن بحكم القانون شاب ناضج، ينشر صورًا جنسية لطفلة قاصر! أُمَل أن يكون لديك محام جيد.

كان بيلى جالسًا على أريكته باهظة الثمن، بجانب شعلة النار التي تطلق، ثم رفع عينه لينظر إلى ابنه المبتسم في الصورة العائلية. ثم أومأ، لكنه لم يَكُن سعيدًا:

- سنفعل.

اليوم الثالث: ليلة يوم السبت

اختفت أليس لفترة قبل أن يلاحظ أي شخص آخر. لم تكن بري متأكدة كم من الوقت قد مر، وهي تنظر إلى السنة اللهب عندما أدركت أن من يجلسن حولها أربع منهن فقط. نظرت إلى الخلاء، فلم يكن هناك الكثير لتراه. أما مقدمة الكوخ، فكانت تتلون باللون الأسود والبرتقالي، وتخلق زواياه ظلالاً حادة على ضوء النار، إلا أن كل ما حولها كان في ظلام تام.

- أين أليس؟

نظرت لورين:

- أظن أنها ذهبت لتقضي حاجتها.

عبست جيل، وهي تنظر عبر كتلة النار:

- كان ذلك منذ فترة، أليس كذلك؟

- أهو كذلك؟ لا أعرف.

ولم تعرف بري أكان ذلك منذ فترة أم لا أيضاً، إذ يبدو تدفق الزمن مختلفاً في الخارج، إذ راحت تراقب النار لعدة دقائق، أو ربما لعدة دقائق أخرى، قبل أن تتجول جيل.

- بصراحة، أين هي؟ هي لم تذهب بعيداً بحيث يتعذر عليها رؤية النار

لتعود أدراجها، أليس كذلك؟

وقفت بري مستقيمة، وصاحت بأعلى صوتها:

- أليس.

أصخن السمع. سمعت بري طقطقة من مكان ما خلفها، فقالت لنفسها إنه مجرد حيوان الأبسوم، وعدا ذلك، كان كل شيء في مكانه.

جيل:

- ربما لم تسمعنا. (ثم قالت بصوت خفيض) إن حقيبتها لا تزال هنا،

أليس كذلك؟

ذهبت بري لتتفقد الحقائق. وبداخل الكوخ، تمكنت من أن ترى ظلال خمس حقائب، ولأنها لم تستطع أن تعرف أيّ واحدة هي حقيبة أليس، فقد أحصت الحقائق مجددًا لتتأكد. خمس حقائب، لقد أحصتها كلها. ثم وهي تلتفت للمغادرة، لمحت حركة من النافذة الجانبية، فنظرت إلى الثغرة، حيث كان من المفترض أن يكون هناك زجاج. رأت شخصًا يتحرك إلى جانب صف الأشجار.. إنها أليس.

كان من الصعب معرفة ما تفعله. عندما رأت بري خيطًا خفيفًا من الضوء زفرت، وعادت مرة أخرى إلى شعلة النار. أشارت بري بيدها:
- أليس هناك في الجهة الخلفية تتفقد الهاتف.

جيل:

- لكن أليست حقيبتها هنا؟

- بلى.. هنا.

- هل يمكنك أن ترجعها إلى هنا. أرجوك لا أريد أن يضل أيّ منا في الظلام.

نظرت بري حولها، وهي تسمع حفيفًا من مكان ما بين الأشجار، فطمأنت نفسها بأنه مجرد حيوان الأبسوم: «كل شيء على ما يرام». كان الظلام يعمُّ كل ما هو بعيد عن شعلة النار، فتعثرت بري على الأرض غير المستوية، إلا أن ألهبة النار كانت تتراقص في مخيلتها، سواء كانت عيناها مغلقتين أو مفتوحتين. التقطت أنفاسها، وأجبرت نفسها على التوقف والانتظار، بدأت الأشكال تتضح أمام عينيها. وكان بوسعها أن ترى جسمًا يتحرك بجانب صف الأشجار.

- أليس.

قفزت أليس مرتعبة عندما سمعت اسمها، فتوهج الهاتف في يدها.

بري:

- ألم تسمعينا، ونحن نناديك!؟

- نعم، عذرًا، متى؟

ارتسم على وجه أليس تعبير غريب، وعندما اقتربت بري أكثر، ظنت أن الدموع تتجمع في عيني رفيقتها.

- منذ قليل، هل أنتِ بخير؟
- نعم، لقد اعتقدت.. اعتقدت أن الهاتف التقط إشارة لثوانٍ.
- يا إلهي! حقًا؟ (كانت بري على وشك أن تنتزع الهاتف من يدها، لكنها أوقفت نفسها في الوقت المناسب) وهل تمكنتِ من الاتصال بأحد؟
- لا، لقد أُصِبت بالإحباط فورًا، لأن الشبكة هربت مجددًا. (ثم نظرت أليس إلى الأسفل) لا أعرف، ربما أكون قد تخيلت هذا.
- هل يمكنني أن أرى؟
- حاولت بري أخذ الهاتف، لكن أليس ابتعدت عنها.
- هناك خلل ما. أظن أنني قد رأيت ما أريد أن أرى.
- وعلى الشاشة استطاعت بري أن تلتقط لمحة من اسم مارجوت. وقد كان آخر رقم اتصلت به أليس. ترددت، لأنه كان هاتف أليس، لكن كلهن في القارب البائس نفسه، وهذا ما غير القواعد، فالتقطت بري أنفاسها.
- كان علينا أن نستخدم الهاتف لنتصل بالنجدة فقط.
- أعرف.
- أعني أنني أعرف أن الجميع يفتقد أحبَّاءه، ويفكر في عائلته، أنا أفهم ذلك تمامًا، لكن...
- بري، أنا أعرف كل ذلك، أنا لم ألتقط الإشارة أصلًا!
- لكن حتى محاولة الاتصال تستهلك البطارية، ونحن لا نعلم ما المدة التي...
- يا إلهي! أنا أعرف كل ذلك! (من المؤكد أن أليس كانت تبكي) كان ما أردته هو أن أتحدث إليها. هذا كل شيء.
- حسنًا.
- وضعت بري يدها على ظهر أليس، وربتت عليه. وقد كان هذا غريبًا، وأدركت أنهما لم تتشاركا أيَّ شيء من قبل سوى مصافحة اليد. مسحت أليس عينيها بأكمامها:
- أعرف أنها تكبر، لكنها لا تزال طففتي، لن تفهمي ذلك أبدًا!

لا، فكرت بري في بيضة الطير التي وقعت بجانب قدمها في اليوم السابق، وافترضت أنها لن تفهم ذلك أبدًا بالفعل، ويدها لا تزال على ظهر أليس. كانت أليس تنظر إليها الآن:

- لا تخبري الآخرين.. من فضلك.
- سيرغبن في معرفة ما حدث بشأن التقاط الإشارة.
- لم يكن هناك أيُّ إشارة، كنت مخطئة.
- لكن لا يزال...
- سيرفع هذا من آمالهن إذا أخبرتِهِنَّ به. سيحاول الجميع الاتصال بأقاربه. وأنتِ على صواب بشأن البطارية.
- لم تقل بري شيئًا.
- موافقة؟
- عندما تركت بري يدها تسقط عن ظهر أليس. أخذت أليس يدها، وقبضت على مفاصلها بشدة لدرجة أن الأمر كان مؤلمًا.
- بري؟ بالله عليك.. أنت ذكية بما يكفي لتري أنني على حق.
- بعد فترة صمت:
- أفترض ذلك!
- فتاة طيبة. شكرًا لك. إن ذلك لمصلحة الجميع.
- عندما أومأت بري، شعرت بأليس، وهي تسقط يدها.

الفصل الثامن عشر

بدا دانيال ببلي صغيرًا للغاية بجانب قصره المترامي الأطراف. كان بوسع فولك أن يراه من المرآة العاكسة للسيارة، وهو يبتعد بالسيارة مع كارمن. انفتحت البوابة الحديدية التي تحرس العقار بصمت لتسمح لهما بالخروج. قال فولك، وهما يسيران عبر الشوارع النظيفة:

- أتساءل متى يخطط جول ببلي للرجوع إلى المنزل، ومواجهة كل هذا؟
أظن عندما يريد من أمه أن تغسل له ملابسه، وأراهن أنها ستفعل ذلك بكل حب.

إلا أن عصافير معدة كارمن كان صوتها أعلى من صوت محرك السيارة، فلم يخطئ سماعه. فقالت:

- هل تريد أن نشترى شيئاً لنأكله؟ لم يترك جيمي أيّ طعام في البيت قبل أن يغادر. (ونظرت عبر النافذة، وهما يغادران إلى صف من المتاجر الراقية) أنا لا أعرف أيّ مكان هنا يمكننا أن نتناول فيه أيّ طعام. لا يوجد مكان هنا لن يكلفنا رهن بيتنا!

فكر فولك لدقائق، وهو يحصي خياراته؛ هل هي فكرة جيدة أم سيئة؟
- يمكنك أن تأتي إلى شقتي. (خرجت الكلمات من فمه قبل أن يقرر قراراً نهائياً في ذلك الشأن) سأصنع لك وجبة شهية.
وأدرك أنه كان يحبس أنفاسه، لكنه زفر بها.
- مثل ماذا؟

راح يتفقد خزائنه، وفريزر ثلاجته صامتاً:

- طبق من المكرونة.

ندت عن كارمن إيماءة في الظلام، ظننها فولك ابتسامة.

- طبق من المكرونة في شقتك! (تأكد فولك أنها تضحك، إذ سمع صوت الضحكة في صوتها) كيف لي أن أرفض ذلك، لنذهب إلى هناك.

فتوجه فولك إلى شقته. بعد ثلاثين دقيقة، توقف فولك خارج شقته التي تقع في منطقة القديسة هيلدا. كانت الأمواج في الخليج عالية وعنيفة، وهما يمران جنبها، وقممها البيضاء تتوهج على ضوء القمر. «تفضلي». كانت لشقته رائحة من ترك بيته فارغاً لعدة أيام، فأضاء أنوار الشقة. وكانت أذيته الرياضية لا تزال بجانب الباب، حيث ركلها جانباً لينتعل حذاءه الرياضي المناسب للرحلة. كم يوم مر على ذلك؟ لم يمر ثلاثة أيام، لكنه شعر بمرور أكثر من ذلك.

دخلت كارمن وراءه، ونظرت حولها بلا خجل. وكان بوسع فولك أن يراها، وهي تأخذ جولة عبر غرفة المعيشة، وتضيء الأنوار. وبمجرد أن أضاء المدفأة عمّ الدفء المكان. كانت الغرفة بالكامل مطلية باللون الأبيض، مع بعض البقع التي تركت آثارها أرفف الكتب المصفوفة على الجدران، ولم يكن هناك أي أثاث آخر سوى طاولة في الركن وأريكة تواجه التلفزيون. اعتقد فولك أن المكان يبدو أصغر عندما يوجد فيه أي شخص، لكنه ليس مزدحمًا. حاول أن يتذكر آخر مرة زاره فيها شخص ما، فوجد أن ذلك حدث منذ فترة.

ودون دعوة جلست كارمن على مقعد طاولة الإفطار التي تفصل المطبخ المتواضع عن غرفة المعيشة. وقالت:

- إنها جميلة. (وهي تلتقط واحدة من الدميتين يدويتَي الصنع، الملقيتين فوق مظروفين على الطاولة) أهى هدايا، أم أنك بدأت صناعة بعض الأشياء الغريبة؟

ضحك فولك:

- هدايا، شكرًا لك، كنت أنوي إرسالها بالبريد هذا الأسبوع، لكنني لم أتمكن من ذلك وسط كل ما حدث، إنهما هدايا لأطفال بعض الأصدقاء.
- أوه! حسنًا. (حملت المظروفين) ليسا صديقين من نفس المدينة إذن؟
- لا، واحد منهما صديق من كياورا، حيث ترعرعت هناك. (ثم فتح فولك خزانة مطبخه، وركز تركيزًا شديدًا على المحتويات بالداخل، فلم يضطر إلى النظر إليها) والآخر قد توفّي في الحقيقة.

- أوه! أسفة لذلك.

قال محاولاً أن يقصد ذلك بالفعل:

- لا بأس. المهم أن ابنته الصغيرة على أفضل ما يرام، وهي تعيش في كياورا كذلك. وتلك الدمى ما هي إلا هدايا متأخرة لأعياد ميلادهما، لكن كان عليّ أن أنتظر حتى أضع اسميهما عليها.

ثم أشار إلى المظروفين الموجودين أسفل الدمى؛ إيفا راكو، وشارلوت هادلر، وكلاهما يكبر سريعاً كالعشب بحسب ما أُخبر به، لكنه لم يتحقق من ذلك بنفسه، فشعر بالذنب فجأةً حيال ذلك، وقال لكارمن:

- أهي هدايا جيدة للأطفال، أليس كذلك؟

- دميّتان جميلتان يا فولك. متأكدة من أنهما سيحبانهما.

وأعادتهما كارمن بحذر إلى لفافتهمما، بينما كان فولك يواصل إخراج الأغراض من خزانة المطبخ.

- هل تريدان أن تتناولوا الشراب؟ (وأسدل الستار عن زجاجة من النبيذ، عليها بعض من التراب، إذ لم يكن فولك يشرب كثيراً بصحبة الأصدقاء، وبالطبع لا يشرب كثيراً وحده) هل النبيذ الأحمر جيد؟ أظن أن لديّ بعض النبيذ الأبيض، لكن..

- النبيذ الأحمر جيد للغاية، شكراً. سأفتح الزجاجة. (أخذت كارمن الزجاجة، وأحضرت كأسين) لكن شفتك راقية للغاية وأنيقة جداً، لكن سوف أستغرق الكثير من الوقت لألاحظ أن هناك من يزورك على الإطلاق. ذلك على الرغم من أن ذوقك ينحو منحى رهبانيّاً، إذا كان لي أن أقول ذلك.

- لست الأولى التي تقول ذلك.

ثم دسّ رأسه في خزانة مطبخ أخرى وخرج بقدرين كبيرين. وأخرج اللحم المفروم من الفريزر إلى الميكرويف ليذوب قليلاً، بينما سكبت كارمن النبيذ في كأسين. وقالت:

- لم أطق صبراً في أيّ وقت لفعل كل هذا. (ثم خبّطت كأسها في كأسه، وقالت) بصحتك.

- بصحتك.

كان يعرف أنها تطيل النظر إليه، وهو يضع الزيت والبصل والثوم في الطاسة، وعندما طابت المكونات التي وضعها قليلاً، فتح علبة من صلصلة الطماطم، فرأى نصف ابتسامة على وجهها.

- ماذا؟

- لا شيء. (نظرت إليه من أعلى كأسها، بينما كانت ترشف منه رشفة) كنت أتوقع أنك تصنع صلصلة الطماطم خِصِيصِي لهذا الطبق، بعدما رأيت مهارتك في الطبخ.

- لا تتحمسي كثيراً، فلم تتذوقها بعد.

- لا، فالرائحة شهية. لم أكن أعرف أنك طبّاح ماهر.

ابتسم:

- هذا من لطفك. بوسعي أن أعد هذا الطبق، وعدة أطباق أخرى. الأمر يشبه اللعب على البيانو، أليس كذلك؟ تحتاجين إلى معرفة إعداد خمسة أطباق شهية حتى يعتقد الناس أنك ماهرة في الطبخ.

- إذن، هذا طبقك الرئيسي كما يقولون في برامج الطبخ.

- واحد منها، لكنني ماهر في إعداد أربعة أطباق أخرى.

- دعني أقل لك إن خمسة أطباق هي أكثر مما يستطيع أيُّ رجل إعداده. (ابتسمت، وقفزت من مقعدها) هل يمكنني أن أتفقد الأخبار لدقيقة؟

التقطت كارمن ريموت التلفاز دون أن تنتظر إجابة. كان الصوت خفيضاً، واستطاع فولك أن يرى الشاشة من طرف عينيه، ولم يكن عليهما الانتظار طويلاً ليعرفا المستجدات، فقد جرى المؤشر على طول الجزء السفلي من الشاشة. «مخاوف جسيمة من فقدان رحّالة ملبورن».

وظهرت سلسلة من الصور؛ أليس راسل وحدها، ثم صورة مع المجموعة التي التقطت قبل بدء الرحلة، وصورة لمارتن كوفاك، وأربع صور لضحاياه السابقين، وصور لضاحية جيرانج، ومجموعة متشابكة من الألوان الخضراء والبنية التي تمتد إلى الأفق. صاح فولك من المطبخ:

- أجاؤوا على ذكر الابن؟

فهزت كارمن رأسها.

- ليس بعد، فكل الأخبار تبدو تخمينية!

أغلقت التلفاز، وانتقلت لتفحص أرفف كتبها:

- مجموعة جيدة.

- لا تتردد في استعارة أيّ من تلك الكتب.

يقرأ بنهم في جميع المجالات، وكثيراً مما يقرؤه يقع في باب الأدب، ويتنوع هذا الأدب من الأدب الرفيع إلى الأدب التجاريّ. حرك المقلاة، فأغرقت الرائحة المكان، فيما راحت كارمن تفحص الكتب، وتمرّز يديها على طول الأرفف، ثم تتوثق لمرة أو مرتين، وتميل برأسها لتقرأ العناوين. ثم توقفت في منتصف المسافة، إذ علقت يدها في شيء بين الكتب.

- هل هذا أبوك؟

توقف فولك فجأةً، وهو يعلم دون أن ينظر ما الذي تتحدث عنه. حرك المقلاة مرة أخرى قبل أن يلتفت ناحيتها، فوجد كارمن تحمل صورة، وكان لديها أخرى في يدها.

- نعم، هذا هو أبي.

مسح فولك يده في فوطة شاي، وعبر طاولة المطبخ للصورة التي كانت تحملها في يدها، كانت صورة بغير إطار، فحملها من حافاتها.

- ما كان اسمه؟

- إريك.

لم يكن فولك قد نظر إلى الصورة بشكل مناسب منذ أن طبعتها له الممرضة، وقدمتها له في كارت بعد أن انتهت جنازة والده. ويظهر في الصورة رجل واهن المظهر، يجلس على كرسي بعجلات. كان وجه أبيه مشدوداً وشاحباً. كان كلا الرجلين يضحك، لكنها ضحكة مصطنعة، وكأنها استجابة لتعليمات الرجل الذي وراء الكاميرا. كانت كارمن تنظر إلى الصورة الأخرى التي وجدتتها، وأرتها لها:

- لكن هذه الصورة لطيفة حقاً، أين التُقطت؟

- لست متأكداً، لكنها كانت منذ فترة بعيدة كما هو واضح.

وجد فولك صعوبة في بلع لعابه، وهو ينظر إلى الصورة الأخرى، إذ كانت الصورة أقل جودة من الصورة الأولى، وبها قليل من الاهتزاز، لكن لم تكن الضحكة مصطنعة هذه المرة، وكأنه مجبر على التقاط الصورة. كان فولك

يبلغ الثالثة من العمر كما ظن، ويجلس على كتفي والده، ويدها تمسكان بوجنتي أبيه، وذقنه يستقر على شعر والده.

كانا يسيران على ما تذكّره فولك على أنه الممر الذي يجاور مزرعتهما الخلفية الكبيرة. حاول فولك أكثر من مرة أن يعرف ما الذي ينظر إليه أبوه. وأياً كان ما ينظر إليه، فقد جعلهما يضحكان. سواء كانا يضحكان بشأن الطقس، أم بسبب خطأ في التقاط الصورة، إلا أن المشهد كان مغموراً بضوء ذهبيّ، مما جعل الأمر يبدو وكأنه صيف لا نهاية له.

لم يرَ فولك الصورة لسنوات، حتى استعاد حقيبة والده مرة أخرى من المستشفى، وأفرغ محتوياتها. لم يكُن يعلم أن أباه كان يحتفظ بهذه الصورة، ناهيك بمدة احتفاظه بها، ومن بين العديد من الأشياء في حياته التي تمنى فولك لو أن مقاديرها تجري بطريقة مختلفة، كان يتمنى أن يُريه والده هذه الصورة عندما كان لا يزال حياً.

لم يكُن فولك يعرف حقيقة شعوره تجاه أيّ من تلك الأشياء؛ حاجيات أبيه، والجنازة، وموت أبيه. بل كل ما فعله أنه حفظ حقيبة والده بالخرائط التي بداخلها أسفل خزانة الملابس، ووضع الصور بين اثنين من كتبه المفضلة حتى يقرر ما سيفعله بشأنهما. ولقد بقي كل شيء في مكانه منذ ذلك الحين. قالت كارمن بينما كان ينظر إلى الصورة:

- أنت تشبهه كثيرًا، لكن ليس في هذه الصورة التي التّقطت في المستشفى.

- لا، فقد كان عليلاً للغاية في هذه المرحلة. وسرعان ما تُوفّي بعد تلك الصور، لكننا كنا نشبه بعضنا بعضًا كثيرًا.

- نعم، يمكن أن تقول ذلك على تلك الصورة التي كنت فيها طفلاً.

- أعرف ذلك.

لقد كانت على حق، إذ إن الرجل الذي في الصورة يمكن أن يكون فولك نفسه.

- حتى إذا لم تكُن تتطلع إلى الصورة كثيرًا، فمن المؤكد أنك تفتقده.

- بالطبع أفتقده كثيرًا، لقد كان أبي.

- ومن أجل هذا أخفيت الصور.

- لا، حسنًا، لأنني لم أعد بيتي إعدادًا جيدًا بعد.
- حاول أن يمزح بشأن ديكور شقته، لكنها لم تضحك، بل كانت تراقبه عبر كأسها.
- أتعرف أنه لا بأس بالندم؟
- ماذا؟
- لا بأس في أن تندم، لأنك لم تكن قريبًا من أبيك عندما وانتك الفرصة. لم يُقَلْ شيئًا.
- لست أول ابن يشعر بهذا بعد فقدك لوالدك.
- أعرف.
- خاصةً إذا شعرت أنك ربما كان عليك أن تبذل المزيد من الجهد.
- كارمن، أشكرك، أعرف ذلك.
- وضع فولك المعلقة الخشبية بالأسفل، ونظر إليها.
- حسنًا، كنت أقول هذا في حال لم تكن تعرف فقط.
- لم يستطع أن يبتسم ابتسامة صغيرة.
- ذكّرني، هل تدرّبتِ تدريبًا مهنيًا على الطب النفسي أم أنك...؟
- موهبة، لكنني لم أمارس ذلك. (وتلاشت ابتسامتها) من المخزي أنكما انفصلتما عن بعضكما بعضًا. على الرغم من أنكما كنتما سعيدين معًا عندما كنتما أصغر!
- نعم، لكنه كان رقيقًا صعب المراس، فقد عاش لنفسه كثيرًا.
- نظرت كارمن إليه:
- أتقصد أنه كان يعيش مثلك؟
- لا، بل أسوأ مني بكثير، فقد واصل إبعاد الناس عنه كثيرًا، حتى الناس الذين يعرفونه جيدًا، ولم يكن كثير الكلام، فكان من الصعب عليك معرفة ما الذي كان يفكر فيه معظم الوقت!
- أهذا صحيح؟
- نعم، لقد انتهى به الأمر مستقلًا عني...
- حسنًا.

- لهذا لم يتواصل تواصلًا جديدًا من قرب مع أيّ شخص.

- يا إلهي! بحق الله يا فولك، هل تسمع ما تقوله؟

كان مضطّرًا إلى أن يضحك.

- انظري، أعرف كيف يبدو هذا، لكنه لم يكن مثلي. لو كنا متماثلين كنا

سنتوافق معًا، خاصةً بعدما تركنا مدينتنا، إذ كنا في حاجة إلى بعضنا

بعضًا في ذلك الوقت، لكن كان من الصعب الاستقرار هنا خاصةً في

السنوات الأولى. كنت أفقد مزرعتنا، وحياتنا القديمة، لكنه لم يُظهر

مرة تفهّمه لهذا الأمر.

أملت كارمن رأسها:

- أو ربما كان يدرك كيف كان الوضع صعبًا، لأنه كان يمر بوقت صعب،

وهذا ما جعله يدعو لخوض الرحلات معًا في عطلات نهاية الأسبوع.

أوقف فولك تحريك المقلاة، ونظر إليها.

- لا تنظر إليّ كذلك! أنا لا أعرفه، بل أنا أقول ما يفعله معظم الآباء تجاه

أبنائهم فقط. (ثم هزت كتفيها) ما أعنيه أن تنظر إلى عائلة بيلى، وما

يفعله أبناؤهم الحمقى، فلا يقع الذنب عليه حتى إذا التقطته الكاميرات.

يبدو الأمر كالمجنون؛ مارتن كوفاك، وهو يقضي أواخر سنواته من أن

ابنه قد هرب!

بدأ فولك تقليب مقلاته مجددًا، وحاول أن يفكر فيما تقوله، فخلال اليومين

الماضيين، تحوّلت الصورة الهشة التي كانت لديه عن والده إلى شيء مختلف

قليلاً. قال أخيرًا:

- أفترض ذلك، واسمعي، تمنيت لو أن علاقتنا تكون أفضل من ذلك.

بالطبع كنت أتمنى ذلك، وأعلم أنني كان يجب عليّ أن أحاول جاهدًا.

فقط شعرت أن والدي لم يكن يريد أن يلتقيني في منتصف الطريق.

- مجددًا، كنت ستعلم ذلك، لكنك أنت من وضعت آخر صورة له بين

كتابين، ولا يبدو أن هذا تصرف رجل يريد أن يلتقي أحدًا في منتصف

الطريق. (وقفت ووضعت الصورة مكانها بين الكتب) لا تعبس، لن

أدخل فيما لا يعنيني بعد ذلك، أعدك.

- حسنًا، الغداء جاهز على أيّ حال.

- جيد، سيجبرني هذا على التزام الصمت قليلاً على الأقل. (وابتسمت حتى رد لها الابتسامة).

ملاً فولك طبقين بالمكرونة والصوص الغنيّ، وحملهما إلى الطاولة الصغيرة الموضوعة في الزاوية. قالت كارمن، وهي تأكل أول قزصة:

- هذا بالضبط ما كنت أحتاج إليه. (وأنتهت ربع طبقها قبل أن تستلقي إلى الخلف، وتمسح فمها بمنديل) إذن، هل تريد أن نتحدث عن أليس راسل؟

- ليس حقاً، أتريدين ذلك؟

هزت كارمن رأسها:

- لننتحدث عن شيء آخر. (ثم رشفت رشفة من كأسها) منذ متى هجرتك حبيبتك؟

نظر إليها فولك في ذهول، فيما كانت شوكتة في منتصف الطريق إلى فمه:

- كيف عرفت ذلك؟

ابتسمت كارمن ابتسامة صغيرة:

- كيف أعرف؟! فولك، لديّ عينان! (ثم أشارت إلى فجوة كبيرة بجانب الأريكة، كانت في زمان ما مكاناً لكرسي). إما أن هذه الشقة هي الأبسط أثاثاً على الإطلاق، وإما أنك لم تستبدل أثاثها من قبل! هز فولك كتفيه:

- لقد هجرتني منذ أربع سنوات.

وضعت كارمن كأسها:

- أربع سنوات! لقد اعتقدت بصراحة أنك ستقول أربعة أشهر. يعلم الله أنني لا أفخر بنفسني كثيراً، لكن ما الذي تنتظره، أنتتظر توصيلة لمعرض أثاث؟

كان عليه أن يضحك:

- لا، أنا لم أتمكن من استبدال أغراضها فقط. ثم إنني يمكنني الجلوس على أريكة واحدة في كل مرة.

- نعم، أعرف ذلك، لكن فكرة أنك يمكنك أن تدعو الناس لمنزلك ليجلسوا على الأطلال. أعني أن ذلك غريب جداً! إنك لا تملك كرسيًا حتى! لكنك تملك. (ثم أشارت إلى صندوق خشب مطلي، يتراكم عليه الغبار في الزاوية) تمتلك ذلك، ما هذا الشيء أصلاً؟!

- إنه رف المجلات.

- ليس هناك مجلات عليه!

- لا، أنا لا أقرأ المجلات.

- إذن، فهي قد أخذت مقعدها الفخم، لكنها تركت رف المجلات.

- هذا صحيح إلى حد ما.

- غير معقول. (هزت كارمن رأسها غير مصدّقة) حسنًا، إذا أردت أيّ

إشارة على أنك أفضل حالًا دونها، فمن المستحسن أن تملأ هذا الركن،

وتتخلص من الكثير من المجلات. ما كان اسمها؟

- راشيل.

- ما الذي وقع بينكما؟

نظر فولك إلى طبقه، فلم يكُن قد ترك لنفسه الوقت ليفكر في هذا الأمر

كثيرًا، بل كل ما كان يفكر فيه عندما يتذكرها الطريقة التي كانت تبتسم بها.

وعلاقتهما في البداية عندما كان كل شيء لا يزال جديدًا. أعاد ملء كأسيهما.

- جرى الأمر كالمعتاد. لقد ابتعدنا عن بعضنا بعضًا، وغادرت، لكن

انهيار العلاقة كان خطئي.

رفعت كأسها:

- نعم، يمكنني أن أرى ذلك، في صحتك.

كاد يضحك:

- عذراً؟ أنا على يقين من أنك لم تقصدي قول ذلك!

- آسفة، لكنك كبير بما يكفي لتستوعب هذا! أعني أنك رفيق رقيق يا

أرون، تستمع ويبدو أنك تهتم، وتحاول أن تفعل الصالح لمصلحة

الناس، لكن إذا أوصلتها للنقطة التي اضطرت فيها إلى المغادرة، فهذا

خطؤك.

كان على وشك أن يحتج، لكنه عدل عن ذلك، إذ هل يمكن أن يكون هذا صحيحًا؟ قال أخيرًا:

- إنها لم تفعل أيَّ شيء خاطئ، بل إنها أرادت أشياء شعرت أنني غير قادر على تلبيتها.

- مثل ماذا؟

- أرادتني أن أعمل أقل، وأتحدث أكثر، وأخذ بعض الوقت لنفسى، وربما يمكن أن نتزوج.. لا أعرف! كما أنها أرادت منى أن أصلح علاقتي بوالدي.

- هل تفتقدها؟

هز رأسه، وقال بثقة:

- لم أعد كذلك، لكنني أفكر في بعض الأحيان في أنني كان يجب أن أستمع إليها.

- ربما لم يُفْت الأوان بعد.

- لقد فات الأوان بالنسبة إليها؛ إنها متزوجة.

- يبدو أنها كانت عازمة على إصلاحك لو عشتما حياتكما معًا. (ثم مدت يدها، ولمسته بخفة عبر الطاولة، ونظرت إليه في عينيه) لكنني لا أريدك أن تلوم نفسك كثيرًا، فلم تُكن مناسبة لك.

- حقًا؟

- لا، يا أرون فولك، لأنك لست من نوع الرجال، الذي تمتلك رفيقته رف مجلات!

- لنُكن منصفين، فقد تركت الرف وراءها.

ابتسمت كارمن:

- ولم يُكن هناك حبيبة أخرى من بعدها؟

لم يُرد فولك مباشرة. منذ ستة أشهر، كانت هناك فتاة في قريته القديمة، وقد صارت هذه الفتاة امرأة الآن.

- لقد حصلت على فرصة قريبة في الآونة الأخيرة.

- ولم تسر كما يجب؟

- كان اسمها (تردد فولك) جريتشن.

ما الذي يمكن أن أقوله حيالها؟ عن عينيها الزرقاوين، أم عن شعرها الأشقر، أم عن أسرارها؟ لقد كان الأمر معقدًا! كان عقله غارقًا في الماضي لدرجة أنه نسي نغمة هاتفه. عندما رنَّ هاتفه كانت استجابته بطيئة، فوصل إلى هاتفه ببطء، وفي الوقت الذي حمل فيه الهاتف كان قد توقف عن الدق. وعلى الفور، عندما انتهى جرس الهاتف عند فولك بدأ يدق عند كارمن، فأخرجته كارمن من حقيبتها بشكل عاجل، فيما راح فولك يستطلع اسم المتصل الذي لم يرد على مكالمته. والتقت أعينهما عندما ألقيا نظرة على شاشة هاتف كلٍّ منهما. قال:

- الرقيب كينج؟

أومأت، وهي تضغط على الزر، وتسلم الهاتف لأذنها. صممت نغمة الهاتف، لكنها كانت لا تزال ترنُّ في أذن فولك، وكما لو أنها جرس إنذار بعيد، لكنه مُلح. استمعت كارمن، فيما كانت عيناها تلتقيان بعينه. قالت بصمت:

- لقد وجدوا الكوخ.

سرت دفقة من الأدرينالين في أوصال فولك:

- وماذا عن أليس؟

استمعت فيما راحت بإيماءة حادة من رأسها تقول:

- لا.

اليوم الثالث: ليلة يوم السبت

عندما هطل المطر، انهمر بغزارة، حاجبًا للنجوم، ومقلصًا لشعلة النار التي صارت مجرد ألهبة دخان. عُذِنَ إلى الكوخ لبحثن عن حقائقهن ومتعلقتهن، وقد شغلت كلُّ منهن منطقة صغيرة خاصة بها. الطرُق على سطح الكوخ جعل المساحة أكثر ضيقًا، وبدا لجيل أن أيَّ صداقة حميمية قد تكوّنت تبخرت مع دخان النار. ارتجفت، فلم تكُن تدري أيهما أسوأ؛ الظلام أم البرد. ضرب شيء ما بصوت عالٍ في الخارج، فارتعدت، فقررت على الفور أن الظلام هو الأسوأ. ومن الواضح أن هذه الأفكار لم تراودها وحدها؛ إذ كان هناك شخص يتحرك ثم أضاء المصباح. قالت أليس:

- علينا أن نحافظ على البطاريات.

لم يتحرك أحد، إلا أن صوت من يشعر بخيبة الأمل صدر عن أليس، فتقدمت للأمام.

- علينا أن نحافظ على البطاريات.

نقرة ثم عمّ الظلام. قالت جيل:

- هل هناك جديد بشأن الهاتف؟

صدر صوت شخص يفتش عن شيء ما، فحبست جيل أنفاسها.

- لا.

- وما حالة البطارية؟

- 50%.

- أطفئيه.

اختفى الضوء.

- ربما يجدُّ جديد عندما يتوقف المطر.

لم يكُن لجيل أيُّ فكرة عن تأثير توقف المطر في التقاط الإشارة، لكنها تشبّثت بالفكرة. «ربما يجدُّ جديد عندما يتوقف المطر». نعم، لقد اختارت أن

تصدق هذا. وعلى الناحية الأخرى من الكوخ، ومض ضوء مرة أخرى. كان أكثر قوة هذه المرة، وعرفت جيل أن الضوء صادر عن كشاف بيت. قالت أليس:

- هل أنتِ صمّاء؟! علينا أن نحافظ على البطاريات!

طففا صوت بيت من الزاوية:

- لماذا، سيبحثون عنا غدًا. إنها آخر ليلة لنا هنا.

ضحكت أليس:

- تخادعين نفسك إن ظننتِ أن هناك أيّ فرصة لأن نجدونا غدًا. نحن

بعيدات للغاية عن الطريق الرئيسية، ولن يبدؤوا البحث من هنا. الأمل

الوحيد لأن نجدونا غدًا هو أن نذهب لهم لنقدم لهم أنفسنا.

وبعد لحظة انطفأ الكشاف، فعمّ الظلام مرة أخرى، وهمست بيت بشيء

غير مفهوم. قالت أليس:

- بماذا تخطر فين؟!!

لم تجدِ إجابة! شعرت جيل ببداية الصداع، وهو يدق رأسها، وهي تحاول

التفكير في خياراتهن. لم تحب الكوخ على الإطلاق، لكن على الأقل كُنْ في

مكان يحتمين به، ولم تُرد أن تعود مرة أخرى إلى العراء، حيث كانت الأشجار

تزاحمها، وتخدش جسدها بأغصانها الحادة، وعندما كانت مضطرة إلى أن

تجهد عينيها في محاولةٍ منها لإيجاد موطنٍ قدم لها على الطريق التي تختفي

أسفل قدمها، لكن بطرف عيناها كان بإمكانها أن ترى أيضًا المرتبة المملخة

بالسواد، فشعرت بالإعياء من مجرد فكرة المغادرة، وهي خائفة من خاطر

البقاء في الكوخ. وأدركت أنها ترتعش من أثر الجوع أو البرد، لم تكن متأكدة،

فحاولت أن تلتقط أنفاسًا عميقة. بدا صوتها مختلفًا على أذنها:

- لنتفقد حقائبنا مرة أخرى.

- لماذا؟

لم تكن متأكدة ممن يتحدث.

- لنبحث عن الطعام. جميعنا جائعات، ويجب أن نفعل شيئًا. عليكن

جميعًا أن تتفقنّ حقائبكن، وجيوبكن، أيًا يكن، وبحذر حقيقي. يمكن

أن يكون معنا ألواح طاقة، أو زبدة فول سوداني، أو أي شيء بين
حقائبنا.

- لقد فعلنا ذلك بالفعل.

- افعلنه مجددًا!

أدركت جيل أنها كانت تحبس أنفاسها، وسمعت أصوات السحابات
والأقمشة، وهي تنفتح.

- هل يمكننا استخدام الكشافات من أجل هذا على الأقل يا أليس؟

ودون أن تنتظر ردًا أضاءت بيث كشافها. ولأول مرة لم تجادل أليس،
وشكرت جيل ربه، ودعته: «أرجوك أن تدعهن يجدن شيئًا ما، مجرد انتصار
واحد حتى الصباح حتى يُبقي الآمال عالية». ثم شعرت بإحداهن تقترب منها.
كان صوت أليس في أذنها:

- علينا أن نبحث في حقيبة بيث.

- أنتِ. (توجه شعاع الكشاف تجاه أليس) يمكنني سماعك يا أليس،
وليس معي أي شيء في حقيبتي.

- هذا ما قلته أمس!

وجهت بيث شعاع الكشاف على وجه أليس.

- ما مشكلتك؟ (ارتجفت أليس، لكنها لم تتراجع) أليس هذا ما حدث
أمس، أليس كذلك؟ لقد كذبتِ وقلتِ إنكِ لا تحتفظين بأي طعام في
الليلة السابقة، لكنك في الحقيقة كنت تحتفظين بالقليل لنفسك!

- حسنًا، لكنني ليس معي الليلة!

- إذن، فإنكِ لن تمانعي إن تفقدتِ حقيبتكِ.

تقدمت أليس، وانتزعت منها حقيبتها.

- أنتِ.

تدخلت بري:

- أليس، دعيها وشأنها، ليس معها أي شيء.

تجاهلتهما أليس، وفتحت الحقيبة، ودست يدها بداخلها. انتزعت بيث
الحقيبة من أليس، وسحبت ذراع أليس بعنف مما جعلها تتراجع.

- يا إلهي! انتبهي.

فركت أليس كتفها. كانت عينا بيث متسعيتين، وداكنتين في الظلام:

- أنتِ من عليك أن تنتبهي! لقد كنت مضطرة إلى أن آتي إلى هنا مع كل ما تفعلينه!

- أنتِ محظوظة إذن، لأنني سئمت من كل ذلك. سأغادر غدًا مع أول ضوء للشمس، ومن يريد أن يأتي فليأت. أما البقية، فيمكنها أن تمكث هنا، وتبحث عن فرصها في النجاة!

كان رأس جيل يدور الآن، فتنحنحت، وبدا صوتها غير طبيعيٍّ وغريبًا.

- لقد قلت ذلك سابقًا. لن نتفرق.

قالت أليس، وهي تلتفت إليها:

- ولقد قلت ذلك سابقًا أيضًا يا جيل، عند هذه النقطة التي وصلنا لها، لا أهتم بما تفكرين فيه، سأغادر.

حاولت جيل أن تلتقط نفسًا عميقًا، إلا أن صدرها كان ضيقًا، وشعرت وكأن لا هواء داخل رئتيها، فهزت رأسها، وتمنّت من كل قلبها ألا تصل الأمور إلى هذا الحد.

- لن تغادري بهاتفك، لن تفعلني ذلك!

الفصل التاسع عشر

عاد فولك مرة أخرى ليجلس خلف مقود السيارة، مع انبثاق أول ضوء من الشمس. توقف بالسيارة خارج مجمع المساكن، الذي به شقة كارمن. لقد كان الظلام يُعمُّ عندما غادرت شقته قبل سبع ساعات، ولا يزال الظلام يُعمُّ إلى الآن. كانت تنتظر على الرصيف، ومستعدة للذهاب، ولم تُقل الكثير عندما صعدت إلى السيارة. لقد قالا كل ما يمكن أن يقال في الليلة السابقة بعد مكالمة الرقيب كينج. سأل فولك عندما صعدت كارمن إلى السيارة:

- كيف وجدوا الكوخ؟

- من الواضح أن شخصاً ما أبلغ عنه. لم يذكر أيّ تفاصيل، وقال إنه سيطلع على الكثير منها بمجرد وصولنا.

عندما اتصل فولك بديوان الإدارة، كان الصمت التام على الطرف الآخر من الخط. وهل لا يزالون يعتقدون أنهم سيجدونها حية؟ لم يعرف فولك ذلك. وإذا وجدوها حية، هل يمكن لها أن تتحدث عن كل تلك المخالفات؟ نعم، يمكن لها أن تتكلم. من الأفضل أن تذهب إلى هناك، ولا تنسَ أننا لا نزال في حاجة إلى العقود. لا، لم يكن فولك لينسى على الأرجح.

تناوب هو وكارمن على القيادة كالسابق، إلا أن الطرق كانت مهجورة بكثافة في أثناء مرورهما على المراعي التي بدت الآن مألوفة، لكن فولك ظن أن الرحلة هذه المرة ستستغرق وقتاً أطول. عندما اقتربا من مدخل المجمع، رأى فولك الإشارة الخضراء التي تميز محطة البنزين، فتوقف هناك، وفكر في الكلمة التي قالها الرجل الذي يقف على الشباك في المرة السابقة: «بمجرد أن يجدوا المتعلقات والملجأ، ستكون الجثة هي التالية». رمش بعينه، وهو يذهب إلى أبواب محطة البنزين، وكانت هناك سيدة تقف على الشباك. قال فولك، وهو يسلمها بطاقته التعريفية:

- أين الشاب الآخر؟

- ستيف؟ اتصل وقال إنه لا يستطيع المواصلة.

- متى؟

- هذا الصباح.

- ما الذي أصابه؟

نظرت المرأة إليه بغرابة، وقالت:

- وما أدراني؟!

ثم أعادت له بطاقته مرة أخرى، وانصرفت من أمامه. مجرد أحرق آخر من سكان المدينة! أخذ فولك بطاقته، وكان بوسعه أن يشعر أنها تنظر إليه على طول طريق الرجوع إلى السيارة. وفوق الباحة الأمامية كانت العين الكبيرة للكاميرا تحدق إلى الأسفل في نظرة متبلدة. إذا كان النزل مشغولاً في السابق، فهو الآن في حالة نشاط شديد، إذ انتشرت السترات الواقية، وعربات الإعلام في كل مكان هنا.

أنزل فولك كارمن عند مدخل النزل، فركضت إلى الداخل، فيما راح هو يبحث عن مكان لإيقاف السيارة. وكان الرقيب كينج قد قال إنه سيترك تعليمات عند مكتب الاستقبال. تسلل فولك بسرعة بطيئة حتى نهاية الصف، ثم أُجبر على أن يوقف سيارته في صف ثانٍ خلف سيارة فان. خرج من السيارة، فشعر أن الجو أكثر برودة مما كان يتذكر، فأغلق سحابة سترته، وعبر موقف السيارات، وعلى مسافة بعيدة عنه كان هناك نشاط شديد، إن لا تزال بداية طريق شلالات ميرور على حالها، وفارغة.

- أهلاً.

سمع فولك صوتاً، فالتفت، لثانية لم يميز السيدة التي نادته، فقد بدت مختلفة كثيراً عما رآها في المرة السابقة.

- بري، لقد خرجت من المستشفى!

- نعم، ليلة أمس. كنت في حاجة لاستنشاق بعض الهواء النقي.

وكان شعرها الداكن ملفوفاً أسفل قبعة، وقد لسع البرد وجنتيها، فاحمرت قليلاً. واعتقد فولك أنها بدت أكثر جمالاً من قبل.

- كيف حال ذراعك؟

- على خير ما يرام، شكرًا لك، لكن لا يزال هناك بعض الألم. (ونظرت إلى الضمادة أسفل كُم سترتها) لكنني أكثر قلقًا حيال كل ما يحدث، إذ من المفترض أن أغادر أنا وبيت في وقت لاحق من اليوم. ولديّ موعد مع إخصائي في ملبورن صباح الغد، لكن..

نظرت بري إلى مجموعة من المفتشين، وهم يركبون الحافلة. ولملمت شعرها الذي تطاير على وجهها، وقد لاحظ فولك أن أظفارها قد اعتنتي بها بدقة. قالت، ولم تكلف نفسها بإخفاء نبرة الخوف في صوتها:

- لم يستخدم مارتن كوفاك الكوخ، أليس كذلك؟

قال فولك بصدق:

- لا أعرف، أفترض أنهم سيحاولون تحديد ذلك.

بدأت بري بقضم أحد أظفارها:

- وماذا سيحدث الآن بعدما وجدوا الكوخ؟

- أعتقد أنهم سيركزون بحثهم على المنطقة المحيطة للعثور على أيّ إشارة لوجود أليس.

لم تقل بري أيّ شيء لدقيقة:

- أعرف أن الأحداث التي تسبب بها مارتن كوفاك كانت منذ زمن طويل، لكن هناك من يعرف بشأن الكوخ حتى يبلغ الشرطة بشأنه، أليس كذلك؟ لقد أخبرني أحد المفتشين كيف عثروا عليه.

- أفترض ذلك، لكنني لا أعرف أكثر منك الآن.

- لكن إذا عرف شخص ما ذلك، إذن هناك من يعرف أننا كنا هناك؟

- لست واثقًا أن هذا ما حدث بالفعل!

- لكنك لم تكُن هناك. في بعض الأحيان تكون الأشجار كثيفة للغاية، بحيث لا يكون بمقدورك أن ترى شيئًا. أنت لا تعرف ما يبدو عليه الأمر! اعترف:

- نعم، هذا حقيقي.

وراقبوا حافلة المفتشين، وهي تغادر. قالت بري بعد دقيقة:

- على أيّ حال، لقد أردت أن أحدثك لأشكر.

- علام؟

- على أنك كنت منصفًا مع بيت. لقد قالت لي إنها أخبرتك عن الإجهاض التي مرت به. بعض الناس ما إن يعرفوا ذلك حتى يبدؤوا بإطلاق الأحكام. وغالبًا ما يظن الناس السوء عنها.

- لا بأس، هل هي بخير؟ لقد بدت واهنة عندما تحدثت إليها! نظرت بري إليه:

- ومتى كان ذلك؟

- منذ ليلتين، لقد رأيتها خارج النزل، وهي تشاهد تساقط المطر. عبست بري:

- أوه! لم تذكر ذلك، هل كانت تشرب النبيذ؟

تردد فولك لحظة، مما جعل بري تعبس بشكل أعمق.

- لا عليك، كنت أعتقد أنها ستفعل ذلك، فهي واقعة تحت ضغط كبير. لقد توقعت ذلك.

- أعتقد أنها شربت لمرة واحدة فقط. هزت بري رأسها:

- لمرة واحدة أم لعشر مرات؟ لم يكن من المفترض أن تشربه نهائيًا. هذا موضوع لا نقاش فيه، لكن هذه هي بيت لعلمك؛ دائمًا ما تريد أن تكون صالحة، لكن بطريقة ما لا تتمكن من فعل ذلك...!

ثم قطعت بري كلامها، ونظرت من خلفه إلى النزل. التفت فولك، على سلام النزل، وعلى مسافة لم يكن في وسعها أن تسمعهما، كان هناك شخص يقف ويراقبهما، ذو سُترة ضيقة للغاية، وشعر أسود داكن قصير. «بيت؟»، تساءل فولك منذ متى، وهي تقف هناك. رفع فولك يده ليحييها، فردت بيت التحية إليه. حتى من مسافة كبيرة، كان بوسعه أن يرى أنها لا تبتمس. قالت بري:

- من الأفضل أن أعود، شكرًا لك.

أسند فولك جسده إلى السيارة، وراقب بري، وهي تعبر موقف السيارات. وعلى سلام النزل، كانت بيت لا تزال واقفة، لم تحرك ساكنًا.. لم تتحرك حتى جاءت أختها، ووقفت إلى جانبها.

اليوم الثالث: ليلة يوم السبت

كان بوسع بري أن تسمع صوت أنفاسها عاليًا، وكان ظهر أليس لصق الحائط. كانت جيل تمسك يد أليس:

- أعطيني الهاتف.

- لا.

- أين هو؟ في حقيبتك؟ دعيني أرى.

- لا.

أمالت جيل جسدها، ومسكت الحقيبة:

- أنا لا أطلب منك!

- أنت!

حاولت أليس أن تستعيد حقيبتها، لكن الحقيبة كانت قد انتزعت منها.

- إذا كنتِ تتوقين للمغادرة يا أليس، فانهبي. (دست جيل ذراعها

في الحقيبة، ثم أخرجته مرة أخرى والإحباط على وجهها، وفضت

محتويات الحقيبة على الأرض) تفكرين في نفسك فحسب، ولسوف

تدفعين ثمن ذلك عندما نجدك ميتة في حفرة ما على الطريق، لكنك لن

تأخذي الهاتف!

- يا إلهي!

جثمت أليس على ركبتيها، وراحت تلملم متعلقاتها التي بعثرتها جيل على

الأرض؛ صوفًا رطبًا، وبوصلة، وزجاجة مياه، لكن لا يوجد هاتف.

- ليس هنا!

صاح صوت بيث من مكان مجهول، مما جعل بري تقفز:

- سيكون الهاتف في سترتها.

بدأت أليس مكومة في ركن، وهي تحمي متعلقاتها في صدرها. ثم وجهت

جيل المصباح إلى عينيها:

- هل الهاتف في سُرتك؟ لتسهلي الأمور علينا.

جفلت أليس، واستدارت بعيدًا:

- لا تلمسيني.

- إنها فرصتك الأخيرة!

لم تقل أليس شيئًا، لكن بيث هجمت عليها، وانتزعت منها سُرتها بيديها الاثنتين.

- هذا هراء يا أليس! لقد كنتِ سعيدة، وأنتِ تفتشين في متعلقاتي، عندما ظننتِ أنني أخفي شيئًا...!

حاولت بري أن تدفع أختها بعيدًا، فيما كانت أليس تتلوى وتصرخ:

- ابتعدي عني.

فتشت بيث عن الهاتف في جيوب سُترة أليس، ثم أخرجت يدها بصوت

راضٍ، وحملت الجائزة عاليًا:

- الهاتف معي.

وبيدها الأخرى، دفعت أليس بعيدًا. تقهقرت أليس خطوتين ثم انقضت

مرة أخرى محاولةً أن تمسك بالهاتف، فتصارعت الاثنتان، واشتبكتا معًا، ثم صدر صوت دفعة ثم ضربة، ثم جلبة، عندما سقط المصباح على الأرض، فعمَّ

الغرفة الظلام. وكان بوسع بري أن تسمع أصوات همهمات الشجار.

- إنه هاتفي!

- اتركه..

وسمعت بري نفسها، وهي تصدح وتقول:

- توقفن عن ذلك!

لكنها لم تكن متأكدة إلى أيهن كانت تتحدث. تعثرت قدمها بشيء ثقيل،

فحملته بيدها، وهزته، فإذا بالمصباح يضيء الغرفة مرة أخرى، ويحجب عنها الرؤية، فتعثرت، وهي تلتفت نحو صوت الضجيج. كانت أليس وبيث

تشتبكان معًا على الأرض، ولم تستطع بري أن تفصل بينهما، لأن أطرافهما تتشابك معًا، ثم تركت إحدهما ذراع الأخرى. بدأت بري بالبكاء، لكن كان

الأوان قد فات. وقد التقط شعاع الضوء ظلال مظلمة لبيث، وهي تنقض على أليس بيدها بطريقة سريعة وقاسية. وقد بدت الضربة التي سقطت على رأس

أليس، وكأنها تهز الجدران!

الفصل العشرون

خرجت كارمن من النزل، وهي تحمل في يدها خريطة عليها علامة كبيرة بحرف «س».

- سنذهب إلى هذا المكان. (قالت ذلك، وهما يعودان إلى السيارة مرة أخرى) إنها طريق مستقيمة، تستغرق أربعين دقيقة تقريبًا. وطريق الشمال هي أقرب الطرق إليها.

نظر فولك إلى الخريطة، فوجد العلامة في أعماق الأماكن في الغابة. عدة كيلومترات إلى الشمال، بحيث يمكن لسيارة صغيرة أن تقطع الطريق، وتدخل إلى الغابة. وضعت كارمن حزام الأمان.

- الرقيب كينج في الموقع. وعلى ما يبدو أن مارجوت راسل هنا أيضًا.
- بشحمها ولحمها؟

- نعم، لقد رأيت لورين في مكتب استقبال النزل؛ إذ أحضرهم إلى هنا ضابط الاتصال صباحًا. ومارجوت لا تزال ترفض رؤية أبيها، حيث جاء كلُّ منهما إلى هنا وحده.

وبينما يتحرك فولك بالسيارة، لمح شخصًا ما يراقبهما من وراء زجاج الباب الأمامي للنزل. ظن فولك أنها واحدة من التوأمين، لكنه لم يعرف أيهما. هبت الرياح مرة أخرى على قمم الأشجار في طريقيهما عبر الطرق الريفية، ولم تُكُنْ كارمن تتحدث إلا لتعطي التعليمات الخاصة بالطريق. ومع الوقت صارت الطرق أكثر ضيقًا وإحكامًا، حتى وجدا أنفسهما أخيرًا على طريق ممهدة تُفضي إلى مجموعة من الضباط والمفتشين.

كان الموقع يعجُّ بمزيج غريب من الاهتمام والارتياح أخيرًا. انفراجة من نوع ما، حتى لو لم يُكُنْ ما يأمل فيه الجميع. وهو يخرج من السيارة، رأى

فولك السُترة الحمراء المميزة للشركة التي نظمت الرحلة. كان إيان تشيس يقف حول مجموعة من المفتشين. كان يدور حولهم، ولا يقف تمامًا مع أي مجموعة، وعندما رأى فولك وكارمن، أوماً لهما، واتجه نحوهما:

- أهلاً، هل هناك أي جديد؟ هل وجدوها؟ ألهذا حضرتما إلى هنا؟

صارت عيناه تتقلب بين الغابة، وبين فولك وكارمن بشكل متكرر. نظر فولك إلى كارمن:

- لم نعلم هذا بعد.

كانت عينا تشيس لا تزال تتقلبان جيئةً وذهاباً:

- لقد وجدوا الكوخ، ويمكن أن تكون جثتها بالقرب منه.

- إلا إذا كانت لا تزال حية.

توقف تشيس، وتطلّع إليه، غير قادر على محو التعبير الذي ارتسم على وجهه:
- نعم، بالتأكيد، أمل أن يكون الأمر كذلك.

لم يكن بوسع فولك أن يلومه، إذ كانت احتمالات ذلك منخفضة. كان ضابط في مكتب الاستقبال في النزل قد أخبره بذلك، ما جعل الرقيب كينج ينتظرهما على حافة الغابة. كان وجهه شاحباً، لكن عندما تحرك أعطاه ذلك دفقة غريبة من الأدرينالين. حيّاهما، وهو يتقدم نحوهما، وألقى نظرة على قدميهما، فظهر على وجهه رضاه على الأحذية التي كانا ينتعلانها:

- جيد، ستحتاجانها.. تعالياً.

تقدم الطريق، وتعمق في الغابة من الداخل، فيما كان فولك وكارمن في أعقابهم. وفي غضون دقيقة، اختفت الهمهمات، ولفهم صمت كثيف. لاحظ فولك علامات من الشرطة ملصقة على الأشجار لتقودهم خلال الطريق. وأسفل قدمه، كانت الطريق باهتة، وقد تحددت ملامحه عن طريق آثار الأقدام التي وطأته للتو. قال فولك:

- كيف وجدتم هذا المكان أخيراً؟

كانوا وحدهم، لكن كينج كان صوته لا يزال خفيضاً.

- سجين خرج من السجن، وأبلغ عن الأمر. على ما يبدو كان مجرمًا سابقًا في عصابة دراجات، يواجه عقوبة طويلة نظير ارتكابه عقوبة اعتداء، لكن من الواضح أنه قضى منها ما يكفي. عندما عرف أننا كنا

نبحث عن الكوخ، عرف مصلحته، وقال إنه كان على علاقة ببعض الرفاق الذين اعتادوا أن يتاجروا في المخدرات مع سام كوفاك.

- حَقًّا؟

- لقد قال إن سام أحب أن يتفاخر بأبيه، ويتبجح بأنه يعرف أصنافاً لا تعرفها الشرطة، وأشياء من هذا القبيل. ولقد أحضره سام إلى هنا مرتين. (أوماً كينج إلى الطريق النحيلة أسفل قدمهم) لم يَكُن الرجل على يقين أين يقع هذا المكان، لكنه كان يعرف أنه يمكن الوصول إليه من الطريق الشمالية، وعرف بعض المعالم الأخرى في الطريق إلى هنا. كانت هناك طريق ضيقة في الأعلى، وهي ما جعلتنا نضيِّق نطاق البحث. وقد قدَّر الرجل أن لديه المزيد ليضيفه، لكنه يحاول التوصل إلى اتفاق مع محاميه، بينما نتحدث الآن.

كارمن:

- وهل تصدقه بشأن ما قاله عن كوفاك؟ إنه لم يذهب إلى بيته وحده، ويحاول تجميل الأمر لمصلحته.

زفر كينج:

- نعم، نصدقه. (ثم زفر)

- لقد اكتشفنا بقايا بشرية هنا.

بعد لحظة صمت، نظر فولك إلى البقايا، وقال:

- إلى من تعود تلك البقايا؟

- سؤال جيد.

- ليست أليس؟

هز كينج رأسه:

- لا، بالتأكيد لا، إنها تعود لأشخاص آخرين. هناك العديد من الأشياء التي تثير الاهتمام هنا أيضاً، والتي ستريانها بأنفسكما، لكن لا دليل على وجود أليس بعد.

كارمن:

- يا إلهي! ما الذي كان يحدث في هذا المكان؟

وفي مكان ما في عمق الغابة، كانت طيور الكوكابورا المخفية تضحك وتصرخ.

- سؤال آخر جيد!

اليوم الثالث: ليلة يوم السبت

سمعت بيث صوت قرقعة في وجنة أليس قبل أن تؤلمها راحة يدها بقليل. وقد بدا أن الصوت تردد صداه حول الكوخ، وهي تشعر بألم نابض، ساخن ولاذع. للحظة، بدا لبيث أنهما كانا يتحركان على حد السكين، بين جانب يمكنهما فيه أن يتراجعا، ويعتذرا ويتصافحا. وفي الجانب الآخر، حيث انفجرت العاصفة، وصدحت أليس بصوتها الغاضب من أعماق حنجرتها، وبدا الجميع يتمايل، ويسقط في وقت واحد. وعندما بدأ الصباح، انطلق من كل مكان في الغرفة.

شعرت بيث أن أليس تمسك شعرها، وتسحب رأسها للأسفل، ففقدت توازنها، واصطدم كتفها بالأرض. رثاها فارغتان من الهواء، فلهثت في محاولة لالتقاط أنفاسها. ثم دفعتها بكفيها على الأرض، وشعرت بيث بأظفار تحربش وجنتيها، فتذوقت البلل النتن. كان هناك شخص ما يضغط على صدرها، من المؤكد أنها أليس. كانت بيث تشم الرائحة الكريهة الصادرة عن جسد ما، وقد وجدت في جانب من عقلها المساحة الكافية لتتفاجأ، إذ لم يبدو أن جسد أليس من نوع الأجساد التي تعرق. حاولت بيث أن تستعيد نفسها، لكن ذراعيها كانتا متشابكتين بطريقة غريبة، وهي تتصارع، فتمسكت بملابس أليس، وأظفارها تفسد القماش الباهظ الثمن المقاوم للماء.

شعرت بمن يهزها، وبزوج من الأيدي يسحبها ليفصلها عن أليس؛ كانت بري. كانت تصرخ: «ابتعدي عنها!». لم تكن بيث متأكدة مع من كانت تتحدث، فحاولت تخليص نفسها، ثم شعرت بالجلبة والارتطام عندما فقدت بري توازنها، وسقطت عليهما. انقلب ثلاثتهن على جانب، وقد هشمن قدم طاولة، مما جعلها تسقط هي الأخرى على الأرض. وبعد خبطة حادة صدحت واحدة منهن في الغرفة بصرخة ألم. حاولت بيث أن تجلس إلا أنها انسحبت للخلف بيد سحبتها من شعرها، وضربت جمجمتها على الأرض بقسوة كافية، جعلت عصارة معدتها ترتجع إلى حلقها، فرأت بقعا بيضاء ترقص في الظلام، وتحت وطأة الترنح، وخدش الأيدي التي طالت وجهها، شعرت أنها تذهب إلى عالم آخر.

الفصل الحادي والعشرون

صارت الطريق صعبة، كلما تقدموا للأمام. وبعد ساعة اختفت الطريق تماماً عندما عبروا الجدول، ثم عادت للظهور مرة أخرى لتتحرف بطريقة منقطعة نحو منحدر شديد الانحدار، بجانب الوادي الضيق الذي ذكره الرقيب كينج. عندما بدؤوا هذه الطريق، راح صف الأشجار الحارسة على الجانبين يتلاعب بعقل فولك، فشعر بعميق الامتنان للعلامات التي وضعتها الشرطة في أماكن متفرقة من الغابة. ولم تعجبه فكرة سير كل هذه الطريق وحده، إذ كان الضلال المخادع للتجوال وحيذاً ماثلاً على الدوام.

ولقد شعر بالراحة عندما بدأ يلاحظ البقع البرتقالية التي تحيط بالغابة، إذ كانت علامة على وجود المفتشين. ومن المؤكد أنهم قريبون من هنا. وكما لو كانت الأشجار ترد عليه، فتحت لهم الطريق، وبعد عدة خطوات لاحقة، وجد نفسه يدخل منطقة خلاء صغيرة. في المنتصف، يجلس المفتشون القرفصاء عابسين، خلف الشريط الذي صنعه الشرطة. أما عصي الضباط وسُتراتهم الواقية، فكانت داخل الكوخ.

لقد موه الكوخ بشكل جيد إزاء درجات الألوان الصمء التي تملأ الغابة، وقد بدا أن الكوخ قد وُضع وحده عن عمد. ليس هذا فقط، بل إن الكوخ تنبعث منه رائحة كريهة من فجوات النوافذ الشاغرة وحتى الباب المتدلي. كان بوسع فولك أن يسمع صوت تنفس كارمن بجانبه، ومن حوله كان باستطاعته سماع الأشجار تهمس وترتعد. وفجأة، هبت عاصفة على المكان، فصدر عن الكوخ صرير مزعج.

دار فولك بخطوات بطيئة حول الكوخ على شكل دائرة، فوجد الأشجار تحيطه من كل جانب، وكانت معلّقة عليها العلامات البرتقالية المميزة للشرطة. وتخيل أنه سيكون من المستحيل رؤية الكوخ لو أن شخصاً نظر

إليه من زاوية خاطئة. ولهذا، فإن النسوة الخمس محظوظات، لأنهن تعثرن به، وظن فولك أنهن قد يَكُنَّ غير محظوظات لذلك.

في جانب من الكوخ يقف ضابط شرطة للحراسة، فيما يقف آخر على الجانب المقابل. وقد كان أمام كل منهما شراشف بلاستيكية تخفي شيئاً أسفلها. كلٌّ من الشرشفين يهبطان قليلاً عند المنتصف، لكن رغم ذلك لم يكونا يشفَّان عما تحتهما. نظر فولك إلى كينج:

- لقد أخبرتنا لورين أنهم من وجدنا بقايا عظام كلب.

- نعم، إنها هنا. (وأشار كينج إلى الشرشف البلاستيكيِّ الأقرب، الأصغر منهما. وزفر) لكن الكتلة الأخرى ليست لبقايا عظام كلب. المتخصصون في طريقهم ليعرفوا ذلك.

في أثناء استطلاعهم الأمر، كشفت الرياح زاوية من الشرشف الأقرب لهم، ثم انخفضت ثانية. فمال ضابط الحراسة لضبطها، وقد استطاع فولك أن يلمح حفرة ضحلة مكشوفة. حاول أن يتخيل ما الذي يمكن أن يحدث لامرأة وحيدة وخائفة هنا في العراء. وتوقع أنه مهما يَكُن ما يتخيله لن يقترب من الواقع. وقد أدرك بينما يقف أمام الكوخ أنه دائماً ما يساوره خاطر مزعج بشعور مُلِح أن النسوة الأربع قد تخلَّين عن أليس سريعاً بمجرد أن اكتشفن أنها مفقودة، لكن الآن، كان بوسعها أن يسمع الهاجس المُلِح في عقله تقريباً: «اهربي، اركضي!»، فهز رأسه. كانت كارمن تنظر إلى الكتلة الأكبر على الأرض. قالت:

- أعتقد أنهم لم يجدوا أيَّ أثر للضحية الرابعة منذ ذلك الحين؛ سارة سوندنبيرج.

هز كينج رأسه:

- لا، لم يجدوها قط.

أشارت إلى الشرشف الكبير:

- وهل تشتبه في هذا؟ عليك أن تفكر بهذا.

بدا كينج، وكأنه يريد أن يقول شيئاً، لكنه لم يفعل.

- على المتخصصين أن يلقوا نظرة أولاً. وسنعرف المزيد بعد ذلك.
(رفع كينج الشريط الذي يفضي إلى مدخل الكوخ) تعاليا، سأريكما
ما بالداخل.

عبروا من أسفل الشريط، وقد بدا الفراغ الذي يشغله باب الكوخ كالجرح
عندما دخلوا. هبت رائحة تعفن أبرزت الرائحة المنعشة لنبات الأوكالبتوس،
ولم يجدوا إلا الظلام في استقبالهم، إذ لم تسمح نوافذ الكوخ إلا بدخول قدر
قليل من ضوء الشمس. وبينما يقفون في منتصف الغرفة، استطاع فولك
أن يتصور أشكالاً، ثم بعد ذلك أبرزها بالتفاصيل. وقد كشف الغبار الذي
كان متراكماً تراكمًا ثقيلًا ذات يوم عن علامات من الاضطراب الذي حدث في
المكان. وقد دُفعت الطاولة بزاوية غريبة، وتناثرت أوراق الشجر والحطام من
حولها. وفي الغرفة الثانية، رأى مرتبة في وسطها لطخ كبير ومزعج باللون
الأسود. وبالقرب من قدم فولك الغارقة أسفل الزجاج المكسور، كان هناك
لطخات لما بدا أنه دم حديث.

اليوم الثالث: ليلة يوم السبت

لم تستطع لورين أن تجد الكشاف. كانت أظفارها تخدش في الأرضية عندما سمعت صوت ارتطام، ثم صوت الطاولة، وهي تُجَرُّ عبر الغرفة. ولمحتها خلال جزء من الثانية، وهي تندفع نحوها قبل أن ترتطم الطاولة في وجهها. صعقتها الصدمة، ومنعتها من التنفس، وهي تحاول الحفاظ على توازنها، فسقطت بصعوبة على عظمة عجزها، فشقت وجلست في نفس مكانها، مشوشة، وأسفلها الزجاج المكسور. انفتح الجرح في جبهتها مرة أخرى من الضربة. عندما مرّت يدها على الجرح ابتلّت يداها، فاعتقدت أنها تبكي، لكن السائل حول عينيها كان ثقيلًا، فكانت على وشك أن تتقيأ عندما أدركت ذلك.

مرّت لورين يدها على عينيها ومسحتها. وعندما استطاعت أن ترى مرة أخرى، نفضت يديها، فسقط الدم من يدها على الأرضية. ومن خلال النافذة، لم تكن بوسعها أن ترى سوى السحب، وكأن النجوم لم توجد في السماء قط.

- ساعدنني!

كان هناك شخص يصرخ، لكنها لم تعرف صوته، ولم تكن تهتم تقريبًا. وقد سمعت صوت ارتطام صاحب، وصراخًا عاليًا. وفجأة رأت الكشاف يتزلج على الأرض، وضوؤه ينعكس على الحائط على غير هدى، ثم اصطدم بالحائط وانطفأ. زحفت لورين، ووصلت إلى ثلاثتهن على الأرض، ودسّت يدها في التكتل الآثم. لم تكن لديها فكرة من كانت تمسك، وهي تحاول أن تفصلهن عن بعضهن بعضًا. وبجانبها، كانت إحداها تفعل المثل، فأدركت لورين أنها جيل. تحسست أظفار لورين لحم جسد، فدسّتها فيه، وحاولت أن تسحبها للخلف، غير عابئة بهويتها، وهي تحاول الفصل بينهما. تأرجحت ذراع إحداها، فتفادتها لورين لترتطم بفك جيل بقوة، لدرجة أن المرأة سمعت صوت انكسار أسنانها، فتراجعت جيل، ووضعت يدها على فمها.

فصلت الجلبة التي حدثت الأجسام عن بعضها بعضاً. وقد ساعدت السحبة الأخيرة للورين في ذلك. وقد عمّ في المكان صوت تنفسهن الخشن، وصوت كل واحدة فيهن غارفة في ركنها الخاص بها.

أسندت لورين رأسها إلى الحائط. كانت جبهتها توخزها، وقد شعرت الآن أن معصمها الأيمن يؤلمها عندما لم تثنه للخلف. تساءلت ما إذا كان قد تورم مرة أخرى، ومزّرت إصبعها على السوار الذي أعطته لها ريببكا. يبدو أن جبهتها بخير الآن، لكنها متورمة فقط. أما السوار، فقد كان مرتخياً قليلاً على أيّ حال، ولم تكُن على الأرجح في حاجة لخلعه.

كانت تجلس مستقيمة، فتعثرت قدمها في شيء ما، تلمست أصابعها الملمس البلاستيكي للكشاف، ووجدت زر التشغيل، فضغطت عليه، فلم يُضئ، هزته، فلم يُضئ؛ لقد كان مكسوراً. شعرت لورين بفقاعة القلق تنمو في صدرها، ولم تستطع أن تتحمل الظلام لدقيقة أخرى. زحفت على ركبتيها، وبحثت بطريقة عشوائية على الأرض حتى اقتربت يدها من عبوة معدنية، حملتها.. حملتها وهي تشعر بوزنها في يدها. كانت العبوة هي كشاف بيت، هزته، وضغطت على الزر، فشعرت براحة تغمر جسدها عندما اخترق الضوء غبار الهواء. نظرت إلى الأسفل، فرأت دمها على حذائها أحمر ومتجلطاً، وكتلة أخرى من الدم على الأرض قريبة من النافذة، فاستدارت مشمئزة مما رأتها، وحركت شعاع الضوء حول الغرفة.

- هل الجميع بخير؟

سقط الضوء على جيل، فوجدتها منهاره في الجزء البدائيّ الصنع من الكوخ. وشفّتاها متورمتان وملطختان بالدماء، وهي ممسكة بفكها. جفّلت عندما سلّط شعاع الضوء عليها، وعندما حوّلت لورين شعاع الضوء عنها سمعتها تبصق دماء فكها. كانت بيت مستلقية على الأرض مغشياً عليها، وهي تمسك مؤخرة رأسها، فيما كانت أختها تجلس في وضع عموديّ، تسند ظهرها إلى الحائط، وعيناها متسعتان.

وقد استغرق الأمر وقتاً من لورين حتى وجدت أليس في الظلام. كانت تجلس إلى جانب باب الكوخ عندما سقط عليها الشعاع الأصفر، شعّاء ومحمره الوجه. ولأول مرة فيما استطاعت لورين أن تتذكر منذ ثلاثين عاماً ترى أليس راسل، وهي تبكي.

الفصل الثاني والعشرون

نظر فولك إلى الكتلة الدموية المتجمعة على الأرض.

- هل يمكننا معرفة دم من هذا؟

هز كينج رأسه:

- سيتفقّدون هذا، لكنه حديث.

أشار فولك إلى المرتبة المسندة إلى الحائط:

- وما هذا؟

كانت المرتبة قد لُفّت بشرشف بلاستيكيّ شفاف، لكن اللطخ الأسود كان لا يزال ظاهرًا للعيان.

- لقد أخبروني أنه عفن في مراحلهِ الأخيرة، لذا لن تجد مكانًا أسوأ مما

يبدو عليه هذا المكان!

كارمن:

- يبدو أنه سيكون من السيئ للغاية إذا علقت في العراء!

زفر كينج:

- نعم، يمكنني تخيل أن ذلك أمر في غاية السوء بالفعل. وكما قلت، حتى

الآن لا يوجد أيُّ دلائل عما حدث لأليس. لقد قالت رفيقاتها إنها أخذت

حقيبتها معها، وحتى الآن من المؤكد أن لا أثر لحقيبتها أيضًا، لذا، نأمل

أن تكون حقيبتها معها، لكن لا يبدو أنها قد وجدت طريقها للعودة،

وحتى لو فعلت، فهي لم تحاول ترك أيِّ رسالة يمكننا أن نراها!

نظر فولك حوله، وتذكّر الرسالة التي تُركت على بريده الصوتي: «...

يؤذيها...». أخرج هاتفه من جيبه، فكانت الشاشة صماء.

- هل تمكن أيُّ أحد من التقاط إشارة هنا؟

هز فولك رأسه:

- لا.

خطا فولك خطوات قليلة حول الغرفة، وهو يستمع إلى طقطقات خشب الكوخ وأنينه. لقد كان مكانًا بغيضًا بلا جدال، لكن على الأقل كان به سقيفة وجدران. كانت الليالي قاسية للغاية خارج نوافذ النزل. ولم يُرد فولك أن يفكر فيما يمكن أن يكون قد حدث لأليس في الأحوال الجوية هذه الأيام. قال:

- إذن، ما الذي سيحدث الآن؟

- نحن نمسح الأماكن المحيطة، لكن هذه الأماكن من الشاق للغاية للبحث فيها عن أي شيء، أنت ترى قسوة السير في مثل هذه الأماكن، والغابات تحاوطك من كل اتجاه. قد يستغرق الأمر أيامًا لتمشيط المنطقة المحيطة، وقد يستغرق أطول من ذلك إذا ساء الطقس.

كارمن:

- ومن أي اتجاه ذهبت النساء؟ أهو نفس الاتجاه الذي أتينا منه؟

- لا، لقد أتينا من المسار الأكثر قربًا للطريق، لكن هذا ليس المسار الذي رجعت من خلاله. هناك طريق تتجه للشمال، تبدأ من وراء الكوخ، ولا بد أن تمر من خلال الأشجار لتجدها، لكن بمجرد أن تسلك هذه الطريق تصبح واضحة للعيان. لقد مررتن بهذه الطريق عندما عثرتن على هذا الكوخ. وإذا حاولت أليس أن تذهب منها، فإن التخمين الأفضل أنها ستجد هذه الطريق.

حاول فولك أن يركز على ما كان يقوله كينج، لكنه وهو يستمع إلى الشرح، كان يعرف أن جزءًا صغيرًا من كيانه يحدوه الأمل، متى ما اكتشف مكان الكوخ، سيكتشفون مكان أليس راسل أيضًا. وقد كان يأمل أن تجد طريقها للعودة مرة أخرى إلى الكوخ، خائفة وغاضبة، لكن حية. عندما صدر الصرير عن جدران الكوخ، ففكر فولك في الأشجار المتماسكة، وفي الأخطار الجسيمة في الخارج، وكتل الدم المتناثرة على الأرض، وقد شعر بأخر ذرة أمل بأن تأتي أليس راسل دامعة ومشتتة.

كان الكوخ فارغًا، ومهما يحدث لأليس راسل، فهي في العراء، وفي مكان ما، بين عواء الرياح، وأنين الأشجار. ظن فولك أن بوسعه أن يسمع أجراس ناقوس الموت.

اليوم الثالث: ليلة يوم السبت

كانت التدايعيات هادئة في معظمها، باستثناء بعض الحشرات في أثناء التنفس. كانت ذرات الغبار تتناثر في دوائر كسولة على وَقَع ضوء الكشاف، فيما كانت جيل تتلمس فيها بلسانها. كان لحم لسانها متورماً وناعماً، وواحدة من أسنانها في يمين الفك الأسفل قد ترنحت قليلاً. لقد كان إحساساً غريباً، خاصةً أنها لم تشعر به منذ طفولتها، ما جعلها تتذكر أطفالها فوراً حينما كانوا صغاراً. وتذكرت جنيات الأسنان، ونقوش العملات المعدنية. شعرت بسخونة عينيها، وضيق حلقها. وقالت إنها يجب أن تتحدث إلى أطفالها، بمجرد أن تخرج من هنا، ستفعل ذلك. تحركت جيل، فاصطدمت قدمها بشيء ما.. كشاف. مالت لتحضره، هزته، وضغطت على زر التشغيل، فلم يُضئ. خرجت كلماتها مكتومة:

- هذا الكشاف مكسور.

قالت واحدة من التوءمين:

- وهذا أيضاً!

جيل:

- كم كشافاً يعمل لدينا؟

- واحد هنا فقط.

ومض الشعاع الأصفر، بينما كانت لورين تمرُّ الكشاف الذي كانت تحمل، فعرفت جيل أنه كشاف بيت. وربما كان هذا هو أفضل الخيارات ليُحضِرُه إلى المخيم في النهاية.

- أهنأك أيُّ كشافات أخرى؟ (لم تجد إجابة، فزفرت) اللعنة!

عبر الغرفة، كان بوسع جيل أن ترى أليس، وهي تمسح عينيها. كان شعرها أشعث، وعلى وجنتيها بعض الأوساخ، ولم تُكُن تبكي الآن. انتظرتها جيل لتقول شيئاً ما، ربما مطالبة بالاعتذار، أو من الممكن أن توجه اتهامات،

لكن بدلاً من ذلك جلست أليس ببساطة، ورفعت ركبتيها إلى مستوى صدرها. جلست هناك بالقرب من الباب منحنية وثابتة. وبشكل ما، وجدت جيل أن هذا أمر مقلق.

- أليس؟

صدق صوت بري من ركن مظلم. لم تجدِ إجابة. حاولت بري مجددًا:

- أليس؟ اسمعي، بيت لا تزال في فترة الإجهاض.

لم تجدِ إجابة بعد.

- الأمر هو أنها ستضطر إلى العودة إلى المحاكمة مرة أخرى إذا..

صمتت بري وانتظرت، فلم ترد أليس.

- أليس، هل تستمعين إليّ؟ انظري، أعلم أنها هي من ضربتك، لكنها

ستواجه الكثير من المشكلات إذا تطورت الأمور.

- إذن؟

نطقت أليس أخيرًا، وشفثاها تتحركان بالكاد، لكنها لم ترفع عينيها بعد.

- إذن، لا تأخذي الأمور لأبعد من ذلك، مفهوم؟ أرجوك.

كانت لبري مسحة لم تسمعها من قبل.

- وأمنا ليست بخير، فقد مرت بأوقات شاقة في الفترة الأخيرة!

لم تجدِ إجابة.

- أرجوك يا أليس!

- بري. (كانت لصوت أليس نبرة غريبة) ليس هناك فائدة لتطلبي مني

هذا الجميل. ستكونين محظوظة إن استمررت في العمل الشهر المقبل!

- أنتِ! (رَنَّ صوت بيت قاسيًا وفاضبًا) لا تهدديها، إنها لم تفعل شيئًا

سوى أنها تعمل من أجلك بجد.

نظرت أليس إليها عندما قالت ذلك، وخرجت كلماتها بطريقة بطيئة

ومتأنية، مخترقة حاجز الصمت:

- اخرسي أيتها العاهرة البدينة!

صاحت جيل:

- يكفي هذا يا أليس! لم تكن بيت وحدها هي المسؤولة عن ذلك، لذا راقبي نفسك، أو أنك ستقعين في المشكلات عندما..
بدا صوت أليس حذرًا جدًّا، وهي تقول ذلك:

- عندما ماذا؟ عندما تظهر فرقة الإنقاذ السحرية التي ستنقذنا؟

كانت جيل على وشك أن ترد عندما شعرت فجأةً بحالة من الذعر، وهي تتذكر الهاتف. لقد دسّته في جيبها قبل أن يبدأ الشجار، ثم بحثت عنه الآن. أين هو؟ شعرت بدوار من الراحة عندما لمست يدها. أخرجته وتفحصته، وتفقدت الشاشة لتتأكد من أنه ما زال يعمل. كانت أليس تراقبها:

- تعلمين أن هذا هاتفني!

لم تُجب جيل، ودسّت الهاتف مرة أخرى في جيبها. قالت بري:

- إذن، ما الذي سيحدث الآن؟

تنهدت جيل بصمت، إذ كانت تشعر بالإرهاق التام. كانت مبتلة وجائعة، ومتألّمة، ويزيد من ذلك جسدها المبلّل والقذر، وشعرت أن الجميع ينظر إليها. قالت بأفضل مستوى صوت استطاعت أن تتوصل إليه:

- حسنًا، أولًا، سنهدأ جميعًا. ثم أريد من كل واحدة منكن أن تُخرج منامتها، ولن نفكر في هذا ثانية. والآن على الأقل، سنحصل على قسط من النوم، وسنضع خطة في الصباح عندما نشعر جميعًا أن عقلنا صافٍ.

لم يتحرك أحد.

- أرجوكن أن تباشرن بعمل هذا الآن.

انحنى جيل للأسفل، وأخرجت منامتها، وتنفست في ارتياح عندما سمعت الأخرى يتبعن تعليماتها. قالت:

- ضعي منامتك بجانبني يا أليس.

عبست أليس، لكنها لم تجادل للحظة. فرَدَت منامتها على الأرض، حيث أشارت جيل. أما بري، فكانت وحدها من كلفت عناء نفسها بالخروج من الكوخ لتغسل أسنانها بماء المطر. وكانت جيل سعيدة بأن أليس لم تفعل المثل، إذ لم تقرر ما إذا كان لزامًا عليها أن تصطحبها.

صعدت جيل إلى منامتها مقطبة الجبين، والتصقت بها ككيس بلاستيكيّ مبتل. شعرت بالهاتف في جيبها، وترددت، لم تكن تريد أن تخلع سُترتها، لكنها كانت تعلم أنها لن تستطيع النوم جيدًا بها، إذ إن القلنسوة والسحابات أعاقت نومها، وأوخزت جسدها عندما حاولت النوم بها في الليلة السابقة، ولن تشعر بالراحة إذا نامت بالسُترة بعد لحظة. خلعت السُترة بأقصى قدر من الهدوء، ووضعتها على مستوى عنقها في منامتها. ظنت أن أليس تراقبها، لكن عندما نظرت إليها كانت رفيقتها تستلقي على ظهرها، وتحقق إلى السقيفة الحديدية.

كانت جيل تعرف أن جميعهن منهكات، وبحاجة إلى الراحة، لكن الجو العام في الغرفة سام. كان رأسها مستلقيًا على أرضية قاسية، وكان بوسعها أن تسمع صرير أجساد رفيقاتها يتقلب من عدم الراحة. وندت حركة عن المنامة الملقاة بجانبها.

- على الجميع أن ينام. أليس، إذا أردتِ أن تنهضي في الليل أيقظيني.
لم تجدِ إجابة. أدارت رأسها، ولم يكن باستطاعتها أن ترى شيئًا في الظلام.

- اتفقنا؟

- يبدو أنك لا تثقين بي يا جيل!

لم تكلف جيل نفسها عناء الرد، لكن بدلًا من ذلك، وضعت يدها على سُترتها لتتأكد أنها تشعر بزوايا الهاتف الصلبة أسفل القماش، قبل أن تغلق عينيها.

الفصل الثالث والعشرون

كان فولك سعيدًا بخروجه من الكوخ، وقد تبع كينج رفقة كارمن إلى المنطقة الخالية، حيث وقفوا جميعًا يستمتعون بالضوء الطبيعيّ. أشار كينج إلى ما وراء الكوخ:

- الطريق التي سلكتها النساء تبدأ من هنا.

فأدار فولك عنقه ليرى. لم يستطع أن يرى أيّ طريق، فقط جدارًا من الأشجار معلّقًا عليه بعض العلامات البرتقالية التي تخص المفتشين. وقد بدا أن هذه العلامات تظهر وتختفي مع كل خطوة.

- نحن نعمل بأقصى ما نستطيع، لكن...

لم يُنه كينج كلامه، لكنه لم يَكُن مضطّرًا إلى ذلك، إذ كانت الغابة كثيفة، وكثيفة هنا تعني أنها هادئة، وتعني أيضًا أن بعض الأشياء من السهل فقدها، وتعني أيضًا أن هناك أشياء لا تعاود الظهور مطلقًا.

كان بوسع فولك أن يسمع أصواتًا بين الأشجار، تصيح باسم أليس، وتنتظر ردًا. بعض الوقفات بدت بطيئة وروتينية، لكن فولك لم يُلْمهم، إذ كانوا يبحثون عنها لليوم الرابع على التوالي. ثم ظهر مفتش من خلال الأشجار، وتوجه إلى كينج. قال كينج:

- اعذراني للحظة. (وتوجه نحوه).

نظر فولك وكارمن إلى بعضهما، فيما تطايرت الشرشف البلاستيكية من أثر الرياح. قالت كارمن:

- أتمنى حقًا أن تكون جثة سارة سونديبيرج أسفل الشرشف الأكبر.

من أجل والديها، إن استجداء كوفاك من أجل الحصول على معلومات منه لا يزال هاجسًا ينتاب المرء. على الأقل قد أقامت العائلات الأخرى جنازات لضحاياها.

تمنى فولك أن تكون هي جثة سارة سوندنبيرج أيضًا، ولم يكن أن يتمنى غير ذلك. عاد ليتفقد الكوخ مرة أخرى. من المرجح أن الكوخ قد بُني بناءً جيدًا في المرة الأولى، لكنه يبدو محظوظًا الآن، لأنه لا يزال قائمًا على قواعده. وقد كان فولك على يقين من أن هذا الكوخ قد بُني في وقت سابق على مارتن كوفاك نظرًا لحالة الخشب، لكن من بناه؟ يمكن أن يكون قد بُني ضمن برنامج الكشافة، أو يمكن أن يكون من بناه محبًا للطبيعة؟ كان يريد أن يقضي عطلات نهاية الأسبوع فيه، وقد أقامه عندما كان قانون الحقائق العامة يسمح بذلك. وتساءل فولك ما إذا كان الكوخ قد بدا على الدوام وحيدًا هكذا. سار إلى الكوخ، واختبر الباب، فوجده يتمايل عندما فتحه، وأغلقه عدة مرات. أما المفصلات، فكانت مهترئة، وبالكاد تؤدي وظائفها. أما الإطار الخشبي، فكان على وشك أن ينهار. قالت كارمن:

- لا يصدر الكثير من الضجيج. قد ينسل شخص ما خارجًا أو داخلًا من خلال هذا الباب دون أن يوقظ أحدًا، كما أعتقد. (جربته كارمن بنفسها) لا توجد نوافذ فيه تطل على الباحة الخلفية أيضًا، لذا لن يتمكن من رؤية هذه الطريق الشمالية من الداخل.

فكر فولك حول ما قالته النساء، وحاول أن يتخيل كيف سارت الأمور. لقد قلن إنهن استيقظن صباحًا، ولم يجدن أليس. إذا كانت أليس قد غادرت وحدها، يمكنها أن تتسلل مبتعدةً من خلف الكوخ تجاه الظلام. وقد فكر بشأن توقيت البريد الصوتي الذي أرسل من هاتفها في الساعة 4:26 صباحًا؛ «... يؤذيها...». وبغض النظر عما حدث لأليس، فمن شبه المؤكد أنها كانت تحت جنح الظلام.

نظر إلى المساحة الفارغة أمام الكوخ. كان كينج لا يزال مشغولًا في إجراء المحادثة. وفي مكان ما خلف الكوخ كان يقف عند مدخل الطريق الشمالية، فقال لكارمن:

- أتريدين أن تأخذين تمشية؟

خاضا في العشب الطويل وبين الأشجار. كان فولك ينظر خلفه كل بضع خطوات، إذ لم يبتعدا كثيرًا عن الكوخ من قبل. وكان قلقًا من أن يفقدا طريق الرجوع بشكل كامل، لكنه لم يَكُن عليه أن يقلق. عندما يجدان الطريق سيعرف. كانت الطريق نحيلة، ولكنها صلبة، ومنعتها طبقة صخرية من أن تتحوّل إلى وحل عندما يهطل المطر. وقفت كارمن في منتصف الطريق تنظر إلى الاتجاه الآخر:

- أعتقد أن هذه الطريق هي طريق الشمال. (وأشارت بيدها عابسة قليلًا) من المفترض أن يكون كذلك على الرغم من أنه من الصعب معرفة ذلك. التفت فولك، وقد بدا أقل ارتباكًا بالفعل. كانت الغابة متماثلة في جميع اتجاهاتها. عندما تفقد الطريق التي بدأ منها سيرهما، كان باستطاعته أن يرى المفتشين خلفه.

- نعم، أعتقد أنكِ على حق. يجب أن تكون هذه هي الطريق الشمالية. فانطلقا، وكانت الطريق متسعة بقدر كافٍ حتى يمكنهما أن يسيرا جنبًا إلى جنب. قال فولك:

- ما الذي كنتِ ستفعلينه لو كنتِ في مثل هذا الموقف، ستبقيين في مكانك أم ستحاولين المضي قُدّمًا؟

- إذا أخذنا عضة الثعبان في الاعتبار، كنت سأحاول أن أغادر المكان. لا خيار لديّ في الحقيقية. أما إذا لم نأخذها في الاعتبار، أعتقد أنني سأفكر. لا أعرف! لم أكن لأرغب في ذلك إذا لم أرَ حالة الكوخ، لكنني أعتقد أنني سأبقى. أحفر حفرة في الأرض، وسأثق بفرق البحث لتؤدي عملها. ماذا عنك؟

كان فولك يسأل نفسه هذا السؤال. إذا بقيت، لن تعرف متى سيجدونك، أو حتى ما إذا سيجدونك أم لا، أم تغادر، وأنت لا تعلم المكان الذي تتوجه إليه؟ فتح فمه، وهو لا يزال غير واثق من إجابته عندما سمعها. صدح صوت ناعم لصفير ما. توقف:

- ما هذا؟

استدارت كارمن:

- ماذا؟

لم يُجِب فولك، لكنه أنصت. لم يَكُن بوسعه أن يسمع شيئاً سوى صفير الرياح بين الأشجار. هل تخيل الصوت؟ تمنى أن يسمع هذا الصفير مرة أخرى. لم يسمعه، لكنه كان باستطاعته أن يستعيد الصوت مرة أخرى في عقله. صوت قصير وخفيّ، وله طابع إلكترونيّ بلا جدال. وقد استغرق الأمر منه جزءاً من الثانية ليسمعه، جزءاً من الثانية فقط. وضع يده في جيبه، وهو يعرف بالفعل أنه على صواب، إذ عادةً ما يسمع هذا الصوت عشرات المرات في اليوم، لكنه لا يلاحظه في سياقه، لكن سماعه للصوت هنا بدا غريباً وغير طبيعيّ، وجعله يرتعش.

كانت شاشة هاتفه تومض، جاءت رسالة نصية. لم يزعج فولك نفسه بالاطلاع على محتواها، إذ كانت النغمة قد أخبرته بكل شيء يحتاج إلى معرفته، فلقد التقط الهاتف إشارة. حمل فولك الهاتف في يده حتى يمكن لكارمن أن ترى، كانت الإشارة ضعيفة، لكن ما باليد حيلة. خطأ خطوة تجاه كارمن، فاخفت الإشارة، وعندما عاد مرة أخرى أضاءت الإشارة مرة أخرى بشرطة واحدة، فخطأ فولك خطوة إلى الوراء، فاخفت مرة أخرى. كانت الإشارة هشة وصعبة المنال، لكن ربما كانت تكفي حتى يقرأ الرسالة.

استدارت كارمن، وركضت بأقصى سرعتها عائدةً على نفس الطريق التي أتت منها تجاه الكابينة، ملتزمةً بالركض بجانب صف الأشجار، فيما بقي فولك حيث هو بالضبط. نظر إلى الشاشة، حيث كانت الإشارة تظهر وتختفي، وهو لا يجرؤ على رفع عينيه عنها. ظهرت كارمن بعد لحظة، وهي تركض منقطعة النفس خلف الرقيب كينج. نظر إلى شاشة الهاتف، فرفع جهاز إرساله، واستدعى كل المفتشين. دخلوا إلى الغابة من كل اتجاه على الطريق، وراحت السُترات البرتقالية تختفي في الظلام.

«... يؤذيها...»

استغرق منهم الأمر أقل من خمسين دقيقة ليجدوا حقيبة أليس راسل.

اليوم الرابع: صباح يوم الأحد

كانت السماء صافية، والقمر ساطعًا ومكتملاً. كان شعر أليس راسل الأشقر يكتسب لونًا فضيًّا، وهي تغلق باب الكوخ بلطف خلفها. لم يُصير إلا تكة وصريزًا خفيًّا من المفصلات الفاسدة. وقفت لتسمع. كانت تحمل حقيبتها على كتف، وبيدها الأخرى كانت تحمل شيئًا آخر. لم يكن هناك أيُّ حركة من الداخل، وكان صدر أليس يرتفع وينخفض من أثر الشعور بالارتياح.

وضعت حقيبتها بصمتٍ عند قدمها، ونفضت ما كانت تحمله على ذراعها؛ سُترة مقاومة للماء، باهظة الثمن، وذات حجم كبير. مرَّرت أليس يدها على القماش لتفتح سحَّابة الجيب. أخذت شيئًا ما، نحيفًا ومستطيلًا، وضغطت على زرٍ ما، ومض ما بيدها، فابتسمت ابتسامة صغيرة. دسَّت أليس هاتفها في جيب سروالها، ولفَّت السُترة، ووضعتها خلف شجرة ساقطة بالقرب من باب الكوخ.

حملت أليس حقيبتها على كتفها، وبضغطة واحدة، ومض ضوء من الكشاف لينير لها الطريق، وانطلقت بخطوات خفيفة متجهةً إلى جدار الأشجار السميك، والطريق من خلفه، واختفت، ولم تنظر إلى الخلف. وعلى مسافة بعيدة من الخلف، في الجانب الآخر من المنطقة الخالية، وعبر الشرائط الورقية لشجر الكافور، كان هناك شخصٌ ما يراقبها.

مكتبة

t.me/soramnqraa

الفصل الرابع والعشرون

كانت حقيبة أليس راسل متروكة خلف شجرة، على بُعد عشرة أمتار من بداية الطريق، ومخفية وسط حفنة من أوراق الشجر، ولم تُفتح. وظن فولك أن الغالب أن صاحبها قد تركتها هنا، وابتعدت، ولم تُعد قط. انحنى الرقيب كينج على الحقيبة مدة طويلة، وقد تحرك حولها بطريقة مدروسة، وكأنه يؤدي رقصة إيقاعية. ثم توقف وزفر. طوّق المنطقة، واختار فريق بحثه، ومسّط المنطقة.

لم يجادل فولك ولا كارمن. لقد وجدا نفسيهما يعودان إلى الطريق الشمالية من نفس الطريق التي أتيا منها، يتبعان العلامات التي تركتها الشرطة، واثنان من المفتشين اللذان أُعفيا من نوبتهما. سارا بصمت في صف واحد، توقفوا مرة ثم مرة أخرى متفرقين في الطريق. وقد شعر فولك مرة أخرى بالامتنان للعلامات التي وضعتها الشرطة على الأشجار.

كان يفكر في الحقيبة، وهو يتبع كارمن. الحقيبة مستلقية هناك وحدها لم يمسه أحد، انحراف صنعه الإنسان في هذا المشهد. النار من مشاهد الطبيعة. لا يبدو أن الحقيبة قد عُثِرَ بها، وتساءل ما الذي يعنيه ذلك؟! قد تكون محتويات الحقيبة ذات قيمة مالية محدودة، لكن عندما تكون في العراء، فمن شأن سُترة مقاومة للماء أن تشكل فارقاً بين الحياة والموت، لكن القيمة كانت تُحسب بشكل مختلف. كان حدس فولك يخبره أن أليس راسل لن تترك حقيبتها برغبتها، لكن هذا الخاطر قد أصابه بالبرد، على الرغم من أن الطقس لم يكن بارداً!!

«عندما تعثر على متعلقاتها أو ملجئها، ستكون الجثة هي التالية دوماً». ظلت كلمات عامل محطة البنزين تشغل باله. لقد تخيل الشاب، وهو خلف

الطاولة في كل مرة، كانا يتوقفان فيها، في المحطة من قبل. على الرغم من أنه لم يلتقه صباح اليوم. زفر فولك:

- ستكون الجثة هي التالية دومًا.

قالت كارمن بصوت خفيض:

- ما الذي تفكر فيه؟

- لا أفكر في أفكار جيدة، خاصةً عندما لا تتزود بالمعدات في طقس كهذا!

- أعرف. أظن أنهم سيجدونها قريبًا. (ونظرت كارمن إلى الغابة،

وأشجارها الكثيفة في كل الاتجاهات) ذلك إذا كان يمكن العثور عليها.

سارا حتى تفرقت الأشجار أمامهما، وظهر ضوء الشمس أكثر سطوعًا.

استدارا مرة أخرى، وظهر، وهما يرجعان على الطريق الشمالية. كان

المفتشون والضباط يقفون على جانب الطريق، يتحدثون بأصوت خفيضة

عن آخر المستجدات، وأخبار الحقيبة التي انتشرت سريعًا. نظر فولك حوله،

فلم تكن هناك إشارة لإيان تشيس، وقد اختفت حافلة الشركة المنظمة للرحلة

أيضًا. هبت الرياح على الطريق، فأحكم فولك إغلاق سترته عليه. والتفت إلى

واحد من الضباط الذين ينظمون المفتشين العائدين من البحث.

- هل رأيت إيان تشيس يغادر؟

نظر إليه الضابط مرتبًا:

- لا.. آسف، لم أدرك أنه غادر. يمكنك أن تتصل به إذا كان الأمر عاجلاً.

هناك هاتف مزود بخط أرضي للطوارئ، على بُعد عشر دقائق بهذا

الاتجاه. (وأشار إلى الطريق الهابطة للأسفل).

هز فولك رأسه:

- لا بأس، شكرًا لك.

تبع كارمن إلى سيارتهما، وصعدت خلف المقود. قالت:

- هل نعود إلى النزل؟

- أعتقد ذلك.

سارت فبدأ النشاط الهادر في الموقع يزداد صغرًا في المرآة العاكسة حتى

استدارت في أول زاوية، واختفت تمامًا. كانت جدران الكاتدرائية الخضراء

تحاوطهم من كل اتجاه، ولم يكن هناك تلميح للجنون الذي يحدث بالداخل، إذ كانت الغابة تحفظ أسرارها بالداخل. قال فولك:

- الكوخ مخفيٌ جيدًا، لكنه لم يكن مجهولاً.

كانت كارمن تراقب الطريق:

- عذراً؟

- كنت أفكر في شيء قالته بري ماكينزي في وقت سابق. هذا السجين الذي أبلغ عن موقع الكوخ، وهذا شخص واحد على الأقل، من يستطيع أن يقول أن شخصاً آخر لم يكتشفه؟

- بمن تفكر؟ بصديقنا الغائب من الشركة المنظمة للرحلة؟

- ربما.. هذا واحد. لقد أمضى الوقت هنا وحده. (فكر فولك في حشود المفتشين والضباط، وعمال المتنزه في موقع البحث) لكنني أفترض أن الكثير من الناس يعرفون مكانه.

توقفوا في موقف السيارات، وأخذوا حقيبتيهما من صندوق السيارة. وقد كان موظف الاستقبال الواقف خلف الطاولة، قد رأياه من قبل.

- لقد سمعت كل ما يحدث هنا.

نظر إلى فولك وكارمن متمنياً أن يمدها بمعلومة، لكنهما أوماً فقط، فلم يكن من شأنهما أن ينشرا مثل هذه الأخبار. كان الباب المفضي إلى منطقة المطبخ مفتوحاً جزئياً، فاستطاع فولك أن يرى مارجوت راسل من خلال الفجوة. كانت تجلس على الطاولة، وتبكي بصمت، وتضع يداً على عينيها، وكتفاها تترفعان وتهبطان. كانت بين جيل بيلى وامرأة من هيئة الرعاية الاجتماعية. وكانت لورين تقف وراءهم.

استدار فولك وسار بعيداً. يمكنهما أن يتحدثا مع مارجوت راسل لاحقاً، فمن الواضح أن الآن ليس الوقت المناسب. ومن خلال النافذة الأمامية الكبيرة للنزل رأى حركة في موقف السيارات؛ رأساً ذات شعر داكن، لا، رأسين. بري وبيث كانتا تأتيان من اتجاه مجمع الإقامة.. تتجادلان، لكن لم يكن بوسع فولك أن يسمع صوتيهما، لكنه رآهما تقفان، بحيث يمكن لشاحنة صغيرة أن تمر أمامها. كانت الحروف المكتوبة على الشاحنة تشير إلى ملكيتها للشركة

المنظمة للرحلة. لقد عاد إيان تشيس بغض النظر عن المكان الذي جاء منه. هز فولك كارمن التي التفتت لتتظر.
أنهى موظف الاستقبال خلف الطاولة إجراءات تسكينهما، وأعطاهما مفتاحين، وقال:

- نفس الغرفتين اللتين نزلتما فيهما المرة السابقة.

شكره فولك، وأخذ المفتاحين، واستدار ليغادر المكان، منشغلاً بينما كان هو وكارمن يراقبان إيان تشيس، وهو يخرج من حافلته. كانا أقرب ما يكون إلى الباب عندما صاح موظف الاستقبال من خلف الطاولة.

- أنتما، انتظرا. (كان يحمل في يده سماعة هاتف، ويقطب جبينه) أنتما من الشرطة، أليس كذلك؟ مكاملة لكما.

نظر فولك إلى كارمن التي هزت كتفها متفاجئة. عادا إلى الطاولة، حيث أخذ فولك السماعة، وقال اسمه. كان الصوت على الطرف الآخر نحيفاً وضعيفاً، لكن يمكن تمييزه.. الرقيب كينج. كانت كلمات الرقيب كينج تجري بسرعة على لسانه:

- هل تسمعي؟

- بالكاد!

- اللعنة! أنا لا أزال بالقرب من موقع البحث. عادة ما يكون الخط الأرضي للنزل في منتهى السوء. (ثم توقف، وعاد مجدداً) هل هكذا أفضل؟
- ليس تمامًا.

- لا عليك، انظر، أنا في طريقي للعودة. هل هناك أي ضابط من ضباط الولاية بالقرب منك؟

- لا. (كان يوجد عدد قليل من الضباط في منطقة الاستقبال، وموقف السيارات لا يوجد به شخص. غالباً ما يكون معظم الضباط لا يزالون في موقع البحث) لا يوجد غيرنا.

- حسناً. يا رفيقي، أحتاج إلى... (تشويش. ثم لا شيء).

- انتظر.. لم أسمع ما تقوله!

- يا إلهي! هل تسمعي الآن؟

- نعم.

- لقد وجدناها.

كان هناك خشخشة. وفولك يتنفس شهيقًا وزفيرًا.

- هل سمعت هذا؟ (كان صوت كينج هادئًا).

- نعم، لقد سمعته، هل وجدتموها حية؟

كان فولك يعرف الإجابة من قبل أن يسأل السؤال. وبجانبه، كانت كارمن

تقف متجمدة.

- لا..!

جاءت الكلمات كالضربة في صدره.

- اسمع. (كان صوت كينج يأتي ويختفي) نحن في طريقنا للعودة الآن

بأقصى ما نستطيع من سرعة، لكنني أحتاج منك معروفًا. مَنْ عندك

أيضًا؟

نظر فولك حوله؛ كارمن، وموظف الاستقبال خلف الطاولة، ومارجوت

راسل، وموظفة هيئة الرعاية الاجتماعية في المطبخ مع جيل ولورين.

والتوءمان في موقف السيارات. وإيان تشيس يغلق أبواب شاحنته، ويسير

مبتعدًا، لكنه أجّل هذه القائمة، ولم يُجب كينج.

- لماذا؟

الكثير من التشويش. ثم جاء صوت كينج من بعيد:

- عندما وجدنا جثتها، وجدنا معها شيئًا آخر!

اليوم الرابع: صباح يوم الجمعة

اختفى القمر خلف السحب، محوًّا أليس راسل إلى ظلال، وهي تختفي بجانب الكوخ. وعبر الخلاء خرج المراقب من وراء جدار الأشجار، وهو يتلمس سحابة سرواله. وقد ندت عنه رائحة بول خافتة، ساخنة على الأرض الباردة. ما الوقت الآن؟ أشارت ساعة اليد أنه يقترب من الرابعة والنصف صباحًا. أظهرت نظرة سريعة إلى الكوخ أنه لا وجود لحركة بالداخل.

- اللعنة!

تردد المراقب، ثم انحنى ليختبئ بجانب الكوخ. وتشققت الغيوم، فومض العشب الطويل باللون الفضيّ. ولا يزال جدار الأشجار ساكنًا. أما أليس، فقد اختفت عن الأنظار بالفعل.

الفصل الخامس والعشرون

وُضعت حقيبتان بجانب العجلتين الخلفيتين لسيارة مستأجرة. كان صندوق السيارة مفتوحًا على اتساعه، والتوءمان تقفان تتجادلان في صوت خفيض، ورأساهما قريبان من بعضهما بعضًا. كانت الرياح تُطير شعرهما، وتخلطهما ببعضهما بعضًا. أدارتا رأسيهما في تناغم، ولم يكن الجدل قد أفضى إلى شيء، وفولك وكارمن يتقدمان. أبقت كارمن صوتها طبيعيًا:

- عذرًا يا سيدات، علينا العودة إلى النزل.

- لماذا؟

نظرت بيث إليهما، وتعبير غريب يرتسم على وجهها، ربما كان تعبيرًا عن المفاجأة، أو ربما كان تعبيرًا عن شيء آخر.

- يريد الرقيب كينج التحدث إليكما.

قالت بيث مجددًا:

- لكن لماذا؟!

وقفت بري صامته إلى جوار أختها، وعيناها متسعتان عن آخرهما. تحمل يدها المضمدة على صدرها، واليد الأخرى تسندها على باب السيارة المفتوح.

- إن بري مرتبطة بموعد، ولقد قيل لنا إنه من المسموح أن نغادر.

- أفهم ذلك، لكن مطلوب منكما أن تبقيا الآن على الأقل. (ثم استدارت كارمن إلى النزل) يمكنكما أن تُحضرا حقائبكما.

شاهد فولك الأختين، وهما تتبادلان نظرة لم يفهما، ثم حملتا حقائبهما على مضض. وقد بدا أن إغلاق باب السيارة استغرق من بري وقتًا طويلًا، ثم سارت مبتعدة. توجهتا إلى النزل، وبينما يمران عبر نافذة المطبخ، كان بوسع فولك أن يرى جيل ولورين يحدقان إليهما، فتجنب أن يكون هناك أي تواصل بصري.

أُخِلت كارمن الردهة من المفتشين، وأشارت للأختين أن تدخلوا. خرجت جيل ولورين إلى الردهة يرتسم على وجهيهما علامات القلق والفضول. أغلق فولك الباب عليهما، واستدار إلى الأختين:

- اتخذنا مقعديكما.

جلس هو وكارمن إلى جانب بعضهما على الأريكة القديمة. ترددت بري، ثم جلست على مقعد أمامهما، وكانت تحمل الضمادة مجددًا. ظلت بيث واقفة:

- هل ستخبراننا ما يحدث هنا؟

- الرقيب كينج سوف يخبركم عندما يصل إلى هنا.

- ومتى سيصل إلى هنا؟

- في طريقه إلى هنا.

نظرت بيث عبر النافذة. في موقف السيارات كان مفتشٌ أعفي من خدمته يسمع شيئاً في جهاز لاسلكي. سمع ثم ألقى صيحة ليستدعي اثنين آخرين يحملان بعض الأغراض في سيارة. أشار إلى الراديو، فظن فولك أن الأخبار تنتشر. نظرت بيث إليهما:

- لقد وجدوها، أليس كذلك؟

طقطق خشب الأرضية، وساد الصمت المكان.

- هل هي ميتة؟

فولك لا يقول شيئاً، بيث توزع أنظارها في الأنحاء، ونظرت إلى أختها، فكانت بري متجمدة.

- أين؟ بجانب الكوخ؟ يجب أن تكون هناك، فلم يمر الكثير من الوقت بين

العثور على الكوخ وبين العثور عليها. إذًا لقد كانت هناك طوال الوقت؟

- الرقيب كينج س...

- نعم، أعرف، قلت ذلك، لكنني أسألك الآن، من فضلك أخبرني. (ابتلعت

بيث لعابها) من الواجب أن نعرف!

هز فولك رأسه:

- عليك الانتظار حتى يأتي، آسف.

ذهبت بيث إلى الباب المغلق، وتوقفت أمامه ثم استدارت فجأة:

- لماذا لم توجد لورين وجيل هنا أيضًا؟

- بيت، توقفي.

نظرت بري إليها أخيرًا، ويدها تحمل ذراعها المكسورة.

- لماذا، أظن أنه سؤال عادل، لماذا نحن فقط موجودتان هنا؟

- بجد يا بيت، اصمتي وانتظري حتى يأتي الرقيب كينج!

كان بوسع فولك أن يسمع صوت الرقيب كينج على الهاتف يأتي ويذهب،

لكنه كان واضحًا عندما باح الأشياء المهمة: «عندما وجدنا جثتها، وجدنا معها شيئًا آخر!». ما هو؟!

كانت بيت ساكنة، وهي تنظر إلى أختها. قالت مجددًا:

- لماذا نحن فقط؟

- توقفي عن الكلام!

جلست بري متصلبة على مقعدها، وأصابعها لا تزال تحمل الضمادة.

رمشت بيت، وعيناها على فولك:

- إلا إذا كان الأمر لا يتعلق بنا.

لم يستطع فولك أن يوجه نظرة إلى بري بضمادتها الرمادية، ولدغة

الثعبان التي تختفي أسفلها. «عندما وجدنا جثتها، وجدنا معها شيئًا آخر».

كان من القاسي سماع الرقيب كينج، وهو يقول ذلك.

- ماذا؟

- وجدنا هذا الشيء مخفيًا أسفل شجرة ميتة بجانبها؛ ثعبانًا كبيرًا من

ثعابين بيتون.

أخيرًا نظرت بري إلى أختها:

- اصمتي يا بيت، لا تتكلمي.

- لكن..

قاطعتها بري:

- هل أنتِ صماء؟

- لكن.. (تباطأت بيت) ما الذي يجري؟ هل فعلت شيئًا؟

حدقت بري إليها. لا تزال يدها ثابتة، لكنها نسيت الضمادة لمرة.

- هل فعلت شيئًا؟

ضحكت بري ضحكة قصيرة وساخرة.

- لا تفعلني ذلك.
- ما الذي تقصدينه؟!
- تعرفين ما أقصده!
- لا أعرف!
- حقًا؟ حسنًا.. إذن، ما أعنيه -يا بيت- لا يصح أن يقال هنا أمام الشرطة، وأنتِ تسألينني، وكأنك لم تعرفي ما حدث. إذا كنتِ تريدين فعل ذلك، علينا أن نتحدث عما فعلته.
- أنا؟ لم أفعل أيّ شيء!
- حقًا؟ ستتظاهرين أنك...
صاح فولك:
- بري، أنصحكما نصحًا شديدًا أن تنتظرا حتى..
- تتظاهرين بأنك بريئة، وكأن لا علاقة لك بالأمر!
- أيّ أمر؟
- يا إلهي يا بيت! هل ستفعلين ذلك حقًا؟ هل ستلوميني أمامهما، وفي هذا الوقت؟! (أشارت بري بإصبعها إلى فولك وكارمن) لم يكن ليحدث أيّ شيء من هذا إذا لم تكوني هنا!
- ما الذي لم يكن ليحدث لو لم أكن هنا؟
- أنتما...!
- فشلت كل محاولات فولك وكارمن في احتواء الموقف. وقد وقفت بري على قدمها الآن، وتواجه أختها وجهًا لوجه. خطت بيت خطوة للوراء:
- اسمعي لما أقوله، ليست عندي أيّ فكرة عما تتحدثين عنه!
- هراء!
- لا.. أنا أعني هذا!
- ما تفعلينه هو الهراء يا بيت! لا أصدق أنك تفعلين هذا.
- ماذا أفعل؟!
- تحاولين غسل يديك لتورطيني في الأمر، وفي هذه الحالة، لماذا حاولت أن أساعدك؟ لماذا لا يجب أن أعنتني بنفسي، وأقول الحقيقة؟
- حقيقة ماذا؟

- أنها كانت ميتة بالفعل! (اتسعت عينا بري، وتمايل شعرها الداكن)
أتعرفين هذا! لقد كانت أليس ميتة عندما وجدتها.
أخذت بيت خطوة أخرى إلى الوراء، ونظرت إلى أختها:
- بري، أنا لا...

أطلقت بري عويلاً من الإحباط، ودارت حول المكان، وعيناها تبرئانها،
وهي تقع على فولك وكارمن.

- لا يبدو الأمر كما قالت، لا تستمعا إليها. (اهتزت يد بري، وهي تشير إلى
أختها) أرجوكم.. عليكما أن تجعلا الرقيب كينج يفهم أن...
- بري...

- استمعي، أليس كانت ميتة بالفعل. (تحوّلت ملامح بري الجميلة فيما
سقطت الدموع على وجنتيها) لقد وجدتتها على الطريق في صباح يوم
الأحد؛ حركتها قليلاً، في ذلك الوقت لدغني الثعبان، لكن هذا هو كل ما
فعلته. لم أؤذيها، أقسم على ذلك. هذه هي الحقيقة.
- بري..

حاولت كارمن هذه المرة، لكن بري أسكتتها.
- كانت لمقاة هناك، ولم تكن تتنفس. لم أعرف ما أفعله. كنت خائفة من أن
يمر شخص ما ويراها، لذا مسكتها، وحاولت أن أخفيها في الغابة حتى..
توقفت بري. نظرت إلى أختها في الخلف، فكانت بيت تمسك مؤخرة
المقعد بشدة لدرجة أن مفاصل أصابعها تحوّلت للون الأبيض.
- حتى أتحدث إلى بيت، لكنني تعثرت وشعرت بالثعبان بجانب ذراعي.
- لكن لماذا أخفيتها يا بري؟ (كان وجه بيت ممتلئاً بالدموع).
- يا إلهي! أنتِ تعرفين لماذا؟
- لا أعرف.

- بسبب.. (احمرّ وجه بري، وقد أخذت وجنتاها تحملان بقعاً من الألوان) بسبب..
يبدو أنها لم تستطع قول ما تفكر فيه، ومدت يدها لأختها.
- بسبب ماذا؟!

- بسببك، لقد فعلت هذا لأجلك. (وضعت يدها على ذراع أختها هذه المرة)
لا يمكنك أن تدخلني السجن مرة أخرى، هذا سيقتل أمك. لم تخبرك قط،

لكن حالتها كانت في غاية السوء في المرة الأخيرة. لقد صارت أسوأ كثيراً في المرة الأخيرة. كان الأمر مروّعاً، أن أراها حزينة للغاية، وأنا أعلم أنه كان خطئي..!

- لا، بري، لم يكن دخولي للسجن في المرة الأخيرة خطأك.

- لا، بل كان خطئي. (أحكمت بري قبضتها) لم يكن جاري هو الذي أبلغ الشرطة عن سرقة شقتي. كنت أنا. لقد أخبرت الشرطة، لأنني كنت غاضبة للغاية منك، ولم أكن أدرك أن الأمور ستتطور إلى هذا الحد.

- لم يكن خطأك!

- بل كان خطئي!

- لا، بل كان خطئي أنا. لكن هذا.. (عادت بيث خطوة إلى الوراء، وقد تركت قبضة أختها) لكن هذا أمر في غاية السوء يا بري. لماذا فعلت ذلك؟

- تعلمين السبب. (مدت بري يدها مرة أخرى، لكنها سقطت في الهواء هذه المرة) بالطبع تعلمين، لأنك أختي! لأننا عائلة.

رأى فولك حركة في الخارج عندما توقفت السيارة، وخرج منها الرقيب كينج.

- لكن ما الذي يفترض أن أفكر فيه أيضاً؟ وكيف يفترض بي أن أثق بك بعد كل ما فعلته؟ (كانت بري تبكي الآن، ووجهها محمر وملطخ) أنا لا أصدق أنك تقفين هنا لتكذبي مرة أخرى. أخبريهم، أرجوك يا بيث. لأجلي.. أخبريهم بالحقيقة.

- بري...

توقفت بيث. كانت قد فتحت فمها، وعلى وشك أن تقول أكثر، لكنها أغلقتة، وبدون أي كلمة استدارت مرة أخرى. مدت بري يدها، تعبت بيدها السليمة بأختها، وكان بكاؤها يتردد صداها في الغرفة عندما فتح الرقيب كينج باب الردهة.

- أنت كاذبة عاهرة! أنا أكرهك يا بيث! أنا أكرهك لهذا! أخبريهم بالحقيقة! (كانت بري تكافح لتتحدث، وهي تبكي) لقد فعلت هذا لأجلك!

كان وجهها ملتويين وغاضبين من الخيانة، إلا أن فولك لم يرَ توءمين متشابهين إلى هذا الحد، كما يرى التوءمين اللذين أمامه!

اليوم الرابع: صباح يوم الأحد

سقطت أليس راسل ميتة. كانت ساقطة على بُعد مسافة قصيرة في طريق الشمال، وضوء القمر يحاوطها. الكوخ بعيد عن الأنظار الآن، لقد اختفى بعيدًا خلف الأشجار. كان ظهر أليس منحنياً، وحقيبتها على الأرض، تتكئ على صخرة كبيرة. كانت يد واحدة تضغط على أذنها. وحتى من مسافة، كان من الواضح أن يدها تهتز على وميض الهاتف.

الفصل السادس والعشرون

أخذ التويمان في سيارتين منفصلتين. كان فولك وكارمن يشاهدان الأمر من مدخل الردهة. ولورين وجيل تقفان في منطقة الاستقبال غير مصدقتين لما يحدث، حتى أمرهما الرقيب كينج بأن ينتظرا في الردهة، إذ سيتواصل معهما ضابط من مكتب استقبال النزل ليراجع أقوالهما، وعليهما الاستعداد أن يجيئا إلى القسم في المدينة إذا كان ذلك ضرورياً. أوماً بلا كلمة، وهو يبتعد بالسيارة.

استدعت لورين إلى المكتب أولاً، وكان وجهها بالياً وشاحباً، وهي تعبر الأرضية. ظل فولك وكارمن في الردهة مع جيل، وقد بدت كنسخة مهتزة من المرأة التي قابلاها منذ أيام.

- أخبرت أليس أنها تستحق الموت في حفرة قذرة. (قالت جيل ذلك دون داع. كانت تحدق إلى النار) ولقد قصدت ذلك في هذا الوقت.
وعبر الباب، كان بوسعهم أن يسمعوا صوت عويل مارجوت راسل. كانوا بالكاد يسمعون صوت ضابط الاتصال. أدارت جيل رأسها بعيداً، فيما كان يرتسم على وجهها ملامح حزينة. قالت كارمن:

- متى علمت أن ابن أخيك يحتفظ بصور لمارجوت؟
نظرت جيل إلى يديها:

- متأخراً للغاية، إذ أخبرني دانيال القصة بالكامل يوم الثلاثاء، لكن ذلك، لأن الصور قد انتشرت على الإنترنت بحلول ذلك الوقت، لكن كان عليه أن يخبرني قبل ذلك بوقت طويل. إذا كان صريحاً معي منذ الليلة الأولى عندما جاء إلى مخيمنا، فمن الممكن ألا يكون كل هذا قد حدث، لربما تركت أليس تغادر عندما طلبت ذلك.

- وما الذي أخبرك به دانيال هذه الليلة؟

- إن زوجته قد وجدت بعض الصور مع جول، وهذا ما جعل دانيال يتأخر على الرحلة. ربما كان عليّ أن أخمن، لكن بصراحة لم أتخيل أن تكون الصور لمارجوت. (ثم هزت رأسها) لقد تغير الزمن كثيرًا منذ أن كنت في المدرسة.

وعبر الباب، كان صوت البكاء لا يزال مسموعًا، فتألمت جيل لذلك.

- أتمنى لو أن أليس كانت قد أخبرتني بذلك بنفسها، لكنك تركتها تغادر بعد الليلة الأولى إذا عرفت. بالطبع كنت سأفعل ذلك. (بدا الأمر وكأن جيل تقنع نفسها) وجول ولد غبي، ولن يكون من المسموح أن يصلح هذا بمجرد اعتذار! يشبه دانيال كثيرًا عندما كان في مثل عمره؛ كان يفعل ما يريد، ولم يفكر أكثر من ساعة في المستقبل قط. الأطفال لا يفهمون هذا، أليس كذلك؟ إنهم يعيشون اللحظة. لا يدركون أن ما يفعلونه في هذه السن قد يدوم تأثيره فيهم لاحقًا!

وغرقت في الصمت، لكن يداها كانتا تهتزان، وهما على فخذيها. نقرة ثم انفتح باب الردهة، ودخلت لورين شاحبة وجوفاء. قالت لجيل:

- دورك...

- ما الذي سألوا عنه؟

- كالسابق، يريدون أن يعرفوا ما الذي حدث؟

- وماذا أخبرتهم؟

- قلت لهم إنني لا أصدق أن أليس لم تغادر. (نظرت لورين إلى جيل، ثم إلى الأرض) سأذهب للنوم. لا يمكنني مواجهة ذلك.

ودون انتظار رد انسحبت، وأغلقت الباب وراءها. وقفت جيل أمام الباب المغلق للحظة بدت طويلة، ثم أطلقت زفرة ثقيلة. فتحت الباب، ودخلت، بينما كان صوت عويل مارجوت لا يزال يتردد صداه في المكان.

اليوم الرابع: صباح يوم الأحد

كانت أليس تصيح تقريبًا في الهاتف. كانت وجنتها تومض بالضوء الأزرق من أثر الهاتف، بينما تمضي كلماتها إلى الطرف الآخر.

- النجدة؟ هل تسمعي...؟

كان صوتها مرتفعًا من الإحباط. أغلقت الخط، وتفقدت الهاتف. حاولت مرة أخرى، وضغطت على الزر ثلاث مرات، بالضبط كما فعلت في المرة السابقة. ضغطت على رقم صفر ثلاث مرات.

- النجدة؟ ساعدونا! هل يسمعي أحد؟ أرجوكم، لقد ضللنا الطريق. هل

يمكنكم أن..؟ (ثم توقفت، وأبعدت الهاتف عن أذنها) اللعنة!

ارتفع ظهرها، وسقط مرة أخرى، وهي تلتقط أنفاسها. ضغطت على الشاشة مجددًا. عندما تحدثت، كان صوتها هادئًا للغاية هذه المرة.

- أنا أليس. لا أعرف إن كنت تسمعي. (كان هناك رعشة تصاحب صوتها)

إذا تلقيت هذه الرسالة، من فضلك، أرجوك ألا ترفع المذكرات غدًا. لا

أعرف ما الذي يجب أن أفعله، لكن دانيال بيلى لديه بعض الصور، أو

ابنه هو من لديه هذه الصور، لكنني لن أستطيع المخاطرة بالملفات

الآن. آسفة، أحاول العودة لشرح موقفي. إذا لم ترفع المذكرات سوف

أفكر في طريقة أخرى لأجلب لك العقود. آسفة، لكن الأمر يتعلق بابنتي.

أرجوكم، لا أستطيع أن أفعل أي شيء من شأنه أن يؤذيها...!

وسمعت وقع خطوات تسير وراءها، وصوتًا يرتفع في الظلام:

- أليس؟!

الفصل السابع والعشرون

كان فولك وكارمن يجلسان وحدهما، لا يقولان الكثير. وصوت نحيب مارجوت راسل لا يزال يطفو على المكان عبر الباب، وقد استمر مدة طويلة، ثم توقف كل شيء، وبعث في المكان صمتٌ غريبٌ. تساءل فولك أين ذهبت. سمعا صوت سيارة تقف أمام النزل، فتوجهت كارمن إلى النافذة:

- لقد عاد كينج.

- هل معه الأختان؟

- لا.

قابلا كينج في الردهة، وقد بدا وجهه أكثر شحوبًا من قبل. قال فولك:

- كيف جرى الأمر في القسم؟

هز الرقيب رأسه:

- تتلقيان بعض النصائح القانونية، لكن كلُّ منهما متمسكة بحكايتها.

تُصر بري على أنها وجدت أليس ميتة، فيما تقول بيث أنها لا تعرف أيَّ

شيء عن هذه الحكاية.

- وهل تصدقونهما؟

- لا يعلم ذلك إلا الله. وعلى أيِّ حال، إن محاولة إثبات أيِّ شيء ستكون

كابوسًا مقيمًا. سيأتي فريق الطب الشرعي من ملبورن، ويتوجه إلى

موقع الحدث الآن، لكنها ملقاة في المطر والرياح لأيام. وهناك الكثير

من الوحل والأوساخ، والقمامة في كل مكان من جسدها.

كارمن:

- أكان هناك أيُّ شيء يثير الاهتمام في حقيبتها؟

- مثل حزمة من السجلات المالية التي تخص بيلي تينانتس؟ (ابتسم كينج ابتسامة قاتمة) لا أظن ذلك، عذراً، لكن هنا... (وبحث في حقيبته، وأخرج ذاكرة تخزين) صور من موقع الحدث. يمكنكما أن تريا كل الصور، كما يمكنكما أن تسألا فريق الطب الشرعي عما يحلو لكما بمجرد وصولهم.

أخذ فولك ذاكرة التخزين:

- شكراً، أبحاثون في القبر الذي يقع بجانب الكوخ أيضاً.
تردد كينج:

- نعم، يبحاثون.

كانت كارمن تراقبه، فقالت:

- ماذا، ما الذي توصلوا إليه؟ هل أكدوا أنها جثة سارة؟

- ليست سارة.

- كيف تعرف؟

- لقد كانت جثة رجل.

حدّقا إليه. وقال فولك:

- مَنْ؟!!

- لقد تلقينا مكالمة منذ ساعة، هذا المجرم السابق في عصابة الدراجات

توصّل إلى اتفاق أسعده مع السلطات، ولقد أخبر محاميه أنه يعتقد أن

الجثة التي توجد في الحفرة هي جثة سام كوفاك نفسه.

تفاجأ فولك:

- سام كوفاك؟!!

- نعم، يقول الرجل إن العصابة قد دفعت ليتخلصوا منه منذ خمس

سنوات، إذ كان سام يحاول أن يدخل في المجموعة مستغلاً صلته

بوالده، لكن هذا الرجل كان يعتقد أن سام ليس في حالة عقلية متزنة

وغير مستقر، حتى يمكن الوثوق به، لذا عندما تلقوا عرضاً أفضل

استغلوا ذلك، ولم يَكُن البائعون مهتمين كيف يتم الأمر، ما دام أن الجثة

لن تظهر أبداً. لقد أرادوا أن يختفي سام فقط.

كارمن:

- ومن كان البائعون؟

نظر كينج من النافذة، فرأى الرياح تضرب الأشجار، لكنها للغرابة كانت لا تزال ساكنة.

- لقد تعرفوا إلى رجل متوسط العمر، لكن من الواضح أنهما زوجان كبار السن، وقد استعدا للدفع جيدًا، لكن الغريب أن هذا لم يكن دربهما!

عندما تطلع فولك إلى الاحتمالات في عقله، لم يجد إلا احتمالاً واحداً.

- لم يكونا والذي سارة سوندنبيرج؟

فهز كينج كتفيه:

- من المبكر جدًا الجزم بذلك، لكنني أعتقد أنه يمكن أن يكونا هما للوهلة

الأولى. مساكين! أعتقد أن عشرين عامًا من الحزن والشك يمكن أن

يفعلوا الكثير. (هز كينج رأسه) مارتن كوفاك اللعين! لقد خرب

المكان. كان من الممكن أن يمنح الزوجين بعض السلام، وربما كان

يمكن أن يتجنب بعض الصداق الذي يجلبه لنفسه. من يعرف؟ هل لدى

أي منكما أولاد؟

هز فولك رأسه، وهو يتخيل سارة سوندنبيرج، وصورتها التي طُبعت في

الجريدة، وهي تبتسم، ووالديها، وكيف مرت العشرون عامًا الأخيرة عليهما!

قال كينج:

- لدي طفلان، ولطالما شعرت بما شعر به أهل سارة. بيني وبينكما، إذا

كانا هما من فعلا ذلك، فلا يمكنني أن ألقى اللوم عليهما. (زفر) أظن

أني لا يمكنني أن أقلل ما يمكنني فعله من أجل أطفالتي أبدًا!

ومن مكان ما في الردهة، ارتفع نحيب مارجوت راسل مرة أخرى.

اليوم الرابع: صباح يوم الأحد

- أليس؟!!

قفزت أليس راسل مرتعدة، وضغطت أصابعها على الهاتف لتُنهي المكالمة، والتفتت إلى الصوت، وعيناها متسعتان من المفاجأة، عندما أدركت أنها ليست وحيدة على الطريق. أخذت نصف خطوة إلى الوراء.

- من الذي كنتِ تتحدثين إليه يا أليس؟

الفصل الثامن والعشرون

شعر فولك بالانكماش. ومن النظرة التي كانت ترسم على وجه كارمن، وهما في اتجاههما إلى غرفتيهما، تبدو أنها تشعر بالشعور نفسه. لقد هبت الرياح مرة أخرى، تحرق عينيه، وتنتزع ملابسه. عندما وصلا إلى غرفتيهما، توقفا، والتفت فولك، وفي يده ذاكرة التخزين الذي أعطاهما له الرقيب كينج. قال:

- أيجب علينا أن نستطلع الصور؟

- أعتقد أنه سيكون من الأفضل أن نفعل ذلك.

بدت كارمن متحمسة مثله. صور أليس راسل، وهي ملقاة في الغابة. لقد وجدها المفتشون أخيرًا، لكنهم وجدوها بالطريقة التي لم يتمناها أيُّ منهما. فتح فولك الباب، وترك حقيبته على الأرض، وراح يعبث بأغراضه حتى وجد اللاب توب. جلست كارمن على السرير، وشاهدت.

- ألا تزال خرائط أبيك معك؟

قالت كارمن، وهو يضع كومة الأوراق إلى تلك المنتشرة على السرير.

- نعم، لم يكن لديّ الوقت الكافي لأعيدها إلى مكانها في البيت.

- لا، ولا أنا أيضًا. أعتقد أننا سنعود إلى هناك قريبًا جدًا، ونعود إلى العمل مرة أخرى في المكتب. الآن وجدنا أليس، لكنهم لا يزالون يريدون العقود. (بدت كارمن محبطة) على أيِّ حال.. (تحركت لتُخلي بعض المسافة حتى يتسنى لفولك أن يفتح اللاب توب) لنرَ الصور.

أدخل فولك ذاكرة التخزين، وجلسا إلى جانب بعضهما، وهو يفتح معرض الصور. كانت حقيبة أليس تملأ الشاشة، وقد أخذت بعض الصور من مسافة تُظهر أن الحقيبة ملقاة على شجرة، وقد بدا شكلها غريبًا وسط بحر الألوان

الصامته من الأخضر والبنّي. وقد أكدت الصور انطباع فولك الأول الذي أخذه عندما كان في الغابة، إذ قد غرقت الحقيبة من ماء المطر، لكنها لم تهترئ أو تُفتح. كان هناك شيء مقلق بشأن الطريقة التي كانت ملقاة بها، وكأنها تنتظر مالكتها التي لن تأتي أبدًا. أخذ فولك وكارمن وقتهما ليحدثًا إلى صور الحقيبة من كل الزوايا، لكن انتهت الصور في النهاية.

لقد حمت الأشجار جثة أليس راسل من أسوأ ما في الطقس، لكن لا يزال هناك خسائر ناجمة عن ذلك. كانت مستلقية على ظهرها على فراش من العشب الأخضر، ورجلاها ممددة، وذراعاها جانبيها. لم تكن قد ابتعدت سوى عشرين مترًا عن الطريق، لكن من الصور كان من الواضح أنها مخفية عن الأنظار من جميع الجوانب، إلا لو نظرت إليها من قرب.

شعرها متشابك حول رأسها في حالة فوضى، وجلدها مترهل، وعظام وجنتيها متراخية. بخلاف ذلك، يمكنك إذا رأيته أن تقول إنها نائمة تقريبًا. وكانت الحيوانات والطيور قد اكتشفت جثتها مبكرًا جدًا قبل أن تصل إليها الشرطة. كان الدغل قد غمر أليس كالموجة، إذ تشبثت أوراق الشجر والأغصان وقطع القمامة بها، وبثنايا ملابسها. وقطعة بالية من البلاستيك يبدو أنها قطعت مسافة طويلة للوصول إلى هنا، كانت ملقاة تحت قدمها.

كان فولك على وشك أن ينتقل إلى الصورة التالية عندما توقف فجأة. ما الذي لاح لعينه؟ لقد مسح الصورة بعينه مرة أخرى. كان هناك شيء ما في الطريقة التي كانت أليس مستلقية بها، مبعثرة ومتناثرة مع الحطام. أزعجته فكرة ما وتجاهلها، لكنه كان يحاول الإمساك بها.

فكر فولك في المرأة التي كان عرفها هو وكارمن، إذ اختفى أحمر الشفاه وتعبيراتها الجريئة منذ فترة، وبدت كصدفة فارغة، وهي ملقاة على أرض الغابة. بدت هشة ووحيدة للغاية، وتمنى فولك ألا ترى مارجوت راسل هذه الصور أبدًا. حتى لو في حالة الموت، إذ كان التشابه بينها وبين أمها مذهلاً! مرًا عبر الصور الموجودة في ذاكرة التخزين حتى انتهت. لقد وصل إلى النهاية، وقالت كارمن بصوت هادئ:

- حسنًا، لقد كان ذلك سيئًا كما هو متوقع!

اهتزت النافذة، بينما تسترخي للخلف، ووقعت يدها على كومة الخرائط المنتشرة على السرير. التقطت أول خريطة، وفصّتها، وجرت عينها على الخطوط المطبوعة. بدت حزينة، وهي تقول:

- عليك أن تستخدم هذه الخرائط. على الأقل قد خرجت بشيء مفيد من كل هذا.

- نعم، أعرف.

بحث فولك عبر الخرائط حتى وجد خريطة ضاحية جيرالانج. بسط الخريطة أمامه، ونظر إلى طريق الشمال، فوجدها تتقاطع مع كتلة من الأدغال المتشابهة التي لا تحمل أيّ علامات في الخريطة. راح يبحث عن المنطقة التي كان يظن أن الكوخ يقع فيها، ثم وجدوا فيها جثة أليس راسل. لم يكن هناك أيّ علامة بالقلم في المنطقة بالكامل، ولا أيّ كلمات أو ملاحظات بخط يد والده. لم يكن فولك متأكدًا ما الذي يتوقعه، لكن أيًا ما كان ما يتوقعه، لم يكن فيما ينظر إليه. لم يأت والده إلى هذه المنطقة قط. حدّقت إليه الخطوط المطبوعة على الورق بلا مبالاة فارغة.

تنهد وقلب الصفحة حتى وجد طريق شلالات ميرور. كانت الملاحظات التي تركها والده بالقلم واضحة بخط يده، صعبة القراءة عبر الصفحة الصفراء: «المسار الصيفي». «احذر الصخور». «مصدر للمياه العذبة». لقد شطب والده على ذلك، وأعاد الكتابة عدة مرات. وقد وضع علامة على نقطة المراقبة تشير إلى أنها مغلقة، ثم مفتوحة، ثم شطبها، وكتب هذه الكلمات بحروف كبيرة: «خطر متكرر!». حدّق فولك إلى الكلمات لفترة طويلة، وهو لا يعرف ما أصابه، لكن شيئًا ما لمع فجأة في أعماق وعيه. كان على وشك أن يصل للابتوب عندما نظرت كارمن إليه. قالت، وهي تمسك الخريطة:

- لقد أحب المنطقة، هناك الكثير من العلامات على هذه الخريطة.

عرف فولك اسم المنطقة فورًا:

- هنا حيث ترعرعت.

- حقًا؟ عجبًا! لم تكن تمزح، إنها مهجورة في المنتصف. (نظرت كارمن أقرب قليلاً) إذن، أكنتما تخوضان الكثير من هذه الرحلات قبل أن تنتقلا؟

هز فولك رأسه:

- ليس هذا ما أتذكره، ولست متأكدًا أنه كان يخلو لنفسه في مثل هذه الرحلات. لقد كان مشغولًا للغاية في المزرعة، وبالكاد كان يحصل على بعض الراحة.

- وفقًا لهذه الخريطة يبدو أنك خُضت رحلة، على الأقل لمرة واحدة.

أرته كارمن الخريطة، وهي تشير بإصبعها إلى شيء مكتوب بخط يد إريك فولك: «رفقة آرون». كانت الكلمات مكتوبة بجانب «مسار صيفي». لم يكن فولك قد سار المسافة كلها قط، لكنه كان يعرف إلى أين تُفضي؛ إذ كانت تُفضي إلى حدود المزارع، حيث اعتاد أن يركض، ويخرج طاقته، فيما كان والده يعمل في المزرعة، بالقرب من منطقة النهر، حيث اعتاد أبوه أن يعلمه كيف يصطاد على طول خط السياج، حيث كان آرون الذي يبلغ من العمر ثلاث سنوات يحظى بيومٍ صيفيٍّ من المرح والتصوير، واللعب على كتف أبيه.

- رفقة آرون.

- لم نفعل ذلك!.. (بدت عينا فولك حمراوين وثقيلتين) لم نسر معًا في هذه الطريق قط، ولا حتى مرة واحدة!

- حسنًا، ربما أراد ذلك، وربما أراد أن يفعل معك أشياء أخرى.

نظرت كارمن إلى كومة الخرائط. ثم مرّرت له عددًا منها، وأشارت إلى العلامات. هناك الكثير منها في كل خريطة، في كل خريطة تقريبًا، وبخط يد إريك فولك الذي تقادم عهده، وصار مهترًا بفعل الزمن، كانت الكلمات المكتوبة: «رفقة آرون». «رفقة آرون». كان أبوه الذي يبدو متعنتًا طوال الوقت، توحى الكلمات التي كتبها بشيء مختلف تمامًا. استلقى فولك على الوسادة، وأدرك أن كارمن كانت تراقبه، فهز رأسه:

- أعتقد أنه من الممكن أن يكون لديه مشكلة في الكلام!

مدت يدها إليه، ووضعته عليه:

- آرون، لا بأس، أنا واثقة أنه كان يعرف.

ابتلع فولك ريقه:

- لا أعتقد أنه يعرف.

ابتسمت كارمن:

- بل يعرف. بالطبع يعرف أنك تحبه. إن الآباء وأطفالهم مشدودون بحبل الحب. كان يعرف ذلك.

نظر فولك إلى الخرائط:

- لقد فعل أكثر مني ليُظهر لي ذلك.

- حسنًا، ربما، لكنك لست وحدك من فعلت ذلك. أظن أن الآباء غالبًا ما يحبون أولادهم أكثر مما يفعل الأولاد.

- ربما..

فكر فولك في والدَي سارة سوندنبيرج، وما تكبدها من أجل الوصول إلى ابنتهما. وما فكر فيه كينج: «لا أقلل ما قد يفعله الآباء من أجل أطفالهم أبدًا!». وقد خطر على بال فولك شيء آخر. رمش فولك. ما الذي خطر على باله؟ حتى وهو يحاول أن يمسك بالفكرة تتهرب منه وتتبخر. كان اللابتوب لا يزال مفتوحًا بجانب كارمن، ولا يزال معرض الصور مفتوحًا.

- لأنظر إلى الصور مجددًا.

أخذ فولك اللابتوب، ونظر إلى صور أليس راسل، نظر من كُتب هذه المرة. شيء أزعجه عندما نظر إلى التفاصيل الصغيرة، لكنه لم يعرف ما هو. نظر إلى بشرتها الشاحبة، والطريقة التي كانت تغلق بها فكها، واكتشف أن وجهها كان مرتاحًا تقريبًا، وكانت تبدو أصغر بطريقة غريبة. بالخارج كانت الرياح قد عوت فجأة، وبدا صوتها كصوت نحيب مارجوت راسل.

ظل ينظر إلى أظفار أليس المكسورة، ويدها المتسخة، وشعرها المتشابك، والحطام، والقمامة التي تتناثر حولها. ومع نظرة أخرى، توقف فولك عند الصورة الأخيرة، ومال مقتربًا. كان هناك عبوة من البلاستيك المهترئ تحت قدمها. كانت البقايا المزقة للطعام ملقاة بجانب شعرها، فكبر الصورة. خيط مقطوع من اللونين؛ الأحمر والفضي في سحابة سُترتها.

ومضت في رأسه فكرة عندما نظر إلى الخيط المقطوع. وفجأة لم يعد يفكر في أليس أو مارجوت راسل، لكنه كان يفكر في فتاة أخرى، هشة للغاية، كما ظهرت عندما رآها من قبل، وتعبت باستمرار بخيط فضي وأحمر في يدها؛ خيط معلقٍ بسحابة سُترتها، ومعصمٍ عارٍ، ونظرة ساكنة في عيني الفتاة ذات الوجنتين المجوفتين، وتلك النظرة الودیعة على مُحيا أمها.

اليوم الرابع: صباح يوم الأحد

- أليس! (نظرت لورين إلى رفيقتها) من الذي كنتِ تتحدثين إليه؟
- هل التقطتِ أيّ إشارة؟ هل تحدثتِ إلى أيّ شخص؟
- مدت لورين يدها لتصل إلى الهاتف، فأبعدت أليس يدها.
- كانت الإشارة ضعيفة للغاية، ولا أعتقد أنهم سمعوني.
- مدت لورين يدها مرة أخرى:
- اتصلي بالنجدة.
- ارتدت أليس خطوة للوراء:
- لقد فعلت، وقد واصل الهاتف انقطاع الإشارة.
- اللعنة! إذن، من الذي كنتِ تتحدثين إليه؟
- إنه بريد صوتي. ولا أعتقد أنه قد وصل!
- لكن من الذي كنتِ تتحدثين إليه؟
- لم يكن أحداً. شيء يخص مارجوت.
- ظلت لورين تنظر إليها حتى واجهتها أليس.
- ماذا؟! لقد أخبرتك، حاولت الاتصال بالنجدة بالفعل.
- ليست لدينا إشارة، ولدينا القليل من الطاقة في البطارية، وعلينا الحفاظ عليها!
- أعرف ذلك، لكن الأمر كان مهماً!
- صدّقي أو لا تُصدّقي، لكن هناك أشياء كثيرة أكثر أهمية من ابنتك اللعينة!
- لم تُقل أليس شيئاً، لكنها حملت الهاتف بشكل أوثق.
- حسناً. (أجبرت لورين نفسها على التقاط أنفاسها) كيف أخذتِ الهاتف دون أن توقظي جيل على أيّ حال؟!
- كانت أليس على وشك أن تضحك:
- هذه المرأة نامت في ظل عاصفة رعدية أمس. من الصعب أن تستيقظ، لأن سترتها تحركت من جانبها.

بدا أن لورين صدّقت هذا، إذ بدت جيل تنام أفضل من أيّ واحدة فيهن. ثم نظرت إلى يد أليس الأخرى:

- ولقد انتزعتِ كشاف بيت أيضاً!

- كنت في حاجة إليه.

- لقد كان الوحيد الذي يعمل.

- لهذا كنت في حاجة إليه!

لكن أليس لم تنظر إلى عينيها. كان شعاع الكشاف يضيء جزءاً من العتمة. وبقية الطريق في ظلام دامس. كان بوسع لورين أن ترى حقيبة أليس ملقاة على صخرة، ومستعدة للمغادرة، فالتقطت نفساً آخر، وقالت:

- استمعي إليّ، علينا أن نوقظ الأخرى، وسيعرفن أنكِ التقطتِ إشارة على الهاتف، لكنني لن أخبرهن أنكِ كنتِ في طريقك للمغادرة.

لم تقل أليس شيئاً، لكنها دسّت هاتفها في جيب سترتها.

- أليس، يا إلهي! ما زلتِ تفكرين في المغادرة؟!

مالت أليس، وأحضرت حقيبتها، وحملتها على كتفها، فشدتها لورين من ذراعها.

- دعيني أذهب!

شدت أليس ذراعها.

- لن تكون الطريق آمنة وحدك، كما أن الهاتف التقط إشارة الآن، وهذا سيساعدهم في العثور علينا.

- لن يساعدهم في شيء، الإشارة ضعيفة للغاية!

- لهذا فائدته يا أليس، هذه أفضل فرصة عثرنا عليها منذ أيام.

- أخفضي صوتك! هلاً فعلتِ؟ انظري، لا أستطيع الانتظار حتى نجدونا!

- لمّ لا؟

لم تجد إجابة.

- بالله عليك. (حاولت لورين أن تهدئ من روعها، إذ كان باستطاعتها أن

تشعر بارتفاع نبض قلبها) كيف ستمكنين من فعل هذا؟!

- سأسير إلى الشمال، كما كان ينبغي لنا أن نفعل اليوم. وأنتِ تعرفين أن

هذا الحل سيفلح يا لورين، لكنك لم تعترفي بهذا، لأنكِ ستُقدِّمين على

المحاولة إذا اعترفتِ بذلك!

- لا، لم أود فعل هذا، لأنه غير آمن. خاصةً إذا كنتِ وحدك. ستسيرين بعشوائية. لن يكون معكِ بوصلة حتى!

كان بوسع لورين أن تشعر بالقرص البلاستيكيّ في جيبها.

- إذا كنتِ مهتمة بي يمكنك أن تعطيني إياها.

- لا. (شدت لورين قبضتها على البوصلة) مستحيل!

- وحتى لو لم تعطيني إياها، على أيّ حال.. نحن نعلم أن هذه الطريق

تتجه للشمال، ويمكنني الخروج منها إذا اضطررت إلى ذلك. لقد فعلت

ذلك عندما كنت في ماكليستر.

ماكليستر اللعين! شعرت لورين بصدرها يضيق، ودمها يغلي سريعاً،

وهي تذكر اسم ماكليستر. منذ ثلاثين عاماً، تقفان بجانب بعضهما بعضاً

وسط مكان مجهول، كما تقفان الآن، إذ خاضتا معاً تحدي الثقة. لورين تائهة

وحزينة ومعصوبة العينين، لكنها تشعر بالارتياح التام بأن يد أليس على

ذراعها، والارتياح بالثقة الذي يبدو في صوتها.

- لقد وجدتك. من هذه الطريق.

- شكرًا.

كانت أليس تقود الطريق، ولورين تتبعها. صوت وقع أقدام حولها. ثم

صوت ضحكات. وصوت أليس في أذنها مجددًا، وتحذير هامس: «احذري!».

تركتها اليد المرشدة التي كانت تأخذ بيدها فجأةً بحركة خفيفة كالهواء،

واختفت وكأنها لم تكن. مدت لورين يدها، وهي مرتبكة، فاصطدمت قدمها

بشيء أمامها مباشرة، وشعرت بالشعور المقزز أنها تضع قدمها في الفراغ.

وكان الصوت الوحيد هو الصوت البعيد للضحكات المكتومة.

انكسر معصمها مع السقوط، لكنها كانت سعيدة. وعندما رفعت العصابة

عن عينيها وجدت نفسها وحيدة تمامًا، لا يحيطها إلا أدغال كثيفة وظلام

دامس، لذلك كان لديها عذر للدموع التي في عينيها، لم يكن ذلك هو المهم،

بل لقد مر أربع ساعات قبل أن تأتي إليها الفتيات الأخريات، وعندما جئن

أخيرًا، كانت أليس تضحك:

- لقد أخبرتك أن تحذري!

الفصل التاسع والعشرون

حدَّق فولك إلى الخيط ذي اللونين؛ الأحمر والفضي، الذي علق بسحابة سُترة أليس، ثم أدار الشاشة لكارمن، فرمشت.

- اللعنة!

عبثت بيدها في جيب سُترتها، وقبل أن يقول كلمة واحدة أخرجت كارمن سوار الصداقة التي كانت ربييكا تنسجه، وقد كان الخيط الفضي يلمع في الضوء.

- أعرف أن لورين قالت إنها فقدت السوار، لكن هل كان من المؤكد أنها ترتديه هناك؟

مسك فولك سُترته، وبحث في جيبه حتى وجد النشرة التي كانت موضوعة على طاولة مكتب الاستقبال عن أليس المفقودة. أخرجها، وتجاهل ابتسامة أليس، وركز بدلاً من ذلك على آخر صورة التُقطت للنساء الخمس معاً. كُنَّ يقفن على مدخل طريق شلالات ميرور. كانت ذراع أليس حول وسط لورين. أليس تبتسم، وذراع لورين كانت ملفوفة حول كتفَي أليس، محلقة على كتفها، وإن لم تَكُن تستقر عليهما.

فكر فولك، وهو يقترب من الصورة. على حافة كُم سُترة لورين، كان هناك شريط واضح من اللون الأحمر يحيط بمعصمها. كانت كارمن قد وصلت إلى هاتف الغرفة لتتصل بالرقيب كينج. استمعت للحظة ثم هزت رأسها، وقالت: «لم يُجب!». اتصلت بالاستقبال. كان فولك قد وضع سُترته عليه عندما كانت كارمن تتفقد رقم الغرفة، ودون كلمة ذهباً للخارج، وسارا طوال الطريق إلى مجمع المساكن مرة أخرى. كانت شمس الظهرية المتأخرة تسدل ستارها خلف الأشجار، والظلام في طريقه ليُعَمَّ المكان من الشرق. وصلا إلى غرفة لورين، فنقر فولك على الباب، وانتظرا، لم يجدا إجابة. نقر مجدداً، ثم جرب

أن يمسك بمقبض الباب، فانفتح الباب بسلاسة. كانت الغرفة خالية، فنظر إلى كارمن، قالت:

- ربما تكون في الردهة؟

تردد فولك، وهو ينظر إليها. كانت بداية طريق شلالات ميروور فارغة، وبالكاد يمكن رؤية اللافتة الخشبية في ظل الظلام المتصاعد. نظرت كارمن إلى ما كان ينظر إليه، وفهمت ما يفكر فيه على الفور، فجاءها خاطر.

- اذهب لتتفقد هذا، وأنا سأجد الرقيب كينج، وأتبعك.

- حسنًا.

انطلق فولك بخطى سريعة، ثم انحشر على ممر الحصى، ثم أبطأ قليلاً عندما وصل إلى طريق موحلة. لقد كان الوحيد في المكان، لكنه كان بوسعه أن يرى آثار أقدام تحت حذائه، فدخل الطريق. هل كان على حق؟ لا يعرف. ثم فكر في الفتاة النحيلة، وفي الخيط الأحمر، وفي يدها ذات المعصم العاري.

«لا أقلل ما قد يفعله الآباء من أجل أطفالهم أبدًا!».

تسارعت خطى فولك أكثر وأكثر، حتى راح مع هدير شلالات ميروور التي يتصاعد صوتها في أذنه، يجري في أقصى سرعة له.

اليوم الرابع: صباح يوم الأحد

- سأتمكن من العثور على الطريق. لقد فعلت ذلك عندما كنت في
ماكليستر.

نظرت لورين إلى أليس:

- لقد فعلت الكثير من الأشياء في ماكليستر.

- أوه! يا إلهي! لورين، لقد اعتذرت عما اقترفته في ذلك الوقت.. مئات
المرات. (استدارت أليس) انظري، أنا آسفة، لكن يجب أن أذهب.

مدت لورين يدها تحاول أن تمسك بسُترة أليس هذه المرة.

- لن تغادري والهاتف معك!

- بل ومعى الهاتف.

دفعتها أليس بعيدًا، فتراجعت لورين قليلاً. بدت الظلال الطويلة المحيطة

بها، وكأنها تتأرجح، وشعرت برعشة من الغضب عندما استدارت أليس.

- لا تغادري!

- بالله عليك!

لم تلتفت أليس هذه المرة، فاندفعت لورين نحوها مجددًا، وهي تشعر

بأن قدميها لا تحملانها. وصلت يداها إلى حقيبة أليس، فمسكتها من ظهرها:

- لا تتركينا!

- يا إلهي! لا تكوني مثيرة للشفقة!

- أنت! (شعرت لورين بشيء يتنامى، ويشتعل بصدرها) لا تتحدثي إليّ

بهذه الطريقة!

- حسنًا. (ثم لوّحت أليس بيدها) انظري، تعالي إذا أردت، أو ابقني، أو

غادري عندما تدركين في النهاية أنه لن يأتي أحد لنجدتك! لا أهتم، لكن

يجب أن أذهب!

حاولت أن تغادر، لكن هذه المرة قبضت لورين على يدها.

- اتركيني! (كانت يدها تؤلمها، لأن لورين تتمدك بها بقوة، وشعرت بالقليل من الدوار) لمرة واحدة يا أليس، فكري في أي شخص آخر غير نفسك!

- أنا أفعل ذلك! عليّ العودة من أجل مارجوت. انظري، لقد حدث لها شيء خطير، و...

- والعياذ بالله من كل ما يزعج الأميرة مارجوت! (قاطعتها لورين، وسمعت نفسها تضحك. بدا ذلك غريباً في الليل) لا أعلم إلى أيهما تتمركزين حول ذاتك أكثر! أنت أم هي؟! عذراً!

- لا تتظاهري بأنك لا تعرفين ما أعنيه! إنها سيئة الأخلاق مثلك! تتظاهرين كم أنت أسفة لما اقترفته عندما كنت في المدرسة - لكن ما أنت عليه الآن!-، لكنك تربيين ابنة تتصرف مثلك. تريدونها أن تسير في أعقابك؟ لقد حققت ذلك!

ابتسمت أليس ابتسامة باردة:

- حقاً؟ حسناً، لورين ستعرفين كل شيء في حينه. مرت فترة صمت.

- ما الذي...؟! (فتحت لورين فمها، لكن الكلمات تبخرت)

- انسي الأمر.. فقط... (أخفضت أليس صوتها) فقط أخرجي مارجوت من هذا الموضوع، فهي لم تفعل ما يشينها! ألم تفعل؟! لم تزد أليس. نظرت لورين إليها:

- تعرفين أنها كانت متورطة في الأمر يا أليس!

- أيُّ أمر؟! تلك المشكلة التي حدثت مع ربيكا؟ لقد عرفنا كل شيء عن هذه المشكلة، ولقد حققت المدرسة في الأمر، وأنت تعرفين ذلك، وقد أوقفوا الفتيات المسؤولات عن ذلك!

- لقد أوقفوا الفتيات التي استطاعوا إثبات شيء عليهن. تعتقدين أنني لا أعرف أن كلهن في شلّة مارجوت؟ لقد كانت متورطة بلا جدال، بل يمكن أن تكون هي المخططة لذلك كله!

- إذا كان ذلك صحيحًا، كانت المدرسة ستقول ذلك!
- حقًا؟ هل سيفعلون؟ كم من المبالغ الإضافية التي تبرعت بها للمدرسة هذا العام يا أليس؟ وكم تكلفت من المال لتغض إدارة المدرسة الطرف عن مارجوت؟!

لم تجدِ إجابة، لكن سمعتا حفيف الأشجار.

- نعم، ظننت ذلك. (كانت لورين ترتجف بشدة، لدرجة أنها بالكاد كانت تستطيع أن تتنفس).

- أنتِ، لقد بذلت أقصى ما في وسعي لمساعدتك يا لورين، ألم أرشحك لهذه الوظيفة في المقام الأول؟ ألم أعطك مئات المرات مؤخرًا، عندما كنت متشتتة في البيت؟!

- لأنكِ تشعرين بالذنب!

- لأننا أصدقاء!

نظرت لورين لها:

- لا، لسنا كذلك!

لم تقل أليس شيئًا لدقيقة.

- حسنًا، انظري، نحن غاضبتان للغاية، ولقد مررنا بأيام صعبة جدًا، وأعلم تمام العلم كيف كانت ريببكا تمر بالعديد من الصعوبات. كنتما تمران بالعديد من الصعوبات.

- أنتِ لا تعلمين شيئًا! لا يمكنك أن تتخيلي كيف كان الأمر!

- لورين، يمكنني ذلك. (كانت عينا أليس تلمعان على ضوء القمر، ابتلعت ريقها وقالت) انظري، من الواضح أن هناك بعض الصور التي انتشرت لمارجوت و..

- وماذا؟!

- من أجل ذلك عليّ العودة.

- وتتوقعين مني أن أحرص على صور ابنتك، في حين لم تحرص هي على نشر صور ابنتي؟!

- يا إلهي يا لورين! أرجوك.. ابنتك كانت بائسة للغاية قبل وقت طويل
للعناية من انتشار أيّ من هذه الصور..

- لا، لم تكن كذلك!..!

- لقد كانت كذلك! من المؤكد أنها كانت كذلك! (ارتفع صوت أليس فجأةً)
تريدين شخصًا لإلقاء اللوم عليه فيما يخص مشكلات ريبيكا، لماذا لا
تلقين نظرة جديّة على نفسك؟ جديّة.. أنتِ بكل صراحة، لا تستطيعين
أن تري من أين أخذت كل هذا؟!!

كان بوسع لورين أن تشعر باندفاع الدم في أذنها. كانت أليس تقف قربها،
لكن كلماتها كانت بعيدة وواهنة.

- أليس كذلك؟ (كانت أليس تحدّق إليها) أنتِ في حاجة إلى شخص
يمنحك دليلًا على ذلك؟ وماذا عن ستة عشر عامًا، وهي تراك وأنتِ
تحصلين على معاملة سيئة؟! وماذا وهي ترى كل الناس يهينونك؟!
لم تكوني سعيدة مع نفسك. تفقدين الوزن، ثم تكتسبينه مرة أخرى!
أراهن أنك لم تُعلميها لمرة واحدة أن تقف في وجه أيّ شخص في
حياتها. وتتساءلين لماذا تحصلين على الدوام على معاملة قاسية؟ لقد
طلبتّها منذ كنت في المدرسة، ولا تزالين تنالينها حتى الآن. كان يمكننا
جميعًا أن نخرج من هنا بمساعدتك، لكنك كنت خائفة من أن تثقي
بنفسك!

- لم أكن خائفة!

- كنتِ خائفة. أنتِ ضيقة الأفق!

- لستُ كذلك!

- وإذا لم يكن بوسعك أن تري الضرر الذي ألحقته بهذه الفتاة، فأنتِ
أسوأ أم أكثر مما اعتقدت بكثير، وبصراحة، أنا أظن بالفعل أنك في
حالة فوضى تامة!

كان رأس لورين يدق بقوة، لدرجة أنها كانت بالكاد تستطيع أن تقول
شيئًا.

- لا يا أليس، لقد تغيرت. أنتِ من ظلت على حالها. كنتِ عاهرة في
المدرسة، ولقد صرتِ أسوأ من ذلك الآن!

- تخادعين نفسك. لم تتغيري. أنتِ كما كنتِ. ليس في طبيعتك التغير!
 - كما أن ربييكا لم تكُن.. (تصاعد إحساسها بالذنب سريعاً في حلقها،
 لدرجة أنها على وشك أن تختنق. ابتلعت لعابها) إن مشكلاتها معقدة!
 سخرت أليس:

- وكم تدفعين إلى معالجك النفسي حتى يجعلك تصدقين ذلك؟
 مشكلاتها ليست معقدة، بل إن هذه هي الحياة، أليس كذلك؟ أتعقدين
 أنني لم أدرك أن ابنتي يمكن أن تكون عاهرة ماكرة صغيرة، وعدوانية
 ومتلعبة، وكل ما يمكن أن يخطر على بالك؟ لست عمياء، يمكنني أن
 أرى ما هي عليه.

مالت أليس، وكانت وجنتاها محمرتين. كانت تتعرق على الرغم من البرد،
 وقد علقت كتلة من شعرها بجبهتها، وقد امتلأت عيناها بالدموع.

- والله يعلم أنها قد فعلت بعض الأشياء المشينة، لكن يمكنني الاعتراف
 بذلك على الأقل. يمكنني أن أرفع يدي، وأتحمل جزءاً من مسؤوليتي
 عن ذلك، لكنك تريدين أن تُضيّعي آلاف الدولارات لمحاولة العثور على
 سبب يجعل ابنتك مريضة وجائعة وحزينة يا لورين؟! (كان وجهها
 مقتربين للغاية، ونفسهما يتداخل مع بعضهما بعضاً) ادخري أموالك
 لشراء مرآة. لقد صنعتِ ابنتك. تعتقدين أن ابنتي مثلي؟ ابنتك نسخة
 منك!

الفصل الثلاثون

كانت الطريق زلقة ومبلّلة تحت قدمه، وهو يجري بأسرع ما يستطيع، كان صدره يرتفع ويهبط، فيما كانت أغصان الشجر تحاوطه، تحاول الإمساك به، مع اقتراب الصوت المدوي لاندفاع المياه، وانطلاقته بجانب صف الأشجار لاهتًا، والعرق يبرد، ويتدلى على جسده. كان شلال المياه يتدفق إلى الأسفل، فأجبر نفسه على التوقف لينظر كما ينبغي. أنفاسه تتحشرج، وهو يدقق النظر في الضوء الساقط؛ لا شيء. زاوية النظر من الشلال لم تكن تؤدي إلى شيء. كان يخطر، وهو يلهث. همس صوت في أذنه أنه كان خاطئًا، أو جاء قبل فوات الأوان. أخذ خطوة على الجسر، ثم خطوة أخرى، ثم توقف.

كانت جاثمة على الصخرة البارزة أعلى طريق شلالات ميور، بحيث لا يراها أحد تقريبًا، لأن الصخرة تغطيها. قدمها متدلية من الحافة، ورأسها مطأطأ لأسفل، وهي تحدّق إلى شلال المياه البيضاء، وهو يسقط على البركة في الأسفل.

كانت لورين جالسة، حزينة ومرتعدة، ووحيدة للغاية.

اليوم الرابع: صباح يوم الأحد

«ابنتك نسخة منك!»، كانت الكلمات لا يزال يتردد صداها في الليل عندما صدمت لورين محدثتها. ولقد فاجأت هذه الحركة لورين نفسها؛ إذ اصطدمت بجسد لورين ووقعتا، وراحت أيديهما تخدشان وتتخبطان. وشعرت لورين بوخز من الألم، إذ انغرزت أظفار في معصمها الأيمن.

«يا عاهرة!»، شعرت لورين بطلقها ساخناً وضيقاً، وصوتها مكتوماً، بينما تستديران وتسقطان في وقت واحد، محطمتين صخرة على جانب الطريق. صفعتها أليس صفقة تردد صداها في الهواء، فشعرت لورين أن الهواء خرج عنوة من رئتيها، وهي تصطمم بالأرض. كانت تلهث وتتدحرج، وتشعر بالوخز الذي يسببه حصى الطريق في ظهرها، ونبض قلبها يتردد صداها في أذنها. بجانبها، كانت أليس تتأوه بصوت خفيض. كانت ذراعها على لورين، وكانت مستلقية بالقرب منها، حتى كان بوسعها أن تشعر بالحرارة تنبعث من ملابسها، وحقيبتها ملقاة بجانبها.

- ابتعدي عني (دفعتها لورين بعيداً) أنتِ مليئة بالتفاهات!

لم تزد أليس، بل استلقت مُرخيةً أطرافها. جلست لورين بشكل مستقيم، وحاولت أن تتنفس بعمق. كان دفعة الأدرينالين قد انخفضت، وتركتها مهزوزة، وتشعر بالبرد. نظرت إلى الأسفل، كانت أليس لا تزال مستلقية على ظهرها، تحدق إلى السماء، وجفونها ترتعد، وشفتاها تفترقان عن بعضهما بعضاً. «أنت أليس مجدداً!»، وهي ترفع إحدى يديها أسفل رأسها. نظرت لورين إلى الصخرة على الطريق.

- ماذا؟ أضربتِ رأسك؟!

لم تزد، بل رمشت أليس، عيناها تنغلقان، وتنفتحان ببطء، ويدها على رأسها.

- اللعنة!

كانت لورين لا تزال تشعر بالغضب، لكنه كان قد انخفض الآن، وشابه مسحة من الندم. ربما كانت أليس قد تجاوزت حدودها، لكن لورين فعلت ذلك أيضًا، ولقد كُنَّ جميعًا متعبات وجائعات، فأدى ذلك إلى أن ينفجرن غضبًا.

- هل أنتِ بخير؟ دعيني...

وقفت لورين، ووضعت يدها تحت إبْطِي أليس، ووضعتها في وضع الجلوس. أسندت ظهرها إلى الصخرة، ووضعت حقيبتها بجانبها. كانت أليس ترمش ببطء، عيناها مرتختتان، ويدها ملقيتان على فخذيهما، وتحَدِّقُ إلى اللاشيء. تفقدت لورين مؤخرة رأسها، فلم تجد دَمًا.

- أنتِ بخير. لا تنزفين، من المرجح أنكِ أصبتِ بدوار فقط. أمهلي نفسك دقيقة فقط.

لم تجدِ ردًا. وضعت لورين يدها على صدر أليس، فشعرت بصعود وهبوط صدرها، كما كانت تفعل مع ربيكا عندما كانت طفلة، إذ كانت تقف أمام سريرها في ظلام الساعات الأولى، مدفوعةً بحبها لابنتها، ومرتجفة تحت وطأة المسؤولية. «هل ما زلتِ تتنفسين؟ هل ما زلتِ معي؟». والآن، بينما لا تزال لورين تضع يدها على صدر أليس، شعرت ببطء في صعود وهبوط صدرها تحت يدها، بل كانت زفرة الارتياح مسموعة.

- يا إلهي يا أليس! (وقفت لورين، وأخذت خطوة للوراء) والآن ماذا؟! شعرت فجأة أنها كانت وحيدة وخائفة للغاية. كانت منهكة من كل شيء، وشعرت بعدم القدرة على القتال.

- انظري، افعلي ما تريدين يا أليس، لن أوقظ الأخريات، ولن أخبرهن أنني رأيتك إذا لم يكن في بالك أن تخبريهن.. (توقفت) لقد فقدت أعصابي هنا للحظة!

لم تجدِ ردًا. حدقت أليس إلى الأرض أمامها بأعين نصف مفتوحة. رمشت لمرة، وارتفع صدرها، ثم هبط ببطء.

- سأعود للكوخ الآن. عليك أن تفعلي ذلك. لا تغادري. تحركت شفتا أليس بنسبة بسيطة، وقد أصدرت ضجيجًا بسيطًا من مؤخرة حلقها. وبدافع الفضول، اقتربت لورين منها، فسمعت ضجيجًا

بسيطًا، كان أشبه بالتأوه، لكن مع صوت الرياح التي تضرب الأشجار عرفت لورين ما تحاول أليس أن تقوله. والتفتت:

- لا بأس يا أليس. أنا آسفة أيضًا!

تتذكر لورين بالكاد أنها عادت إلى الكوخ. وبالداخل، كانت ثلاثة أجساد لا تزال مستلقية على الأرض، تتنفس ببطء. وجدت لورين منامتها، فقفزت بداخلها. كانت ترتجف، وبينما كانت مستلقية على الأرضية، بدا كل شيء يدور بها. شعور مؤلم يضغط بقسوة على صدرها. ظنت لورين أن ذلك الشعور لم يكن الشعور بالغضب، ولا الحزن، بل كان شيئًا آخر؛ الشعور بالذنب. كان ظهور الكلمة أمامها قد جعلها تشعر بالمرارة في حلقها، لكنها تجاهلت الكلمة تمامًا.

كانت عيناها على اتساعهما، وكانت مرهقة للغاية. أصاحت السمع إلى أطول فترة ممكنة، لكن لم يكن هناك صوت لأليس، وهي تزحف نحوها. وفي النهاية، من أثر التعب، نامت، لكنها أدركت شيئين عندما كانت على وشك النوم؛ الأول: أنها قد غفلت عن الهاتف، والثاني: أن معصمها الأيمن كان عاريًا، وأن سوار الصداقة الذي كانت ابنتها قد منحته إياها قد ضاع.

الفصل الحادي والثلاثون

قفز فولك من فوق السياج الذي يطوق الطريق، ويُفضي إلى السطح الصخريّ. كانت الأرضية زلقة كالثلج تحت قدمه. ولقد ارتكب خطأ النظر إلى الأسفل، فوجد نفسه يصاب بالدوار، والصخرة ترتج تحته. تمسك بالسياج، وحاول أن يركز على خط الأفق حتى يمر إحساس الدوار. كان من الصعب معرفة أين التقت الأرض بالسماء، حيث اصطدمت رؤوس الأشجار بالسماء، فنزفت دمًا. صاح فولك بأقصى ما يستطيع وسط هدير الشلالات:

- لورين!

جفلت عند سماع صوتها، لكنها لم ترفع عينيها. كانت ترتدي فقط بلوزة وسروالًا بأكمام طويلة ونحيلة، كما كانت ترتدي في وقت سابق. لم تكن ترتدي سُترة. وشعرها مبتلٌ من أثر المثلث، وملتصقٌ برأسها، حتى في ظل تصاعد الظلام من حولها كان وجهها لا يزال به مسحة زرقاء. تساءل فولك منذ متى وهي جالسة هكذا، متجمدة ومبتلّة! يمكن أن يكون قد مر على ذلك أكثر من ساعة. كان قلقًا من أنها يمكن أن تسقط من الإعياء.

نظر إلى الطريق في الخلف غير واثق ما الذي يمكن أن يفعله. كانت الطريق لا تزال فارغة. كانت لورين قريبة للغاية من الحافة، مما جعله يشعر بالدوار عندما ينظر إليها. التقط أنفاسه، وبدأ يشق طريقه عبر الصخور. على الأقل كانت السحب صافية الآن. وفي الغسق، كان الضوء الشاحب للقمَر الصاعد يلقي القليل من الضوء. صاح مجددًا:

- لورين.

- لا تقترب أكثر!

توقف وخاطر بالنظر إلى أسفل. كان بوسعُه أن يرى ما بالأسفل فقط من سماع صوت ارتطام المياه بالبركة أسفلها. حاول أن يتذكر ما قاله إيان

تشيس في اليوم الأول: «إن الهبوط يُقدَّر بخمسين مترًا للأسفل». وماذا قال تشيس أيضًا؟ «لم يكن السقوط هو ما يقتل الناس، بل هي الصدمة والبرد». وكانت لورين تجلس مرتجفة بشدة بالفعل. قال:

- اسمعي، الجو بارد للغاية هنا، سألقي لك بسُترتي، اتفقنا؟

لم تُبِد رد فعل، ثم أومأت بخفة، وقد فهم فولك ذلك على أنه علامة جيدة. «هاك»، حلَّ فولك سحابة سُترته وخلعها، وبقي بكنزته الداخلية فقط. تناثر رذاذ الماء من الشلالات فورًا على كنزته المكشوفة، وفي خلال لحظات كانت مبتلّة. ألقى بسُترته إلى لورين. كانت رمية جيدة، فسقطت السُترة بجانبها. جذب هذا نظرها بعيدًا عن المياه، لكنها لم تتحرك لتأخذ السُترة.

- هل ماتت أليس بالفعل؟ (كان من الصعب سماع كلماتها، بسبب المياه الساقطة).

- لقد ماتت. آسف لذلك!

- في الصباح عندما عدتُ في الطريق، وسمعنا أنها ماتت، اعتقدت.. (كانت لورين لا تزال ترتجف بشدة، وتكافح من أجل أن تلتفظ بكلماتها) اعتقدت أنها ستنجو!

مكتبة
t.me/soramnqraa

اليوم الرابع: صباح يوم الأحد

لم تكن بري متأكدة ما الذي أيقظها، لكنها فتحت عينيها، واستقبلت البرد الذي يأتي مع أول خيط من الفجر. كان الضوء الذي يمر عبر نوافذ الكوخ واهناً، ولا تزال معظم أرجاء الغرفة تغرق في الظلام. كانت باستطاعتها أن تسمع صوت التنفس الناعم حولها. لم تستيقظ الأخريات بعد.. جيد. تنهدت بصمت، وتساءلت ما إذا كان يمكنها العودة إلى النوم مجدداً، لكن أرضية الكوخ كانت قاسية على عظامها، وكانت مئانتها تؤلمها. تقلبت على جانبها، ورأت تكتلات الدم المتناثرة على الأرض بالقرب منها. كان هذا دم لورين على ما تتذكر. أبعدت قدمها في اشمئزاز، إذ عادت معركة الأمس إلى ذاكرتها بسرعة، وهذه المرة كان أنينها عاليًا. وضعت يدها على فمها، وسكنت. لم تكن تريد مواجهة أيّ منهن في أيّ وقت قريب.

خرجت بري من شرنقة منامتها، وانتعلت حذاءها وسُترتها. كانت تقترب من الباب فيما ألواح الأرضية تُصدر صريرًا، وخرجت إلى جو الصباح البارد. وحينما أغلقت الباب وراءها، شعرت بوقع أقدام خلفها، فقفزت، وندت عنها صرخة.

- شش! لا توقِظي الأخريات. (كانت بيث تهمس) هذا أنا.

- يا إلهي! لقد أفرعتني. كنت أعتقد أنك لا تزالين في الداخل. (تأكدت

بري أن باب الكوخ مغلق، وابتعدت إلى الباحة الأمامية للكوخ) ما الذي

تفعلينه في هذا الوقت المبكر؟

- أعتقد أنني أفعل مثلما تفعلين! (أومأت بيث تجاه الحمام).

- أوه! حسنًا.

ومرت فترة صمت، إذ كان شبح الليلة السابقة لا يزال يلقي بظلاله عليهما.

همست بيث:

- اسمعيني، بشأن الليلة السابقة.

- لا أريد أن أتحدث عن هذا..
- أعرف، لكن علينا أن نتحدث. (جاء صوت بيث حازماً) انظري، أعرف أنني تسببت في الكثير من المشكلات لك، لكني أريد أن أصحح خطئي..
- لا يا بيث من فضلك، دعي الأمور تجري كما هي.
- لا أستطيع. لقد تجاوزت حدودي، ولا يمكن لأليس أن تهددك، وتفلت بذلك. ليس بعد أن عملت جاهدة معها. لا يمكنها أن تضغط على الناس من حولها، وتتفاجأ عندما يردون لها الصاع صاعين!
- بيث..!
- ثق بي. لطالما ساعدتني طوال حياتي، ومساعدتك الآن هي أقل ما يمكن أن أقدمه.
- لقد استمعت بري إلى هذا الكلام من قبل، لكن العين بصيرة واليد قصيرة، لكنها شعرت بالخساسة فجأة. كانت أختها تحاول حتى تنال ثقتها، ولقد حاولت مرارًا. ابتلعت بري لعابها:
- حسنًا إذن، شكرًا، لكن لا تجعلني الأمور أسوأ.
- لوّحت بيث بيدها تجاه الغابة بنصف ابتسامة:
- هل يمكن أن تكون أسوأ من ذلك؟!

لم تُكن بري واثقة أيهما يمكن أن تبدأ أولاً، لكنها حاوطت ذراعها حول أختها لأول مرة منذ سنوات. كان الأمر غريبًا، إذ إن الجسد الذي كان مألوفًا كجسدها من قبل كان الآن مختلفًا للغاية. عندما ابتعدت كانت بيث تبتسم. قالت:

- كل شيء سيكون على ما يرام، أعدك.

راقبت بري أختها، وهي تلتفت، وتدخل إلى الكوخ. ولا تزال تشعر بدفع جسد بيث في جسدها. تجاهلت الحمام، فلم يكن هناك أيُّ طريقة لاستخدامه، وبدلاً من ذلك استدارت إلى جانب الكوخ. توقفت فجأة عندما رأت حفرة الكلب. لقد كادت تنسى ذلك. أدارت بري وجهها، وسارت بجانبه إلى خلف الكوخ، ومرت عبر الأعشاب الطويلة والأشجار والسياح حتى صارت الحفرة بعيدة عن أنظارها. وكانت على وشك أن تخلع سروالها عندما سمعت شيئاً ما.

ما كان ذلك؟ أُطِير من الطيور؟ كان الصوت يأتي من خلف السياج. كان صوتًا نحيلاً، اصطناعياً وثاقباً في هدوء الصباح. حبست بري أنفاسها، وأذنها تجتهد لتصيخ السمع. لم يكن طيرًا. عرفت بري الصوت. اتجهت صوبه، واندفعت مسرعة عبر السياج، وكانت على وشك أن تتعثر على الأرضية غير الممهدة.

كانت أليس ملقاة على الأرض، وقدمها أمامها، ومسندة إلى صخرة. وخصلات الشعر الأشقر يطيرها النسيم، وعيناها مغلقتان. رأسها مسند لأعلى، وتنظر إلى السماء، وكأنها تستمتع بأشعة الشمس غير الموجودة. وكان شيء في جيب سروالها يرن.

وقعت بري على ركبتيها:

- أليس، الهاتف، أسرع، الهاتف يرن!

كان باستطاعتها أن ترى الهاتف محشورًا في فخذ أليس. كانت الشاشة مهشمة، لكنه لا يزال يومض. أمسكته بري، وكانت يداها ترتجفان بعنف لدرجة أن الهاتف كاد يسقط من يدها، لكن كان الهاتف يرن في يدها، بشكل حاد ومُليح. وعلى الشاشة المهشمة، كان يظهر اسم المتصل.. حرفان فقط: «آ. ف». لم تعرف بري من المتصل، ولم تهتم، لكن بأصابعها السميكة ضغطت على زر الرد، التي كادت تنساه من العجلة. وضعت الهاتف على أذنها.

- مرحبًا؟ يا إلهي! من فضلك.. هل تسمعني؟

لا شيء، ولا حتى صوت تشويش!

- أرجوك.

أبعدته عن أذنها، فأظلمت الشاشة، واختفى الاسم، وانقطعت بطارية الهاتف. هزته بري، كانت يداها زلقتين ومتعرتتين، لكن لا شيء. ضغطت على زر الفتح، ثم مرة أخرى، وأخرى، لكن لم تُعد الشاشة إلى العمل، بل كانت صماء بالكامل.

«لا!». ترنحت معدتها، وهي تفقد الأمل كبساط ينسحب من تحت قدميها. استدارت، وتقيأت على أرضية الغابة، والدموع تملأ عينيها، والإحباط يهاجم صدرها. لماذا لم تُجب أليس على الهاتف اللعين سريعًا؟! كان من الممكن أن تكون طاقة البطارية كافية لإجراء مكالمة واحدة لطلب المساعدة. فِيمَ كانت

تفكر هذه العاهرة اللعينة؛ أن تتركه تمامًا، وتفقد طاقة البطارية؟! كانت بري تستدير لتسألها هذه الأسئلة، لكن التقيؤ والغضب يحرقان حلقها، كما أنها أدركت أن أليس لا تزال ساكنة في نفس الوضع، مسندة ظهرها إلى الصخرة، ولا تتحرك.

- أليس!

لم تجد استجابة. يبدو الوضع التي وضعت فيه أليس أطرافها مسترخية مرناً أشبه بالدمية. كما أن ظهرها قد اتخذ وضعية غريبة أيضًا، ورأسها يرجع إلى الخلف. لا تبدو أنها سليمة، بل تبدو فارغة.

- اللعنة! أليس؟

كانت بري تظن أن عيني أليس مغلقتان، لكنها استطاعت أن ترى الآن أنهما مفتوحتان قليلًا، وبؤبؤ العين الأبيض يحدّق إلى السماء الرمادية.

- هل تسمعيني؟

كانت بري تسمع صوتها بالكاد من الصداع الذي يضرب رأسها. لم يكن هناك حركة، ولا استجابة. شعرت بري بالدوار. شعرت كما لو أنها تريد أن تجلس إلى جانب أليس، وتظل ساكنة، وتختفي.

ظلت عينا أليس مسلطتين في الفراغ، حتى لم يعد بوسع بري أن تقف بعد. ابتعدت عنها، لأنها لم يعد في وسعها أن ترى وجهها. كانت مؤخرة رأس أليس غريبة قليلًا، وعندما اقتربت بري بقدر ما استطاعت لم ترَ دماً، لكن جلد مجتمها مرقط وأرجواني عند مفرق شعر أليس الأشقر. ابتعدت إلى الخلف، وعيناها إلى الأرض. نسيت تقريبًا هدفها الملقى بين أليس وبين الصخرة. لقد اختفى تقريبًا خلف قطنية أليس. فقط نهايته كانت مرئية؛ دائري مع بريق معدني. نظرت بري إليه، وكأنها لم تشاهده من قبل، لم تكن تريد أن تلمسه، لم تكن تريد أن تعترف أنها عرفت الهاتف، لكنها كانت تعرف بالفعل أنها لا تستطيع تركه. أخيرًا، أجبرت بري نفسها على أن تنحني، وتلتقط الكشاف المعدني. عرفت الاسم المحفور على جانبه، لكنها ظلت حابسة أنفاسها لترى الاسم في الضوء؛ بيت.

- لقد تجاوزت حدودي، ولا يمكن لأليس أن تهددك وتقلت بذلك!

كرد فعل معاكس، سحبت بري ذراعها للوراء، وألقت بالكشاف بعيدًا. اصطدم بشيء ثم اختفى. شعرت بري بوخز في يدها، فمسحت يدها في سروالها. ثم بصقت في راحة يدها، ومسحتها مجددًا. ثم نظرت إلى أليس؛ لا تزال جالسة، لا تتحرك.

انفتح بابان في عقل بري، وبهزة صغيرة من رأسها أغلقت أحدهما. لقد انجلى الشعور الغامض من رأسها الآن، وشعرت فجأة أن رأسها صافٍ. كان عليها أن تتحرك. نظرت بري إلى الطريق، وجدتها فارغة في الوقت الحالي. لم تكن متأكدة إلى متى سيستمر الأمر على ذلك؟ هل سمع أي شخص آخر الهاتف يرن؟ أصاحت السمع، فلم تستطع أن تسمع أي حركة، لكن الأخريات سيستيقظن قريبًا، ذلك إذا لم يستيقظن بالفعل.

تعاملت مع الحقيبة أولًا، إذ كان ذلك أسهل عليها. تفقدت الهاتف مرة أخرى، فوجدته مغلقًا، ثم دسّته في أحد جيوب الحقيبة، وحملت الحقيبة من أشرطتها. حملتها إلى الغابة، بحيث تكون بعيدة بما يكفي عن الطريق، ووضعتها خلف شجرة. وقفت، ومرت عليها لحظة عصبية، لم تتذكر فيها في أي اتجاه كان يقع السياج. متجمدة في مكانها، التقطت بري عدة أنفاس منتظمة عميقة، وأجبرت نفسها على الهدوء، وهمست: «لا تفرغي!»، كانت تعرف أي اتجاه كان يجب عليها أن تذهب. التقطت نفسًا أخيرًا، وسارت في خط مستقيم في الطريق التي جاءت منها عبر الأعشاب الطويلة، وسارت أسرع وأسرع، حتى كان باستطاعتها أن ترى أليس مسندة رأسها إلى صخرة. توقفت بعد برهة عندما رأت مؤخرة رأسها، وقد كانت الرياح تطير شعرها الأشقر. وكان السكون مروّعًا. كان نبض بري يتسارع سريعًا، حينما ظنت أنها ستمر بجانب أليس، لكنها أجبرت نفسها على أن تركض عدة خطوات للأمام، وقبل أن تبدّل رأيها، وضعت يداها تحت إبطي أليس، وسحبتهما. وسارت للخلف، ساحبةً أليس إلى عمق الغابة. كانت الرياح تهدر من حولها، مبعثرة أوراق الشجر والحطام في الأرض في أعقابها، وكأنها لم تقف يومًا في هذا المكان. ظلت بري تسحبها حتى ألمتها ذراعها، وانقطعت أنفاسها في صدرها حتى صارت فجأةً تتعثر وتسقط.

كان جسد أليس ملقى بنفس الطريقة؛ منبسطة على ظهرها، ووجهها إلى السماء. جلست بري بثقلها أمام جذع شجرة ميتة، وعيناها تحرقانها من الدموع والغضب. تساءلت في عجالة إن كانت تبكي من أجل أليس، لكنها عرفت أنها لم تكن. ليس حتى الآن على أي حال. وفي تلك اللحظة، كان لديها ما يكفيها من الدموع لتبكي على حالها، وعلى حال أختها، وإلى ما آل إليه حالهما بهذه الطريقة. وكما لو أن جسدها لم يتألم بشكل كافٍ، فكان هذا هو الوقت الذي شعرت فيه بري بحرق في ذراعها.

الفصل الثاني والثلاثون

لاحظ فولك شيئاً ما بعينه. في مسافة بعيدة في الأسفل، في قاعدة الشلالات، رأى ألوان سُترات الشرطة عندما خرج شخص ما من وراء الأشجار، له مشية مميزة؛ كانت كارمن. لقد تمركزت في قاعدة الشلالات، ورأى فولك رأسها يتطلع للأعلى، وتتنظر إليهما. كان الظلام لا يسمح برؤية وجهها، لكن للحظة رفعت ذراعها: «أنا أراكما». وحولها، كان الضباط يتجمعون في مكان، محاولين ألا يلفتوا النظر إلى أنفسهم.

لم يبدُ أن لورين قد لاحظت ذلك بل كانت تشعر بالغبطة. كان يريد أن يلفت انتباهها عن قاعدة الشلالات لأطول وقت ممكن. وعبر هدير الشلالات، كان بوسع فولك أن يسمع وقع أقدام يتردد صداها على الجسر الخشبي. ومن المؤكد أن لورين قد سمعت هذا، لأنها أدارت وجهها تجاه الصوت. كان الرقيب كينج يظهر في الصورة محاطاً بضابطين. ظل متراجعاً للوراء، لكنه كان يمسك جهاز اللاسلكي الخاص به في فمه، وتفوه بشيء لم يسمعه فولك من تلك المسافة.

- لا أريد منهم أن يقتربوا أكثر من ذلك.

كان وجه لورين مبللاً، لكنَّ عينيها كانتا جافتين، وقد ارتسم على وجهها تعبير جعل فولك يتوتر. ظن أنه قد رأى هذا التعبير من قبل. كانت هذه النظرة نظرة شخص قد استسلم.

- حسناً، لكنهم لن يقفوا كذلك طوال الليل. يريدون أن يتحدثوا إليك، ويجب أن تدعيمهم يفعلون ذلك. إذا نزلتِ عن الحافة يمكننا أن نحل ذلك.

- لقد حاولت أليس أن تخبرني عن الصور التي انتشرت لمارجوت، ربما لو كنت قد استمعت إليها لكان كل شيء قد تغير.

- لورين..

- ماذا؟ (قاطعته، وهي تنظر إليه) أتظن أنه يمكنك إصلاح ذلك؟

- يمكننا المحاولة، أعدك. أرجوك.. فقط تعالي إلى النزل لتحدثي إلينا.

إذا لا تريدين أن تفعلي ذلك من أجل نفسك، إذن... (وارتبك غير متأكد

مما إذا كان ذلك بطاقة يمكن اللعب بها) فافعلي ذلك من أجل ابنتك؛ لا

تزال في حاجة إليك.

وأدرك على الفور أنه قد فشل في مسعاه، إذ ضاق وجه لورين، ومال إلى

الأمام، وسطعت مفاصلها، وهي تمسك الحافة.

- ربييكا لا تحتاجني. لا أستطيع أن أساعدها. لقد حاولت ذلك جاهدة

طوال حياتها، وأقسم أنني أعرف أنني اقترفت أخطاء، لكنني فعلت أقصى

ما بوسعي. (كان رأسها يتجه للأسفل، وتنظر إلى الهاوية) ورغم كل ما

فعلته، فإني لم أفعل سوى أنني جعلت الأمور أكثر سوءاً. كيف يمكنني

فعل ذلك لها؟ إنها مجرد فتاة. أليس كانت على حق. (ومالت إلى الأمام)

إنه خطئي!

اليوم الرابع: صباح يوم الأحد

أول شيء سمعته لورين عندما فتحت عينيها، كانت صرخة تصدر من خارج الكوخ. شعرت بحركة حولها، سمعت شخصًا ما يقف، ثم وقَّع أقدام على الأرضية، وصوت الباب، وهو ينفتح. كانت على وشك أن تنهض من منامتها، لكن رأسها ينبض بشدة، وجفونها ثقيلة. «أليس!». تذكرت الطريق على الفور، نظرت حولها؛ كانت الوحيدة في الغرفة. شاعرة بالرعب، وقفت لورين، وذهبت تجاه الباب، نظرت، ورمشت. كان هناك بعض الضجيج في الباحة الأمامية للكوخ. حاولت أن تتبين ما تنظر إليه. لم تُكن أليس، بل بري. كانت بري تعبت ببقايا النار من الليلة السابقة، وهي تمسك ذراعها اليمنى، ووجهها شاحب.

- ارفعيه! (كانت بيت تصيح، محاولة أن تسحب ذراع أختها حولها).

كانت جيل تقلب ورقة صغيرة في يدها، فلم يكن أحد ينظر إلى لورين.

قالت جيل:

- ذراعك تحتاج إلى جبيرة، لنحاول العثور على شيء يثبتها.

- ماذا؟ مثل ماذا؟

- لا أعرف، كيف لي أن أعرف؟ لنبحث عن عصا أو شيء مثل ذلك.

- علينا أن نغادر. (قالت بيت، وهي تمسك بعض الأغصان المكسورة)

جيل؟ علينا أن نذهب للطبيب فورًا. ألم يتلقَ الجميع هنا كورس

الإسعافات الأولية؟

- بلى، أليس اللعينة تلقت كورسًا. (استدارت جيل أخيرًا إلى الكوخ، ورأت

لورين في مدخل الباب) أين هي؟ أيقظيها. أخبريها أن بري لدغها

ثعبان.

جاء للورين خاطر أن جيل كانت تقصد أن تذهب وتوقظها من حيث هي

ملقاة على قارعة الطريق، لكن رفيقتها كانت تشير إلى الكوخ، عادت لورين

إلى الداخل، ونظرت حولها، لم يكن في الكوخ إلا هي، وأربع منامات على

الأرض. تفقدتها جميعًا، كانت فارغة، وأليس ليست هنا. لم تُعد أليس! كان هناك حركة على الباب، وظهرت جيل. هزت لورين رأسها:

- لقد ذهبت!

تجمدت جيل من الصدمة، ثم مسكن جميعًا حقائبهن ومناماتهن من على الأرض، فهزرنها.

- أين سُترتي؟ لقد كان الهاتف بداخلها. اللعنة! لقد أخذته هذه العاهرة! ألقت متعلقاتها أرضًا، واستدارت، خبطت باب الكوخ خلفها. «لقد غادرت وأخذت الهاتف معها!»، كان صوت جيل يخرج مكتومًا. وسمعت لورين صوت بكاء في الخارج يأتي من إحدى الأختين. انتعلت حذاءها، وذهبت للخارج. كانت تعرف أين السُتر. لقد رأت متعلقات أليس خلف جذع شجرة في الليلة السابقة. تمنَّت لورين الآن لو أنها لم تُكن قد استيقظت ليلة أمس لتذهب لقضاء حاجتها. وتمنَّت أن تستغرق دقيقة لتوقظ الأخريات بدلًا من أن تطارد أليس في الظلام. تمنَّت لو تمكنت أن تمنع أليس من المغادرة. تمنَّت لو سارت العديد من الأمور بطريقة مختلفة.

كان بوسع لورين أن ترى بقعة لون خلف جذع الشجرة، فنزلت للأسفل.
- السُتر هنا.

أخذتها جيل، وبحثت في الجيوب:

- الهاتف ليس هنا، من المؤكد أنها أخذته معها!

كانت بيث تقف أمام بري، التي كانت نائمة في الأرض، ذراعها مشلولة في جبيرة مؤقتة.

- حسنًا. ما هي خياراتنا؟ (كانت جيل تتنفس بصعوبة) هل سنبقى معًا

أم نتفرق ونترك بري هنا..؟

- لا. (قالت الأختان في تحدٍّ).

- حسنًا، حسنًا، سيكون علينا أن نسير. سيكون علينا جميعًا أن نساعد بري، لكن بأيّ طريقة...

لورين:

- أن نظل نسير للشمال.

- هل أنت متأكدة؟

- نعم، علينا أن نلتزم بالخطة، ونسير في اتجاه مستقيم قدر الإمكان، وبأقصى سرعة لدينا، ونأمل أن نجد الطريق. إنها أفضل فرصة لنا. فكرت جيل للحظة.

- حسنًا. لكن علينا أولاً أن نبحث عن أليس، من باب الاحتياط.

- هل تمزحين؟ أيُّ احتياط؟ (كانت بيث فاغرة فمها).

- يمكن أن تكون قد ذهبت إلى المرحاض، فالتوى كاحلها، لا أعرف!

- لا، سنغادر!

- إذن، علينا أن نكون مسرعات. اتركن بري هنا. (وبعد تردد) لا تذهبن بعيدًا.

كانت لورين تركض بالفعل على الممر المملوء بالعشب الطويل تجاه الطريق. سمعت بيث تقول:

- أليس لديها فرصة أخرى ليجدها أحد ما، إذا التقيتها أولاً سأقتلها!

كانت لورين منقطعة النَّفس، وهي تجري. كانت لا تزال بوسعها أن تشعر بوزن أليس عندما سقطتا، وبالصدمة عندما فرغ الهواء من رئتيها. كان بوسعها أن تتألم من كلام بيث. وهي تتذكر ذلك، أبطأت لورين قليلاً، إذ بدت الطريق مختلفة في ضوء النهار، وقد اعتقدت أنها فوّتتها.. تقريبًا. لقد مرت بجانب الصخرة الكبيرة قبل أن تلاحظ ذلك. توقفت، واستدارت، وفهمت في جزء من الثانية ما كانت تراه.. لا شيء. كانت الصخرة وحدها، والطريق فارغة.

لقد ذهبت أليس. شعرت لورين بالدوار والدم يندفع إلى رأسها، إذ كانت الطريق مهجورة في كلا الاتجاهين. نظرت حولها، وتساءلت كم بعدت أليس. لم تُفدّها الغابة بشيء. مسحت الأرض بعينيها، فلم تجد أثرًا للسوار. هل يمكن أن تكون قد فقدته في الكوخ، ولم تدرك ذلك؟ لم يكن هناك شيء لتراه، لكن كان للجو رائحة منعشة، وشعرت أن هذه المنطقة قد حدث بها بعض الأحداث المضطربة. افترضت أن هذه هي المنطقة بشكل ما، لكن وهي تنظر حولها، رأت دليلاً صغيرًا على عراكهما، فاهتزت قدمها قليلاً، وهي تستدير لتعود للخلف.

وبالقرب من الكوخ، كانت لورين تسمع صيحات واهنة للأخريات، وهن يستدعين أليس. وتساءلت إذا كان بوسعها أن تفعل المثل، لكن عندما فتحت فمها، علق الاسم على شفثتها.

الفصل الثالث والثلاثون

كانت لورين تحدّق إلى المياه. التقطت نفسًا من خلال أسنانها المشدودة، وقد أدرك فولك أن هذه هي فرصته ليتخذ خطوة سريعة اتجاهها. كانت تضع كل تركيزها على الماء، فلم تلاحظ. رأى فولك أنهما يرتجفان، وكان خائفًا من أن أصابها المتجمدة يمكن أن تخونها، ولم يكن جاهزًا لإنقاذها.

- بكل صراحة لم أقصد قتلها! (جاء صوت لورين واهنًا بسبب هدير المياه).

- أصدقك.

تذكر فولك محادثتهما الأولى التي بدت أنها جرت منذ وقت طويل، خارج هذه الطريق، وقد كان الليل يسدل ستاره عليهما. كان لا يزال يتذكر وجهها، مرتبكا وغير واثق. لم يكن ما أخفقنا فيه شيئًا واحدًا، بل عدة أشياء. والآن، بدت عازمة:

- لكنني على الرغم من ذلك أردت إيذاءها!

- لورين..

- ليس بسبب ما فعلته بي، فهذا خطئي، لكن من أجل ما فعلته مارجوت بريبيكا، فقد عرضتها للقييل والقال. وربما كانت مارجوت ذكية بما يكفي لتخفي ذلك، وقد أخذت أليس تدابير من شأنها أن تجعل المدرسة تغض النظر عن ذلك، لكنني أعرف ما فعلته الفتاة. لقد كانت نسخة من أمها تمامًا.

علقت الكلمات في الضباب البارد. كانت لورين لا تزال تنظر إلى الأسفل.

- كان الكثير من ذلك خطئي. (جاء صوتها هادئاً) لأني ضعيفة، ولا يمكنني إلقاء اللوم على أليس أو ابنتها على ذلك. وستدرك ربيكا ذلك يوماً ما، إذا لم تكن قد أدركته بالفعل، وستكرهني على ذلك.
- لا تزال في حاجة إليك، وهي تحبك. (كان فولك يفكر في وجه أبيه، وفي خط يده العابت على الخرائط: «رفقة آرون») حتى لو لم تكن تدرك ذلك دائماً.

- لكن ماذا لو لم أستطع أن أصلح الأمور بيننا؟

- ستستطيعين. العائلات يمكنها أن تسامح.

- لا أعرف. ليست كل الأخطاء تستحق أن تُغفّر!

كانت لورين تنظر إلى الأسفل مجدداً:

- قالت أليس إنني كنت ضعيفة.

- لقد كانت مخطئة.

- أعتقد ذلك أيضاً. (فاجأته إجابتها) أنا مختلفة الآن. الآن، يمكنني أن أفعل ما أريد.

اقشعر بدن فولك، وهو يلاحظ أن شيئاً يتغير في الأجواء. لقد تجاوزا عتبة غير مرئية. لم يكن قد رآها تتحرك، لكنها بدت فجأة أقرب إلى الحافة. وعلى الجانب، كان بوسعه أن يرى كارمن، وهي تنظر إلى الأعلى مستعدة، لكنه كان قد اتخذ قراره.. على هذا أن ينتهي الآن.

كان قد تحرك بالفعل قبل أن يكتمل الخاطر في ذهنه. خطأ خطوتين سريعتين على الصخور، كان سطح الصخور زلماً كالزجاج تحت قدميه، وهو يمد أصابعه. اقتربت يده من سترتها، وقد مسك قبضة من نسيج قماش سترتها، كانت قبضته فاشلة وباردة. نظرت لورين إليه، كانت عيناها هادئتين، ومرتحيين، هزت كتفها، وطويت جذعها النحيل إلى الأمام، انزلقت عن قبضته، وبحركة تنم عن الدقة والحسم، ذهب. كانت الحافة فارغة، وكأنها لم يكن عليها أحد من قبل.

اليوم الرابع: صباح يوم الأحد

كان بوسع جيل أن ترى خوفها منعكسًا في الوجوه الثلاثة أمامها. كان نبض قلبها يتسارع، وهي تسمع صوت تسارع أنفاس الأخريات. وفي الأفق كان التجويف الذي صنعه الأشجار في السماء يبدو رماديًا باهتًا. هزت الرياح أغصان الأشجار، وأرسلت وابلًا من الماء على المجموعة أدناها. لم يرتجف أحد. وخلفهن، كان خشب الكوخ الفاسد يئن، ويهتز مع هبوب العاصفة. قالت جيل:

- علينا أن نذهب من هنا فورًا.

على يسارها، أومأت التويمان على الفور، متحدتين على قرار واحد للمرة الأولى بسبب ذعرهما. كانت بري تمسك ذراعها، وبيث تساندها. كانت عيناها متسعيتين في الظلام. وعلى يمينها، ارتبكت بري، وبعد تردد قصير، أومأت، والتقطت أنفاسها.

- ماذا عن...

- ماذا عن ماذا؟ (كانت جيل قد فقدت صبرها).

- ماذا عن أليس؟

سكون مروع. كان الصوت الوحيد المسموع هو صوت صرير وحفيف الأشجار، وهي تنظر إلى حلقتهن الضيقة، المكونة من أربعة أشخاص.

- هذا ما جنته أليس على نفسها!

بعد فترة صمت، أشارت لورين:

- الشمال من هذا الاتجاه.

سرن معًا، ولم ينظرن إلى الورا، تاركين الأشجار تبتلع كل ما تركنه وراءهن.

الفصل الرابع والثلاثون

صاح فولك باسم لورين، لكن الأوان كان قد فات. كان يتحدث للهواء. لم تعد أمامه. قفز عبر الصخور ليراها تغرق بوزنها الثقيل في الماء. أخفى هدير الشلالات دفقة الماء التي تنتج عن الاصطدام. عدّ فولك لثلاثة بسرعة، لكنها لم تظهر على السطح. خلع كنزته وحذاءه، وحاول أن يلتقط أنفاسه، لكن صدره كان ضيقًا، وهو يأخذ أولى خطواته للأمام ويقفز. كل المسافة التي قفزها كان الصوت الوحيد الذي يسمعه مع صوت اندفاع المياه تحته، واندفاع الهواء أعلاه؛ هو صوت كارمن تصرخ.

اصطدمت أقدامه بالماء أولًا. أحاط به العدم، وشعر أنه معلق في الفراغ. وفجأةً ضربه البرد بقسوة وحشية. كان يركل بقدمه ليخرج من المياه، مقاومًا الرغبة في التنفس حتى يظهر على سطح المياه. كان صدره يحترق، وهو يمتص الهواء الرطب، ويجبره البرد في المياه على أن يخرج الأوكسجين من رئتيه بنفس السرعة التي التقطه بها.

كان السقوط في المياه يعميه، ويؤلم وجهه وعينيته. لم يكن بوسعه رؤية لورين. لم يكن بوسعه رؤية أي شيء. سمع ضجيجًا واهنًا في خضم زئير المياه الوحشي، فالتفت حوله، وعندما مسح عينيته، وجد كارمن تقف على الضفة، بجانبها ضابطان يمسكان حبلًا. كانت تصيح؛ وتشير إلى شيء ما.

- لورين.

عرف على الفور أن تيار الماء يسحبها إلى الأسفل، إذ كان بوسعه بالفعل أن يشعر بأصابعه تُنتزَع من قدميه، وتهدهده بأن تسحبه للأسفل. التقط أنفاسه، وحاول أن يدخل الهواء في رئتيه، ثم سبح بعدة ضربات من يده ليصل إليها. كان سباحًا مقبولًا، إذ تربى بجانب نهر، لكن سحب المياه

ودفعها جعل من الصعب عليه أن يفعل شيئاً. كانت ملابسه تجره للأسفل،
وتؤخره للخلف، ولقد كان سعيداً، لأن خاطره قد أخبره أن يخلع حذاءه.

في الأمام، كان جسد لورين يدخل منطقة الخطر. كانت محطة، وبالكا
تتحرك، ورأسها غارق في المياه السوداء لثوانٍ متتالية. صاح:

- لورين. (لكن الضجيج ابتلع صوته) تعالي إلى هنا!

رأها على بُعد أمتار قليلة من قاعدة الشلالات، وأمسك بها، وأصابعه
متجمدة وثقيلة. صرخت:

- اتركني!

كانت شفتاها باللون الأرجواني الفاتح، وبدأت تقاتل الآن، وتدفعه بعيداً.
وضع ذراعه عليها، وضغط على ظهرها لتقترب من صدره، وشدها بقوة.
لم يشعر بأيِّ حرارة تنبعث من جسدها. وبدأ يركل بكل ما لديه من قوة،
ويجبر قدميه الثقيلتين أن تتحركا. كان بوسعه أن يرى كارمن تصيح من
الضفة. حاول أن يتبع صوتها، لكن لورين كانت تقاومه بشكل أصعب، وتغرز
مخالبتها في ذراعه.

- اتركني أذهب!

كانت تهاجمه بعنف محاولةً أن تسحبهما إلى الماء، لم يَكُن فولك في
وضع يسمح له أن يرى، كان وجهه تحت سطح الماء، لا يتمكن من التقاط
أنفاسه. ضربت لورين ذراعه، وأرجعتها إلى الورا، وضربت رأسه، فسقطت
في الماء مجدداً.

كان كل شيء مشوشاً، ثم ظهر على السطح ثانية، والماء في فمه، ولم
يَكُن لديه ما يكفي من الهواء في رئتيه، سقط في الماء ثانية، فارتخت قبضته
على لورين، وهي تكافح ليتركها. تمسك بها، وقاوم الرغبة الحيوانية التي
تحته على تركها. شعر بتغير في المياه، ووصول ذراع أخرى له، لم تَكُن
لورين، إذ لم تَكُن تقاومه، بل شيئاً علق بإبطيه وسحبه. خرج وجهه إلى
سطح الماء، وشده شيء من ذراعه؛ حبل، وفجأة لم يُعد عليه أن يكافح ليبقى
على سطح المياه. كان وجهه على سطح الماء، وهو يلهث ليلتقط أنفاسه، وقد
أدرك أنه لم يُعد يحكم قبضته على لورين، ففرغ.

- لا بأس. لقد أحضرناها. (جاء صوت كارمن من خلفه. حاول أن يلتفت، لكنه لم يستطع) لقد أدبت واجبك، نحن على الشط تقريبًا.
- شكرًا لك. (كان يحاول أن يقول ذلك، لكنه لم يستطع فعل شيء سوى اللهاث).

- ركّز على التقاط أنفاسك.

قالت بينما كان الحبل منعقد بقسوة تحت ذراعه، وظهر على الصخور، وضابطان يمسانه. وبينما كان ملقى على الضفة الموحلة التفت ليرى أن لورين قد أنقذت، كانت ترتجف، لكنها توقفت عن القتال الآن.

كانت رثًا فولك تضيقان، ورأسه ينفجر من الصداق، لكنه لم يكن يهتم. لم يكن يشعر بشيء غير الراحة. كان يرتجف بشدة، بينما كانت كتفاه تتخبطان بشدة على الأرض. ألقى عليه بطانية، ثم أخرى، فشعر بالوزن على صدره، وفتح عينيه.

- لقد أنقذتها. (كانت كارمن تميل عليه، وكان يرى صورة ظلية لوجهها).

- لقد أنقذتها أيضًا. (حاول أن يقول، لكن وجهه كان متجمدًا، وكان يكافح ليكون جملتين).

استلقى محاولاً أن يلتقط أنفاسه. اختفت الغابة من حول الشلالات، ولمرة، لم يستطع أن يرى أيّ أشجار. فقط كارمن، وهي تميل عليه، وسماء الليل فوقها. كانت ترتجف بشدة، فسحب جزءاً من البطانية ليغطيها. اقتربت منه أكثر، وفجأة طبعته قبلة على شفثيه، وأغلق عينيه. كان كل شيء باردًا باستثناء الاندفاع المفاجئ الوحيد داخل صدره. سرعان ما فتح عينيه مرة أخرى، ورمش. كانت كارمن تنظر إليه، غير محرجة، وغير نادمة، كان وجهها لا يزال قريبًا، لكنه ليس قريبًا للغاية. ابتسمت:

- لا تفهمني بشكل خاطئ، أنا في طريقي للزواج، وأنت لست سوى مغفل لتقفز من كل هذه المسافة، لم يكن يجب أن تفعل هذا! لكنني سعيدة أنك بخير.

رقدًا بهدوء، يتنفسان في انسجام تام حتى تقدم ضابط بيطانية ثالثة، فابتعدت. حدّق فولك إلى السماء. ودون أن يرى كان بوسعه أن يسمع تمايل غصون الأشجار، لكنه لم يلتفت ليرى. نظر إلى النجوم الواهنة في السماء،

ونظر إلى صليب الجنوب، وكما لو أنه يعود بالذاكرة كل تلك السنوات مع أبيه. لم يَكُن يستطيع أن يرى صليب الجنوب، لكن ذلك لم يَكُن مهمًّا. لقد كان يعرف أنه موجود في مكان ما.

كان البرد يأتيه من الناحية التي كانت تجلس كارمن فيها، لكن بدأ الدفء ينتشر من داخله عبر جسده. وبينما كان مستلقيًا في مكانه، يشاهد النجوم، ويستمتع إلى حفيف الأشجار، أدرك أن يده لم تُصَب بأذى على الإطلاق.

الفصل الخامس والثلاثون

جلس فولك يتأمل عمله اليدويّ على الحائط. لم يكن متقنًا، لكنه كان أفضل. كان ضوء شمس الظهيرة يتدفق عبر النوافذ، ويُغرق شقته بوهج دافئ. ومن مسافةٍ كانت ناطحات سحاب ملبورن تتلألأ.

لقد مر أسبوعان منذ أن غادر هو وكارمن المكان لآخر مرة. وأمل فولك أن تكون هذه هي المرة الأخيرة، فقد شعر أنه يحتاج إلى فترة طويلة قبل أن يسير وسط هذه الأشجار مجددًا. لقد كان في بيته مدة ثلاثة أيام عندما جاءه الظرف البنيّ المجهول. وقد أرسل إلى المكتب باسمه، كان يحتوي على ذاكرة تخزين، ولا شيء آخر. أدخل فولك ذاكرة التخزين إلى اللابتوب، واطلع على محتوياتها، وشعر بتسارع دقات قلبه.

«أحضِر العقود.. أحضِر العقود».

ظل يحدّق، ويتفقد ما أمامه لما يزيد على ساعة، ثم التقط الهاتف، واتصل برقم. قال:

- شكرًا لك.

على الطرف الآخر من الخط، سمع بيث ماكينزي تلتقط أنفاسها.

- هل سمعت أن الشركة تحاول أن تورط بري في الأمر؟ يحاولون أن يبعدها أنفسهم، ويغسلوا أيديهم.

- لقد سمعت ذلك.

- لم أعد أعمل هناك بعد.

- لا، لقد سمعت ذلك أيضًا. ماذا ستفعلين الآن؟

- لا أعرف.

- ربما يمكنك أن تعملي بشهادة علوم الحاسب التي لديك، لقد كنتِ تضيعين وقتك في غرفة البيانات هذه.

سمع بيت تتردد:

- أعتقد ذلك؟

- نعم.

كانوا يستهينون بقدراتك. كان يتصفح الملفات، بينما يتحدثان. لقد كان لديه كل ما يدينهم. نسخ من الملفات التي طلبها من أليس وصلت من أرشيف الشركة. كان هناك ملفات قد منحتها أليس لهم. وكان هناك ملفات لم تكن قد أرسلتها لهم. كانت العقود تحدِّقُ إليه، وقد شعر بدفقة من الأدرينالين. كان بوسعه أن يتخيل وجه كارمن عندما يخبرها. عاد فولك مرة أخرى إلى بداية الملفات.

- كيف...!؟

- لم أثق في أليس قط، لأنها دائماً ما كانت وقحة معي. وكانت هي وبري تعملان من قرب، وكان من السهل عليها أن تلوم بري إذا فعلت أيَّ شيء خاطئ، لذا نسخت هذه الملفات كما طلبت.

- شكراً.

- لكن بصدق.. (سمع تنهداها) ماذا سيحدث الآن؟

- لبري؟

- ولورين؟

قال فولك بصدق:

- لا أعرف!

لقد أفاد قسم التشريح أن أليس ماتت نتيجة نزيف بالمخ، وعلى الأرجح كان ذلك بسبب ضرب رأسها في الصخرة، حيث وُجِدت ميتة، إلا أن كليهما؛ لورين وبري، ستواجهان محاكمات، لكن فولك تمنى بشكل خاص ألا تكون محاكمة بري قاسية، لكن عندما كان ينظر إلى الأمر من أيِّ زاوية لم يَكُن يشعر بالأسف حيالهما.

كانت عائلة بيلي تخضع لتحقيقات موسعة بالفعل، بسبب الصورة التي نشرها جول ابن دانيال بيلي. وقد عرفت الصحافة بالأمر، ونشرت عدة مقالات

تحليلية، مزوّدة بصور من أوراق جول في المدرسة. وطبقًا للتقارير، فقد طُرِدَ جول من المدرسة، وقد حُفِظَ اسم مارجوت راسل بعيدًا الآن.

وبفضل بيت، الشركة في طريقها الآن لمواجهة الكثير من المشكلات، ولم يَكُنْ فولك ليشفق عليهم. لقد أتقنت الشركة جني الأرباح بهذه الطريقة لجيلين، بما فيهم جيل. بغض النظر عما إذا كانت تشعر أن لديها خيارًا أم لا، لكن عندما يتعلق الأمر بعمل العائلة، ستعتبر بلا شك واحدة منهم.

منذ أن تركا مكان الحادث للمرة الأخيرة، قضى فولك الكثير من الوقت يفكر عن العلاقات، وكم تستغرق القليل من الوقت لتتعكر، وعن حمل الضغائن في النفوس، وعن السماح؟!

حاول هو وكارمن أن يزورا مارجوت وريبيكا. أخبرهما والدها برفض مارجوت رؤيتهما بعد الآن، ورفضها للحديث، ورفضها للخروج من غرفتها. لقد بدا مرتعبًا لذلك. أما ربيكا، فكانت على الأقل قد سمحت لنفسها بترك المنزل، والجلوس بصمت بجانبها إلى طاولة المقهى. وقد طلبت كارمن بعض الشطائر لهم دون أن تسأل، وراقبتها الفتاة بينما تأكل. سألت ربيكا أخيرًا:

- ماذا حدث عند الشلالات؟

فنظر إليها فولك نظرة مصطنعة، وقد حاول أن يرسم الصدق على مُحِيَّاه بأقصى ما استطاع. نظرة مليئة بالحب، وقليلة الندم. نظرت الفتاة إلى طبقها التي لم تمسه:

- أُمِّي لم تُقَلِّ الكثير عن ذلك.

- ماذا قالت؟

- إنها تحبني، وإنها آسفة.

فولك:

- هذا ما يجب أن تهتم به.

عبثت ربيكا بمنشفتها:

- هل هذا خطئي، لأنني لم أَكُنْ أكل؟

- لا، بل إن الأمر أكبر من ذلك بكثير.

بدأت الفتاة غير مقتنعة، لكن عندما وقفت لتغادر، أخذت شطيرتها معها ملفوفة في المنشفة. راقبها فولك وكارمن، وهي تبتعد من خلال النافذة. وفي نهاية الشارع، وقفت بجانب صندوق قمامة، وحملت الشطيرة من الغطاء، ووقفت لفترة، ثم بالكثير من الجهد البدني، وضعت الشطيرة في حقيبتها، واختفت عند الزاوية. قال فولك:

- أعتقد أنها ستبدأ بداية جديدة.

وفكر في مئات الأشياء القليلة التي لو أضفناها كانت الأمور ستسير بشكل أسوأ، وربما مئات من الأشياء القليلة التي لو أضفناها إلى القصة كانت ستسير بشكل جيد.

بعد مضي عدة أيام في البيت، وهو يفكر، عدل فولك العديد من الأشياء. لقد ذهب إلى متجر الأثاث ليشتري عدة أغراض، ثم اشترى أشياء إضافية عندما كان هناك. والآن، كان يجلس على كرسيه الجديد في زاوية شقته، بينما ظلت الشمس تفرد أشعتها عبر السجادة. لقد كان ذلك مريحًا، وكان قرارًا جيدًا. لقد جعل المكان يبدو مختلفًا؛ أوسع وأكثر ازدحامًا، لكنه أحب ذلك. ومن موقعه الجديد كان بوسعه أن يرى آخر تغيير حدث في البيت؛ صورتين له مع أبيه معلقتين على الحائط، مؤطرتين ومطلبتين. لقد غيرتا جو الغرفة، لكنه كان يعتقد أنه أحب ذلك أيضًا. لقد كان يعني ما قاله للورين عند الشلالات: «العائلات يمكنها أن تسامح، لكن لم يكن من الكافي أن تعني هذا، بل عليك أن تعيش هذا».

نظر فولك إلى الأعلى الآن يتفقد الساعة. لقد كانت ظهيرة يوم جمعة ممتعة. كارمن في طريقها لتتزوج في اليوم التالي في سيدني. تمنى لها الخير. ولم يتحدث قط فيما حدث بينهما عند ضفة الشلالات. شعر أن من الأفضل أن يظل هذا حدثًا عابرًا. أدرك ذلك. كانت ستره بزته، وهدية الزفاف ينتظرانه مع حقيبته، مستعدًا أن يطير إلى سيدني.

لقد كان هذا وقت المغادرة، لكنه رأى أن الوقت كافٍ لإجراء مكالمات سريعة. سمع نغمة الاتصال من الطرف الآخر من الخط، فأدرك أن الهاتف يرن في كياورا؛ مسقط رأسه، وأجابه صوت مألوف.

- جريج راكو يتحدث.

- أنا آرون، هل أنت مشغول؟

سمع ابتسامة عبر الهاتف:

- لا.

- ألا تزال تتهرب من العمل؟ (تخيل فولك رقيب الشرطة، وهو في منزله، ولم يعد يرتدي الزيِّ الرسميِّ بعد).

- تسمى فترة نقاهة، شكراً يا رفيق، وهي تستغرق وقتاً.

- أعرف.

قال فولك ذلك، وهو يلتفت إلى يده المحروقة، وراح يتفحص الجلد. كان

يعرف أنه كان محظوظاً.

تحدثا لفترة. كانت الأمور آخذة في التحسن منذ أن انحسرت فترة

الجفاف. وسأل فولك عن أحوال ابنته، وعن أحوال عائلة هادلر، وتأكد أن كل

الأمور بخير، وأن الجميع بخير. ضحك راكو:

- يا رفيقي، إذا كنت بهذا الفضول، ربما يجب عليك أن تأتي، وترى

بنفسك.

ربما كان يجب عليه أن يفعل ذلك. وأخيراً، نظر فولك إلى الساعة، كان

عليه أن يتحرك ليلحق بطائرته.

- اسمع، ألم تمل من فترة نقاهتك؟

- مللت للغاية!

- أفكر في خوض رحلة في الغابة في إحدى عطلات الأسبوع، إذا شعرت

أنه يمكنك أن تفعل ذلك، يمكننا أن نفعل شيئاً لطيفاً معاً.

- نعم، بالتأكيد، سيكون هذا أمراً جيداً للغاية. أين؟

نظر فولك إلى خرائط والده المنتشرة على طاولة القهوة في ظهيرة اليوم

الداقثة. والشمس تسلط شعاعها على إطارات الصور على الحائط.

- أيُّ مكان تحبه. أعرف بعض الأماكن الجيدة.

كانت العلامات الحذرة المرسومة بالقلم الرصاص تدله على الطريق.

وكان هناك العديد من الطرق لاكتشافها.

شكر وتقدير

مرة أخرى، لقد كنت محظوظة أنني محاطة بمجموعة رائعة من الناس الذين ساعدوني على أكثر من وجه. والشكر الجزيل للمحررات اللاتي يعملن معي؛ كيت بيترسون، وبان ماكميلان، وكريستين كوبارش، وإيمي إنهورن، من دار نشر فلاتيرون، وإلى كلير، وبراون لإيمانهما الذي لا يتزعزع. بصيرتكم ونصائحكم لي كانت لا تُقدَّر بثمن، وأنا ممتنة بصدق للفرص الهائلة التي أتحتوها لكتاباتي.

وشكرًا لروي جيب، وماتيلدا إملا، وشارلوت ري، وبريان كولينز، من دار نشر بان ماكميلان، وإلى كل المصممين الموهوبين، وإلى فرق البيع والتسويق الذين عملوا بجد حتى يرى هذا الكتاب الحياة.

كنت سأكون ضائعة دون مساعدة وكلائي الرائعين؛ كلير فورستر من شركة كورتيس براون أستراليا، وأليس لوتينيس، وكيت كوبر من شركة كورتيس براون في المملكة المتحدة، وإلى دانيال لازار من رايترز هاوس، وجيري كيليان من مجموعة الملكية الفكرية.

الشكر إلى كبير حراس الزواحف في محمية هيلزفيل، وإلى الرقيب كلينت ويلسون من شرطة فيكتوريا، وإلى زوار حديقة جرمبباز الوطنية، وإلى قائدة فريق المجتمع: تامي سكو، لمشاركتها معارفها وخبرتها عن الحياة البرية معي، وإجراءات البحث والسلام، وتقنيات التخيم والتنزه. وأيُّ أخطاءٍ يمكنني أن أتحملها وحدي.

أنا مدينة بالشكر للعديد من بائعي الكتب الذين رشحوا كتبي بحماس، وبالطبع ممتنة لكل القراء الذين أحبوا قصصي. مكتبة .. سرٌّ مَنْ قرأ شكرًا لحضانة إلوود، وأطفالهم الجميلة، والدفاء والصدقة التي كانوا يبعثونها حولهم. لقد كنتم منارة الضوء خلال كل هذا.

وكالعادة، أهدي الكثير من الحب والشكر لعائلتي الرائعة التي دعمتني في كل خطوة من خطواتي: مايك، وهيليم هاربر، وإيلي هاربر، ومايكل هاربر، وسوزان ديفنبورت، وإيفي هاربر، وبيتر وأنيت ستراشان.

وفوق كل ذلك، أقدم عميق امتناني إلى زوجي الرائع: بيتر ستراشان -سأستغرق سنوات لأملأ الصفحات بشأن العون الذي قدمته لي-، وإلى ابنتنا شارلوت ستراشان، حبيبتنا، التي أضافت إلى حياتنا حياة جديدة.

مكتبة

t.me/soramnqraa



جين هاربر

هي كاتبة لأكثر الروايات مبيعًا حول العالم، رواية القحط هي أول عمل لها وحاز عدة جوائز عالمية، كما نشرت رواياتها في ٤٠ دولة حول العالم. وحصدت الكثير من الجوائز العالمية. ولدت جين في مانشستر، المملكة المتحدة، ثم انتقلت وعائلتها في عمر الثامنة إلى أستراليا وعاشت ست سنوات في فيكتوريا وحصلت خلال تلك الفترة على الجنسية الأسترالية. ثم عادت مع عائلتها في سن المراهقة إلى المملكة المتحدة والتحقّت بجامعة كينت لتدرس اللغة الإنجليزية والتاريخ. وتعيش حاليًا في ملبورن بأستراليا.

"لقد رُسمت جميع شخصيات الرواية بتشابك معقد، ولم يُستثنَ من ذلك آرون فولك.. فقد كان أكثر من محقق تقليدي؛ إذ إن صفات فولك العاطفية تقدم البوصلة الأخلاقية للكتاب".

- نيويورك تايمز

"أكثر إثارة للإعجاب من روايتها القحط.. بلغت هذه الرواية مستوى لا يصدق من التشويق؛ إذ صارت الطبيعة قوة معادية لا يمكن التنبؤ بها، إلا أن الإثارة تكمن في أن الرواية قد وضعت الطبيعة البشرية المعصومة موضع الاختبار".

- صندي تايمز

"رواية إثارة نفسية مكثفة وذكية للغاية تستكشف كيف يتسبب ماضينا -وطفولتنا بشكل خاص- في تشكيل وتعطيل حياتنا في الوقت الحاضر".

- كريستيان ساينس مونيتور

"قصة مؤثرة عن معركة أساسية من أجل البقاء.. تثبت جين هاربر مرة أخرى أنها ساردة قوية لا يستهان بها".

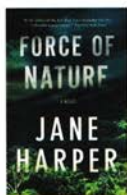
- بابليشرز ويكلي

"رواية مثيرة تحبس أنفاس القراء".
- صندي تيليجراف

قوة الطبيعة

لاحقًا، كان بوسع النساء الأربع أن يتفقن على شيءين فقط. الأول: ولا واحدة فيهن قد رأت الغابة وهي تبتلع أليس راسل. والثاني: أن شبح أليس يمكنه أن يطالهن في أي مكان. كانت النساء متأخرات عن موعد التجمُّع. أما مجموعة الرجال فقد وصلت متأخرة عن موعدها خمسًا وثلاثين دقيقة فقط، وقد ربتوا على أكتاف بعضهم بعضًا عندما خرجوا من خلف صف الأشجار. لقد انتهت المهمة. كان قائد الرحلة ينتظر الرجال الخمسة بنظرات ودية ومرحبة في سترته الحمراء الرسمية. ألقى الرجال مناماتهم في الجزء الخلفي من الحافلة الصغيرة، وتنفسوا في ارتياح عندما صعدوا إليها.

كانت الحافلة محملة بالوجبات الخفيفة وسخانات القهوة. مرّ الرجال من جانب الطعام وذهبوا إلى الحقائب التي تحوي هواتفهم. لقد عادوا إلى الحياة مرة أخرى.



telegram @soramnqraa

تصميم الغلاف: محمود هشام



🌐 aseeralkotb.com
✉ contact@aseeralkotb.com
📖 AseerAlkotb
📖 AseerAlkotb
📖 AseerAlkotb